فى أصول التربية (١)

الأصول الاجتماعية والثقافية للتربية

د فاروق عبده فليه
أستاذ أصول التربية
عميد كلية التربية بدمياط/ جامعة المنصورة

مقدمة الكتاب

العمــل التـــربوى لا يكتمل ، ولا يأخذ الصورة الكاملة إلا إذا ارتفع مستواه ، وذلــك بجهود الباحثين فيه . فإلى طلاب الفرقة الثالثة بكلية التربية بدمياط أقدم هذه المذكرات فى مادة " أصول التربية " والتى تحوى موضوعات تشمل :

التربية ، وظيفتها ، أهميتها ، العملية التربوية ، التنشئة الاجتماعية ، التربية والتغيــر الاجتماعــى ، التخطيط التعليمى ، التربية الإسلامية ، الثقافة ، اقتصاديات التعلــيم . وذلــك مــن أجــل أن يتسع تفكير طالب اليوم ، ومعلم المستقبل ، عمقاً ومحتوى .

والله الموفق ،

أ.د / فاروق عبده فليه

٢٠٠٠

الفصل الأول

ضرورة التربية ووظيفتها

معنى التربية وضرورتها :

التــربية عــند المربين فى معناها الاصطلاحى ، عملية تكييف بين الفرد وبيئته وهــذه العملــية تنشــأ عن اشتراك الفرد بطريقة مباشرة أو غير مباشرة فى الحياة الاجتماعــية الواعية للجنس البشرى ، وباستمرار هذه المشاركة واتصالها ، تتشكل عــادات الفرد واتجاهاته ، وقيمه الفكرية والخلقية والاجتماعية . فهى تمثل الحصيلة الكلــية لاتحــاد الخبــرات الإنسانية التى تشكل ما يسمى بالشخصية ، فتبدو من هنا مــتطورة مســتمرة تســير داخل الإنسان ، هادفة إلى أن يصبح إنساناً فيه خصائص الكائن الإنسانى من التفكير والإرادة والوجدان .

ويختلف معنى التربية ومفهومها باختلاف ميادين الدراسة النفسية والاجتماعية والحضــارية فــى نظــرتها للفرد والمجتمع . فأحياناً تفهم التربية على أنها التعلم ، ولكــنها تعنى فى الواقع ما هو أكثر من التعلم ، إنها الوسيلة التى يحدث من خلالها التغيير فى السلوك ، وأحياناً تفهم التربية على أنها نقل التراث الثقافى .

ولكن هذا المفهوم لا يعبر عن دورها الأساسى ، فدورها الفعال يتمثل فى إثراء الخبــرة كأســاس لنمو النظم الاجتماعية الجديدة لتتلاءم مع تغير النظم الثقافية ، إن معنــى التــربية لابــد فيه من هذين المفهومان معاً ومع هذا تظل قاصرة عن تحقيق دورهــا المنشــود فــى عصــر تعيش فيه المجتمعات عيشة متطورة نتيجة التغيرات الناشــئة عن التقدم التكنولوجى والنمو السريع نتيجة تداخل علاقات الأفراد والدول ، وتشابك تلك العلاقات وما يحدث بين الدول من تبادل لإنتاجها المادى والمعنوى .

إن دور التــربية المنشــود لا يــتحقق إلا حــين تــزود الأمراء تبعاً لأعمارهم وقــدراتهم ومســتويات نضجهم ، بالمواقف التى تنمى العقلية الابتكارية التى تمكنهم مــن اكتشــاف آفــاق جديــدة تنهض بواقعهم الموجود ومن هنا تبدو التربية عملية ضــرورية للكــائن فــى بناء نفسه وتكوين شخصيته ، ومساعدته فى الحصول على تكيف ناجح مع مجتمعه .

وظيفة التربية :

تقــوم التربية فى إعدادها للفرد بالعديد من الوظائف ، ولعل أبرز تلك الوظائف يتلخص فيما يلى : ــ

أولاً : التربية وسيلة لبقاء المجتمع :

إن الكــائن البشرى يصارع من أجل بقائه ، ويكون صراعه هذا لجعل الطاقات المحيطة مسخرة فى صالحه . فهو يستخدم الماء والهواء والحرارة والأرض وغيرها مــن عناصــر البيئة والطبيعة استخداماً يقوم على تحويلها إلى وسائل من اجل بقائه والحفاظ بها على نفسه . وبهذا يستمر وجوده من خلال تفاعله مع البيئة المحيطة . وحــيث أن لكل شىء نهاية ، فإن استمرار الحياة لا يعتمد على تطويل البقاء للفرد . إذ تمــوت الأفــراد كمــا تموت السلالات والفصائل البيولوجية . ولكن عملية الحياة تســتمر فى أشكال متزايدة التعقيد بواسطة الكائن البشرى الذى يأتى للوجود فيواجه العقبات التى كانت تتحداه فيصرعها ويكون وجوده ذا فعالية أكثر . وهكذا يعنى القول بأن استمرار الحياة ، استمرار التكيف بين الكائن الحى والبيئة ، وهذه إحدى وظائف التربية .

وإذا انتقلــنا مــن حديثــنا عن الحياة فى شكلها الطبيعى إلى الحياة فى شكلها الاجتماعــى المشــتمل على الخبرة البشرية بما فيها من عادات ونظم ومعتقدات فإننا نجــد تطبــيقاً لمبدأ الاستمرار من خلال التجدد . نجد أنه كما يتجدد الوجود العضوى للكــائن البشرى ــ بتجدد الأجيال ــ تتجدد المعتقدات والمثل العليا والأفكار من خلال ممارســة الحــياة . إن اســتمرار الخبرة من خلال تجدد الجماعة وحياتها هى حقيقة قائمة ، والتربية بمعناها الواسع هى الوسيلة لهذا الاستمرار الاجتماعى للحياة .

إن الجماعــة الإنســانية تضــم الصغار غير الناضجين ، وتضم الكبار الحاملين لخبرتها . والصغار فى حاجة إلى الكبار وخبراتهم . ومع أن حياة هؤلاء الكبار قد لا تستمر طويلاً ، فإن حياة الجماعة تبقى وتسير فعملية الحياة والممات لكل من أعضاء

الجماعــة تؤكد ضرورة التربية لأن الأفراد الجدد القادمين إليها ليسوا فقط فى حاجة إلــى نمــو جســمانى بــل هم كذلك فى حاجة إلى نمو اجتماعى يتصل بالانخراط فى الجماعــة والمشاركة فى ميولها وأهدافها ومهارات تكوينها والإبقاء عليها . إن ذلك هــو دور الأفــراد الكبار النازحين عن الجماعة ، دورهم فى نقل خبراتهم إلى الأفراد الصغار القادمين إليها .

وكثيــراً ما نجد الفرق كبيرا بين خبرة الكبار ومستوى تحصيل الصغار فيما لو تركوا لأنفسهم كما أننا نجد الفجوة كبيرة بين خبرة الكبار ، مع تقدم المدنية وقدران الصــغار لذلك يجب بذل الجهود المقصودة والتفكير الجاد الواعى لتمكين الصغار من ممارســة النشاط الإيجابى للانخراط فى الجماعة . والتربية وحدها هى التى تملأ هذه الفجوة وتمكن من هذا النشاط .

وهكذا يوجد المجتمع الإنسانى من خلال عملية نقل عادات العمل وطرق التفكير والشعور من الكبار إلى الصغار . وبدون نقل هذه المثل والتوقعات والآراء من الكبار النازحــين عن الجماعة إلى الصغار الوافدين إليها ، فإن الحياة الاجتماعية لا تبقى ، ولو أن الأعضاء الذين يكونون مجتمعا ما يعيشون فيه أبداً ، لأمكنهم تربية الصغار . وعــندئذ تكون التربية بمثابة دافع شخصى أكثر منها حاجة اجتماعية ملحة ، ولكنها فــى حقــيقة الأمــر تكون ضرورة اجتماعية ، فكما أن التغذية والنمو لازمان للحياة العضوية ، فإن التربية لازمة للحياة الاجتماعية .

إن عمليــة نقــل الخبــرة مــن جيل الكبار إلى جيل الصغار لا تنتهى أبداً فى المجتمع . ذلك أن اختلاف الأعمار بين الأجيال فى المجتمع يبقى دائماً عليها . فموت الــبعض ومــيلاد البعض الآخر يجعل من نقل الأفكار والأفعال استمرارا لإعادة صنع الحــياة الاجتماعــية . وهذا التجدد لا يتم آلياً ولكنه يتم من خلال المعاناة والإحساس بالآلام . ومن خلال عملية نقل التراث الاجتماعى .

ثانياً : التربية وسيلة اتصال وتنمية للأفراد :

إن بقــاء المجــتمع لا يعتمد فقط على نقل نمط الحياة عن طريق اتصال الكبار بالصــغار ، أيــاً كان نوع هذا الاتصال ، ولكن بقاء المجتمع يتم بالاتصال الذى يؤكد المشــاركة فى المفاهيم والتشابه فى المشاعر للحصول على الاستجابات المتوقعة من أفــراد المجــتمع فى المواقف المعينة . إن هناك علاقات كثيرة بين أفراد الجماعة لا تكــون علاقــات اجتماعــيــة بالمعنــى الصحيح ، فهى أشبه ما تكون بعلاقة أجزاء الماكينة .

وكثيــراً مــا يستخدم إنسان إنساناً غيره إنجاز مطالب له بدون تقدير لأوضاعه العقلــية والنفســية المتصلة بإنجاز تلك المطالب . ومثل هذا الاستخدام للغير يعكس العلاقة القائمة على أساس القوة والنفوذ وليس على أساس تحقيق الأهداف أو إشباع الرغبات المشتركة .

وإذا كان هذا النوع من الاتصال بين الأفراد والجماعات يحقق نتائجه على نحو خارجى مظهرى فإن الاتصال يكون مربياً وذا أثر داخلى حين يكون قائماً على الخبرة ووحــدة الأهداف والميول المشتركة ، وذلك هو الاتصال المطلوب المفضل بين الآباء والبــناء ، وبــين المدرسين والتلاميذ ، وبين الرئيس والمرؤوس لكى نضمن وجود علاقات إيجابية ذات أثر تربوى بين أعضاء المجتمع فإن الحياة الاجتماعية لا تتطلب لــدوامها الــتدريس والتعلــيم فقط ، ولكنها تتطلب التربية لأنها تزيد الخبرة وتخلق الإحساس بالمسئولية ، وتوحد الاهتمامات فتتلاقى الاتجاهات .

وفــى هذا يقول جون ديوى : « بينما يكون كل ترابط إنسانى مربياً ، فإن الأثر التــربوى يجب أن يكون مربياً للمشتركين فيه ويكون جزءاً أساسيا فى هدف الترابط وبصــفة خاصــة فــى ترابط الكبار بالصغار » ، وتبعاً لذلك يقول : « إن أى تنظيم اجتماعــى لكــى يبقــى اجتماعــياً . يجب أن يكون مربياً للمشتركين فيه . فالتنظيم الاجتماعــى يفقد قوته التربوية إذا بقى على نحو روتينى أو شكلى في علاقاته فقط .

وهذا يقود إلى نوع من الانعزالية بين أفراده ، وعدم المساواة فى تحصيل الخبرة » ، ويضيف قائلاً : « إن عدم المساواة فى التحصيل بين الكبير والصغير لا تتطلب تعليم الأخير فقط ، ولكن تتطلب ضرورة تعديل مستوى الخبرة وتقليلها ، وتكييفها لكى يسهل توصيلها وتداولها » .

ثالثاً : نقل التراث الثقافى :

إن المجتمع يحفظ نفسه بالتجدد الذاتى المستمر ، وإن هذا التجدد يحدث بواسطة النمو التربوى للصغار من أعضاء المجتمع . فبواسطة المؤسسات المتخصصة وغير المتخصصة يحول المجتمع أعضاءه الجدد إلى أفراد حائزين لثقافته بعد أن ينقل إليهم عادات العمل والتفكير والشعور . وهكذا تكون التربية بالنسبة لهم عملية نمو من خلال نشاط الجماعة فى تشكيل أفرادها تشكيلاً اجتماعياً . وانطلاقاً من هذا المضمون ، فإن تصورنا لوظيفة التربية ينبغى أن يكون شاملاً شمول الحياة بأوضاعها ونظمها وتراكيبها الاجتماعية والاقتصادية والثقافية المتشابكة وكذلك بعاداتها واتجاهاتها وقيمها ذات الأثر الفعال فى حياة المجتمع ، إنها الحياة فى إطارها الثقافى أو الحضارى الشامل .

إن وظيفة التربية تكون أساسا فى نقل التراث من جيل إلى جيل وفى اكتساب الخبرة المتزايدة كأساس لنمو الأنظمة الاجتماعية وتعديلها وتطويرها ، كما أن للتربية دورها فى المجتمع إذ عمل على تزويده بالمواقف التى تثير وتنمى قدراته الابتكارية تفكيره الخلاق المتطلع لمستقبل سعيد من خلال حياته الحاضرة .

رابعاً : تكوين الاتجاهات السلوكية :

هذا وهنالك وظائف اجتماعية أخرى كثيرة للتربية تتحقق من خلال عمل البيئة الاجتماعية . ذلك أن الطريقة الوحيدة التى يسيطر بها الكبار على تربية الصغار إنما تحدث بالسيطرة على البيئة التى يعملون فيها ، ويفكرون ويشعرون . فالبيئة تتكون من العوامل والظروف التى تنمى النشاط المميز ، وتثيره للكائن الحى أو تؤخره

وتضعفه . إن الوسط أو البيئة . إنما تعنى النشاط البيئى كشرط للحياة بصرف النظر عـن الـنجاح أو الفشل . وتعرف البيئة بأنها كل ما يحيط بالإنسان من العوامل التى تؤثـر فـيه ويـتفاعل معها . وهى المجال الحيوى الذى لا تتم التربية على وجهها الصحيح بدونه .

إن الأثر التربوى للبيئة الاجتماعية ينعكس فى تكوين شخصية الفرد واتجاهاته العقلـية والعاطفـية وفـى تحديـد أنماطـه السلوكية . إن البيئة تتطلب من الأفراد اسـتجابات معيـنة فى مواقف معينة . فالوسط الخاص الذى يعيش فيه الفرد يقوده لـرؤية أشياء أكثر من غيرها ، ولاتخاذ أسلوب معين فى العمل بنجاح مع الآخرين . وهكذا يكتسب الفرد من هذا الوسط اتجاهاً سلوكياً معيناً يظهر فى نشاطه وتفاعله مع أهل بيئته .

وتـتكون الاتجاهـات السلوكية فى البيئة بواسطة تشكيل العادات النافعة للطفل وتثبيـتها وبتعديل دوافعه الأصلية على أساس مبدأ اللذة والألم . فلكى يحصل الطفل علـى لـذة الـنجاح ويتجنب ألم الفشل عليه أن يعمل فى الطريق المرغوب فيه من الآخـرين . وقد يشارك بطريقة حقيقية فى نشاط الكبار وعندئذ تكون دوافعه الأصلية قـد تعـدلت بحـيث أصـبح لا يعمل فقط بطريقة يقبلها الكبار ، بل لأن نفس الأفكار والعواطف التى عند الكبار قد نمت عنده ، فإنه يكسب رضا الآخرين وتوضح ذلك كما يلى :

إن القـتال أو البطولة التى تصارع من أجلها القبيلة ـــ فى أخذها بالثأر ـــ مثلا هـو نشـاط بيئى متصل بالكرامة والقتال والانتصار . وهذا الوسط البيئى يملى على الـولد فى القبيلة استعراض القوة فى الألعاب أولاً ، ثم فى الأعمال الجادة ثانيا : لأنه حـين يقاتل سيكب رضا قبيلته وتقديرها ، وحين يتخلى عن ذلك سيكون معزولا منها ومـنطويا ، لـذلك فإن دوافعه واتجاهاته فى القتال والعداد تكون قد قويت ، وتتحول أفكـاره وعـواطفه لأشياء متصلة بالقتال ، وهو بهذا يصبح عضواً نافعاً فى قبيلته .

وهكــذا تــندمج شخصيته بمكوناتها النفسية والاجتماعية تدريجياً فى شخصية قبيلته بمكوناتها النفسية والاجتماعية .

ومما يؤكد دور البيئة الاجتماعية فى تشكيل الاتجاهات العقلية والعاطفية للفرد، وتحديد نمطه السلوكى ، أنه إذا ما احتوته الاتجاهات العقلية والعاطفية للبيئة ، يكون قادراً على معرفة أهدافها الخاصة وطرق ووسائل تحقيقها . وبمعنى آخر تأخذ أفكاره ومعــتقداته اتجاهــاً مشابهاً لاتجاه مثيلاتها فى البيئة . فطريقة الحكم على الأمور ، وكيفــية تفســير الظواهــر المختلفة ، ونوعية القيم والتقاليد الحاكمة ، إنما تعكس الاتجاهات العقلية والعاطفية السائدة فى المجتمع .

ودور البيئة عندئذ يكون فى تزويد الفرد بالمواقف والمثيرات التى يستجيب لها وفق نمط الاستجابة البينية . وهكذا تكون التربية عملية تعلم لأنماط سلوكية موجودة فى البيئة لوجود مثيراتها .

كمــا أن الأنمــاط الســلوكية تخــتلف من بيئة لأخرى تبعاً لاختلاف المثيرات واخــتلاف الاســتجابات المتــرتبة علــيها . فنزول المطر فى بيئة زراعية قد يجلب الطمأنيــنة لأهلهــا ، بيــنما قـــد يــزعج أهــل البيئة الصناعية حيث يعوق حركة المواصــلات . وســلوك الحمية أو « الحماسة » عند الرجل الريفى فى موقف يتصل بملبس زوجته الريفية ، لا يكون بالضرورة مماثلاً لسلوك الرجل فى المدينة فى نفس الموقف مع زوجته الحضرية .

خامساً : **التوجيه والسيطرة الاجتماعية** :

للبيئة الاجتماعية أيضا دور تربوى واضح فى التوجيه والسيطرة الاجتماعية . ذلــك أن الكــبار يتمســكون بقــيمهم وأنماطهم السلوكية ، فيحرصون على إكسابها للصــغار . وهــم يــبالغون فــى ذلــك حيــن يتجاهلون ظروف الصغار وإمكانياتهم وتطلعــاتهم . وتأكــيدا لفعالــية هذا الاتجاه البيئى ، فإن حركات الإصلاح الاجتماعى والــثورات الاجتماعــية تلجــأ للتــربية كأداة لتحقيق أهدافها الاجتماعية عن طريق

إكســـابها لأفراد المجتمع من خلال تثبيت القيم والأفكار الجديدة وما يترتب عليها من تعديل وتغيير فى أنماط السلوك .

سادساً : تحقيق النمو الشامل :

والتربية تهيئ الوسائل المختلفة لتحقيق إمكانيات النمو للطفل عقلياً واجتماعياً وجســمانياً ، والبيئة هى الوسط التربوى لذلك ، فالطفل يعتمد على الكبار فى إكسابه الخبـرة اللازمـــة لــتفاعله وتكيفه مع الآخرين وتكتسب هذه الخبرة بتكوين العادات الإيجابية التى يسيطر بها الطفل على بيئته ويستخدمها فى تحقيق أهدافه .

والعـــادة تأخــذ شــكل الاتزان العام المستمر لنشاط الإنسان مع ما يحيط به . وكـــذلك تتمـــثل فـــى الطاقـــة الإيجابية التى تعيد التكيف لمواجهة الظروف المتغيرة والجديدة .

لـــذلك فإن العادة فى شكلها ومضمونها ، تعطى أساس النمو وتكونه . وحديثنا عـــن العادات ودورها فى تشكيل نمو الفرد ، ينصب على العادات الإيجابية التى تنمى القدرات الابتكارية والخلاقة ، وهى تتعارض مع العادات بشكلها ومضمونها الروتينى كأسلوب تفاعل يعترض النمو .

وهكـــذا نخلـــص إلى أن عملية النمو تستلزم وجود شرطين هما الاعتماد على الآخـــرين والمـــرونة . وحيث إن النمو هو خاصية الحياة ، والتربية هى النمو فليس لها إذن غرض أبعد من ذاتها فى أنها الحياة .

سابعاً : اكتساب الخبرة :

والتربية عملية اكتساب خبرات اجتماعية . والبيئة الاجتماعية هى وسيط ذلك . فالطفـــل حين يتفاعل مع الأفراد والجماعات تفاعلاً يشبع حاجاته الاجتماعية والعقلية والجســـمية ، يكـــون حريصاً على اكتساب رضاهم وعلى اكتساب المزيد من الخبرات بهدف سرعة التكيف والاندماج فى الحياة . وهو لهذا ينضم إلى الجماعات لكى يشعر

بالانتماء إلى الجماعة فيشعر بكيانه وباستقراره النفسى . وعملية الانتماء للجماعات عملية هامة فى بناء المجتمع وتماسكه . فهى القوة التى تشد المجتمع لبعضه وتجدد بقاءه من خلال استيعاب قيم الحياة ، ونقل تراثها الثقافى ، ومشاركة نشاطها الإيجابى على أساس رصيد الخبرات والمعارف والاتجاهات والمهارات الحالية التى يسعى دائماً لزيادتها وتنميتها تمشياً مع تغير مواقف الحياة وحاجته للتكيف مع هذا التغيير .

ثامناً : اكتساب اللغة :

يتضح أثر البيئة فى تعليم اللغة وتحصيل المعرفة . فالطفل يتعلم اللغة وأساليب الكلام من مخالطيه فى مراحل نموه الأولى . وتكون اللغة والمعرفة عندئذ فى أبسط صورهما . فالطفل عند سماعه للصوت فإنه غالباً ما يسميه مصاحباً أو مرتبطاً بشىء محسوس .

كما أن هذا الشىء والصوت الدال عليه يتكرران بالنسبة للطفل . وتبعا لذلك يصبح الطفل طرفاً آخر فى عمل مشترك يسمع فيه ذلك الصوت . وباستعمال هذا الصوت مع هذا الشىء فى مواقف ذات نشاط مشترك بين طرفيه تكون المعرفة فى أبسط صورها . أى أن الأشياء والأصوات الدالة عليها تستخدم أولا فى نشاط مشترك كوسيلة لإعداد اتصال إيجابى فعال بين الكبير والصغير .

والأم حين تقدم لابنها لعبة أو كساء أو غذاء ، فإنها تنطق صوتا معيناً يصاحب تقديم هذا الشىء . وبما أن الابن سيكون طرفاً فى هذا الاتصال لأن الأمر يعنيه ، فإنه يكون طرفا فى نشاط إيجابى وظيفى ، فيتعرف على الشىء وعلى اسمه . وهنا تكون اللغة كصوت وأداة تعبيرية عن الأشياء ومعانيها قد اتضحت للطفل .

وبتكرار هذه المواقف التى تتصل بحاجات الطفل . واهتماماته فإن التعرف على الأشياء ومعانيها يكون أول مستويات الخبرة المحسوسة وهكذا تنمو المعرفة والخبرة

عـند الصغير بسيطرته على اللغة وأساليب الكلام كأدوات اتصال لها معانيها وقيمتها عند الأطراف المشتركة فى مناشط الحياة ومواقفها .

تاسعاً : اكتساب القيم الخلقية والجمالية وتذوقها :

لقد عرفنا أن للبيئة تأثيرها اللاشعورى فى اكتساب عادات اللغة وأساليب الكلام من خلال نشاط الصغار وتفاعلهم مع الكبار . كما أن هذا التفاعل يترك آثاره العميقة فـى إكسـابهم القـيم والاتجاهات والعادات الخلقية . إننا كثيراً ما نقول إن الأخلاق الطيبة تأتى من النشأة الطيبة أو هى النشأة الطيبة .

والنشـأة الطيـبة تأتى من الفعال المعتادة فى مناشط الحياة كاستجابة للمثيرات المعـتادة المألوفة ، وليست من المعلومات . بمعنى آخر . إن النشأة الطيبة والأخلاق الطيبة تتأتى من الأفعال الملموسة فى نشاط الحياة أكثر مما تتأتى من أساليب الوعظ والإرشاد فالأخلاق تتكون من خلال الممارسة .

والانخـراط فى مواقف الحياة حيث يكون التعامل مع الأفراد والجماعات وحيث يكون اكتساب القيم والاتجاهات والعادات ذات الأثر الإيجابى البناء كالتعاون والتساند الاجتماعـى ، وحب الخير وكره الشر ، وفق ما تحدده البيئة من معايير الخلق الطيب والسلوك الحميد الذى فيه خير ضمان لسلامة كيان الفرد والمجتمع .

وكـذلك يمـتد أثر البيئة اللاشعورى إلى تربية الذوق السليم وتقدير الجمال من خـلال مـا تستشعره النفس من المعانى الجميلة فى آداب السلوك الإنسانى ، وآداب الحـديث فى المناسبات والمواقف المختلفة ، وكذلك من خلال ما تراه العين فى البيئة مـن معـالم الجمـال وإدراك علاقاته المتمثلة فى حسن التنظيم للأشكال والعناصر . فجمال الطبيعة والنظم المعمارية فى البناء ، وأناقة الحدائق وتنسيق الميادين ونظافة الشـوارع ، بالإضـافة إلـى حسن تأثيث البيت وأدوات تزيينه ، وكذلك فى انسجام الأزياء وتنويع أشكالها وألوانها ، كل ذلك يترك أثره العميق فى إكساب الصغار اتجاه حب الجمال وتقديره وانعكاس ذلك فى ممارستهم اليومية .

التربية المقصودة وغير المقصودة « التربية المدرسية واللامدرسية » :

لقد عرفنا أن الاستمرار والتجدد والنمو المطرد ، من طبيعة الكائن الحى . عن طريق التفاعل مع البيئة الخارجية . وعرفنا أن الإنسان إلى جانب استمراره الحيوى ، يستمر استمراراً اجتماعيا . فالحياة الاجتماعية تسمى حياة لأنها تتصف بالدوام عن طريق التجدد والاستمرار . وإن هذه الحياة عند ديوى تسمى بالخبرة واكتساب الفرد للخبرة يتيح للمجتمع الاستمرار والتجدد .

كما أن اكتساب الخبرة مقصودة أو غير مقصودة هى التربية بعينها . إذن لا سبيل إلى تجدد الحياة الاجتماعية واستمرارها وإعادة تكوينها بدون التربية . ونوضح فيما يلى كيف تكون التربية المقصودة وغير المقصودة فى المجتمع فكلما ازداد المجتمع تعقيداً وتنفيرا ، احتاج إلى التربية المقصودة كذلك يكون المجتمع فى حاجة إليها حينما يبلغ مستوى حضاريا ناميا أو يواجه منتضيات التغيرات الاجتماعية التى تحدث نتيجة لتزاوج الثقافات أو الثورات السياسية والصناعية والاجتماعية كما أن حاجة المجتمعات البدائية إلى التربية المقصودة لا تكاد تذكر ، لأن حياتها ونظمها بسيطة وتسير على نحو يبقيها لحد كبير فى قوالبها وأنماطها المعروفة .

التربية بمعناها الواسع « التربية غير المقصودة » :

إن التربية ــ كعملية فردية ــ بمعناها الواسع وبصورتها غير المقصودة قد وجدت بظهور أول كائن حى لديه القدرة على التعلم . وكعملية اجتماعية ، فإنها وجدت منذ أن كان لدى الأعضاء نفس القدرة من خلال ترابطهم فى جماعات .

وهكذا فإن الإنسان قد مارس عملية التربية من خلال حياته الطويلة على الأرض . فحيث استجاب الإنسان فى غير كفاية لبيئته ، وحيث كان الإنسان موضع تأثير بين زملائه فإن عملية التربية تتقدمه . وفى إيجاز فإن كل الناس الأحياء يربون ، وإن عملية التربية تكون متقدمة أو متأخرة تبعاً للظروف والعوامل الداخلية والخارجية للكائن العضوى فى المجتمعات المختلفة . فمنذ فجر البشرية والحياة

قائمـــة علـــى نحو موروث لحد كبير فى المجتمعات البدائية ، ذلك أن الحياة بشكلها الـرتيب تتـــناقلها الأجـــيال من بعضها عن طريق التربية غير المقصودة . إن الأب يصـــحب أبناءه معه فى مناشط الحياة المختلفة التى تتصل بإشباع حاجاتهم فالخروج للصـــيد ومـــا يلزمه من تجهيز وإعداد أدوات الصيد ، والتعرض للأخطار ومغالبتها ، ومهـــارات لصيد باختلاف أنواعه ، كل هذه العمليات التى تتصل بفن الصيد وأساليبه ومهاراته إنما يتعلمها الأبناء وفقاً لأساليب معينة تقوم بها الجماعة التى ينتمى إليها الأبناء .

وكذلك ترافق البنات الأمهات فى مناشط الحياة المنزلية كإعداد الطعام ، وصنع بعـــض الأوانـــى والأوعية اللازمة ، وأيضاً فى حمل الأطفال الصغار ورعايتهم وغير ذلك من الأعمال التى تتصل بشئون المنزل .

وعلـــى هـــذا الـــنحو يشـــترك الأولاد والبنات. كل فيما يخصه وفق نظام حياة الجماعـــة — فى مناشط الحياة المتصلة بإشباع الحاجات الأساسية كالمأكل والمسكن والملـــبس وغيـــرها . هـــم فى هذا يصاحبون الكبار ويشاركونهم أعمالهم وأفعالهم وأحاديثهم ، فيكتسبون الخبرة والعادات والمهارات المتصلة بأوضاع الحياة وأنماطها وقيمها .

وبالـــرغم مـــن وجود بعض الأعمال والمهام التى يمارسها الكبار من الجنسيين كـــل على حده ، فهناك كثير من الأعمال التى يشترك فيها الجنسان معاً كجمع الوقود والإعـــداد للأكـــل والإعداد لأعمال البناء وعمل بعض أنواع النسيج للكساء والغطاء وعمـــل أوانـــى المأكـــل والمشـــرب وإعداد السلاح للصيد وللقتال . هذا فى الجانب الإنتاجـــى المـــادى . كـــذلك كانـــت المشاركة بين الجنسين معاً فى الجوانب الفكرية والمعنوية كمناقشة شئون حياتهم الخاصة التى تتصل بجماعتهم ، والعامة التى تتصل بعلاقـــاتهم بالجماعات الأخرى المجاورة ، هذا فضلاً عن المشاركة فى إحياء الحفلات والمراسيم الخاصة بالزواج والوفاة والطقوس الدينية .

وحياة الجماعة على هذا النحو ، سواء كانت الجماعة فى شكلها القبلى أو الأسرى إنما تشكل وحدة اقتصادية واجتماعية متماسكة يلعب كل فرد فيها دوره الخاص والعام بشكل يؤثر فى نشاطها الكلى فيأخذ طالباً معيناً يتمثله الكبار والصغار فى القبيلة أو الأسرة . فيتمثله الصغار عن طريق تقليد الكبار فى حركاتهم ومشاركتهم أعمالهم ، وفى محاولتهم إتقان مهاراتهم وحرفهم . وهم من خلال ذلك ، إنما يكتسبون الخبرة والعادات والمبارات المتصلة بحياة الأسرة ونشاطها . كما يكتسبون اتجاهات التفكير وطرقه على نحو يؤكد قيم الحياة الأسرية ويحدد أنماط سلوكها .

واكتساب الخبرة على هذا النحو الشامل الواسع إنما يعنى التربية بمعناها الواسع . وهى تربية غير مباشرة عاشها الصغير بطريقة عرضية وطبيعية من خلال مواقف الحياة ومعانيها المحسوسة لديه لقد عاشها الصغير فانفعل واستثير واستجاب ثم عدل من انفعالاته واستجاباته وفق مقتضيات مواقف الحياة التى يخططها له الكبير . وهكذا عاش الصغير نوعا من التربية التى تعده للحياة .

التربية بمعناها الضيق « التربية المقصودة » :

ثم تطورت التربية بمعناها الواسع . بتطور الحياة فى المجتمع البدائى حيث تعددت مناشط الحياة فظهرت الحاجة إلى جماعات ذات وظائف معينة وخاصة حددها لها المجتمع وفقا لحاجته لها من ناحية ، وتمشيا مع تنمية نشاط هذه الجماعات وتخصصاتها من ناحية أخرى .

فحاجة المجتمع إلى من يضع له خطة القتال وفنونه ويصنع له الأسلحة والعتاد ، وحاجته لمن يمنع عنه الأذى والشرور الغيبية والكونية ولمن يشفى مرضاهم ويعالجهم ، وحاجته لمن يبنى البناء ويصنع الكساء ولمن يقومون بالحرف اللازمة له ، إن حاجته لهؤلاء جميعا قد أوجدت جماعة الكهنة والأطباء والمحاربين والصناع الحرفيين . وكان أن تبع هؤلاء جميعاً فى تخصصاتهم، الصغار والشباب

الـذين يـرغبون فـي تأكـيد اعتـراف الكبار بهم . ليأخذوا التدريب الكافى فى هذه التخصصـات المهنـية المخـتلفة بواسـطة تلك الجماعات المتخصصة . وكانت هذه العملية التدريبية والتعليمية هى ما عرف بنظام الصبينة .

الجماعات التعليمية :

ثـم زاد تطـور الحياة فى المجتمع وازدادت معه هذه الجماعات ذات الوظائف المتخصصـة فوضـع المجـتمع هـذه الجماعات فى مراتب ومراكز اجتماعية تتفق وأهميتها له .

كمـا وضعت كل جماعة منها لنفسها النظم والشروط الخاصة بالانتماء إليها . ووضـعت كـذلك نظـم التعليم والتدريب وطرقه ومقرراته ومعايير حصيلته . وهكذا انـتقلت هـذه الجماعـات إلى طور آخر يتصل بمدى كفاءتها فى تخصصها ، فكانت تعاليم الكهانة ومهاراتها الخاصة بالسحر وأغانى الطقوس والحفلات الدينية .

وكذلك كانت تعاليم الحرف وأجواء مشايخها التى تشهد لمن أتم تدريبه بأنه قد أجادهـا ، واصـبح عالمـاً بأسرارها كما كانت الحفلات التى تقام خصيصا لمن أنهى تعلـيمه وتدريـبه حيث يشترك فيها الأهل والأصدقاء وذوو الأعمار المتفاوتة احتفالاً بتخـرج الصـبى . وفى هذا اعتراف جماعى بأنه قد صار عضوا نافعاً فى المجتمع . وعندئذ تتخذ المراسيم الخاصة بإقامة الطقوس الدينية والاجتماعية .

وهكـذا كانـت تلك الحفلات والطقوس بمثابة حفلات التخرج لأعضاء المجتمع العاملين المشهود لهم بزيادة خبرتهم .

وتمتد جذور هذه الجماعات التعليمية فى أعماق التاريخ القديم على نحو تختلف فيه كظواهر اجتماعية باختلاف نوعها ، وباختلاف المجتمع الذى ظهرت فيه . فنظام الكهانـة وجماعتها قد ظهر قديماً عند الفراعنة كظاهرة دينية واجتماعية ، حيث لعب الكهـنة دورهـم الدينى وسط جو خاص فى تعاليمه ومراسيمه وطقوسه على أساس

السيطرة على معارف ومهارات معينة كانت حكراً عليهم وعلى من يتعهدونه بتعليمه مـن أبـناء الخاصة . وكانت مهارة الكتابة فى رموزها التعبيرية على ورق البردى مقصـورة عليهم ، أى أن الكهانة كظاهرة دينية قد صاحبتها ظاهرة اجتماعية أخرى هى الظاهرة الاجتماعية التعليمية لأبناء علية القوم وخاصتهم .

ونظـام الجـدل والسفسـطة فى القول كظاهرة تعليمية ، قد وجد فى المجتمع الإغريقى القديم حيث عنى بأمور الدين والدنيا فى قضايا فلسفية ومنطقية . وكان أن ارتـبطت هـذه الظاهـرة بوقت فراغ الناس ، حيث كان هذا الفراغ ميسوراً للخاصة وغيـر ميسـور للعامـة المشتغلين بشئون الحياة وأكل العيش . لذلك فقد أخذت هذه الظاهرة التعليمية وضعاً اجتماعيا مميزا حمل مفهوم التعليم للأحرار .

وكـذلك تمتد جذور جماعة التعليم الحرفى إلى العصور الوسطى وما قبلها حيث كان النظام الإقطاعى يسيطر على كثير من المجتمعات ولاسيما فى أوروبا حيث كانت كـل مقاطعة تعيش فى عزلة عن الأخرى تحت سيطرة أمير إقطاعى وتعيش فى حالة مـن الاكتفاء الذاتى على إنتاجها الزراعى وكان العمل الزراعى يستلزم إنتاج أو عمل الأدوات الـزراعية وغيرها من الصناعات الريفية اللازمة لحياة الفلاحين مثل أشغال وحـرف الحـدادة والنجارة والبناء والنسج إلى جانب بعض المشغولات اليدوية ذات القيمة الفنية التى كان يقتنيها الخاصة من القوم .

وكان يقابل ذلك فى مجتمعنا العربى نظام مماثل للحرف والصناعات الريفية من حيث ارتباطها بحياة الفلاحين فى المجتمع الريفى .

أمـا فـى المـدن الكبيرة فقد كان لكل حرفة يدوية شيخ يتمتع بمركز اجتماعى متميـز . وخاصة بالنسبة لتابعيه من صبيانه ، وكان بعد وفاته يجتمع رجال الحرفة لانـتخاب شـيخهم الجديد . كما كانت هذه الحرف والصناعات تورث من الوالد الذى يشتغل بها إلى أبنائه من بعده .

وإلى جانب تلك الجماعات التعليمية ذات النشاط الأساسى فى حياة المجتمع ، كانت هناك أيضاً الجماعات التعليمية ذات التخصصات النوعية المحددة ، ككتابة السجلات الرسمية وحجج التمليك ، وأعمال المساحة وغير ذلك ، وكان لها أيضاً تابعوها من الدارسين هذا ومازال مجتمعنا يحتفظ بأنماط هذه التخصصات ونشاطها المتمثل فى أعمال « الكتبة العموميين » أمام المحاكم وغيرها حيث تكون الحاجة لصياغة نمطية معينة فى الكتابة لا يجيدها كل من يقرأ ويكتب .

ونخلص من ذلك كله إلى أن هذه الجماعات التعليمية كظاهرة اجتماعية قديمة قد لقيت دوراً وظيفياً هاماً للمجتمع . ذلك أنها ارتبطت بظواهر أخرى دينية وثقافية واقتصادية واجتماعية .

وعملت على تأكيدها وتطويرها واستمرارها من خلال تعاقب الأجيال . وكذلك فقد أكسبت العاملين منها والمنتمين إليها وضعاً اجتماعياً مميزاً ، لأن الحاجة إلى المتخصصين فى شئون الحياة الدينية والاقتصادية والاجتماعية أصبحت تزيد بزيادة تعقيد الحياة وبزيادة تراثها الحضارى .

التعليم المباشر :

وعلى هذا النحو أخذ التعليم شكلاً مباشراً وأخذت التربية المقصودة طريقها إلى المجتمع . وبمرور الزمن ازداد تطور الحياة وازداد تراثها ، فكانت الحاجة إلى زيادة الكفاءة لدى تلك الجماعات التعليمية فأعطاها المجتمع ، كما أعطت هى لنفسها حق التفرغ لممارسة نشاطها وتعميق تخصصاتها ، فانعزلت تدريجياً عن ممارسة النشاط العام فى المجتمع ، وهكذا تهيأت الأوضاع فى المجتمع لاستقبال نظم التعليم والتدريب وطرقه ومقرراته ، كما تهيأت لشكل جديد لمؤسسة تربوية هى « المدرسة » .

وهكذا اتجهت التربية المدرسية وجهة يتحقق فيها هدف الارتفاع بمستوى الصغار لكى يشاركوا على قدم المساواة فى مناشط الكبار الذين شغلوا فى شئون حياتهم الكثيرة والمتشابكة ، التى لم تعد تسمح لهم بالوقت الكافى لتعليم أبنائهم ،

كمـــا أن هـــذا الاتجـــاه المدرسى قد استلزم نوعاً من التفرغ لبعض الوقت من جانب الصغار كى ينتظموا فى دراستهم وتدريبهم طوال فترة الدراسة .

ونتـــيجة لهذه التطورات أخذ التعليم المدرسى اتجاهاً طبقياً ، لأنه ارتبط بإعداد بعـــض الأفـــراد للانشغال بالمناشط الخاصة وإكسابهم أوضاعاً اجتماعية مميزة على نحو ما ذكرناه من قبل .

هـــذا مـــن ناحـــية ، ومن ناحية أخرى فقد أخذ التعليم المدرسى اتجاهاً تربوياً يخـــتلف دوره ووظيفـــتـــه فـــى الحـــياة عـــن اتجاه التربية غير المقصودة ودورها ووظيفتها . ذلك أنه بسبب التقدم العلمى فى اختراع الطباعة .

ظهـــرت أســـاليب أخرى فى نقل التراث الثقافى وتسجيله فى الكتب المطبوعة ، كمـــا كـــان لـــذلك أثره من حيث الكم والكيف ، فكان أن زاد التراث المسجل واختلف مضـــمون التـــراث ومحتواه كما اختلفت نماذجه المسجلة وخضعت لأساليب مجردة ، وفـــى نفـــس الوقت تأثر التراث فى نقله وصياغته التعليمية بحركة التربية واتجاهها نحـــو تفهـــم خصائص الطبيعة البشرية وإلى المعرفة ومقتضياتها حيث كانت الحركة الفكرية والثقافية تسير فى هذا الاتجاه .

ولقـــد كـــان لذلك كله أثره الواضح فى شكل التعليم ونظامه وأصوله حيث أبعده عن اتصاله المباشر بالحياة وقيمتها ومضامينها المحسوسة .

ومما تقدم نلاحظ أنه مع تقدم المدينة فى المجتمع . تتسع الفجوة بين إمكانيات وقدرات الصغار وبين اهتمامات الكبار وخبرتهم فالتعليم بالمساهمة المباشرة فى عمل الكبار يكون صعباً فيما عدا الأعمال الأقل تقدماً .

إذ أن معظـــم ما يعمله الكبار يكون أبعد فى معناه ومستواه عما تستطيع ظروف التقلـــيد واللعب أن تصل إليه . لأن القدرة على المساهمة الإيجابية فى أنشطة الكبار يعـــتمد علـــى الـــتدريب الســـابق الـــذى يقـــدم خصيصاً للصغار عن طريق الأجهزة

المتخصصة كالمدارس ، حيث تكون البرامج والخطط المعدة ، وتكون مهمة التدريس معطاة للمتخصصين .

وبدون مثل هذه التربية المقصودة ، لا يمكن نقل كل مصادر المعرفة وحصيلتها فى مجتمع تعقدت وتشابكت أوضاع حياته .

كمــا أن هــذه التربية تفتح الطريق لنوع من الخبرة لم تكن متاحة للصغار لو أنهــم تــركوا لالــتقاط تدريبهم من خلال عضويتهم فى جماعات المجتمع عن طريق التــربية غيــر المقصودة . ذلك أن الكتابة والطباعة لعبتا دوراً كبيراً فى حفظ التراث الثقافــى ومصــادر المعــرفة ، وهما بهذا تكونان سجلا وافيا وأميناً على هذا التراث لتقديمه للصغار قبل ضياعه أو العبث به أو تقديمه بطريقة غير مترابطة .

موازنة بين التربية المقصودة وغير المقصودة :

ولكــن هــناك مســاوئ فــى الانــتقال من التربية المقصودة إلى التربية غير المقصــودة ، فالمشاركة فى الأعمال الحقيقية سواء كانت مباشرة أو غير مباشرة ، هــى مشاركة شخصية وحية . وهذه قيمة تربوية فى ذاتها تعوض قلة وجود التربية المقصــودة ، التى كثيراً ما يكون التعليم فيها جامداً ومجرداً وكتبيا **Bookish** بينما نجد فى التربية غير المقصودة ، أن تجمع المعرفة الموجودة فى المجتمعات البسيطة له أهميته التربوية . إذ يوضع موضع التجربة والمعايشة اليومية ، كما أنه يظهر فى أعمق معانيه فى الاهتمامات والمصالح اليومية .

إن المــادة التعليمــية فــى مدارس المجتمعات المتقدمة ، تتجمع كما ذكرنا فى رموز وقوالب فكرية مجردة لأحداث الحياة وموضوعاتها المعروفة . وهى بذلك تكون قــد وضــعت فــى نمــاذج فنية وصيغت فى سطحية مصطنعة ، لأنها كمادة دراسية للمــدارس تكــون منعزلة عن المادة الدراسية فى خبرة الحياة ، مما ينتج عنه ضياع الــرغبات والاهــتمامات الاجتماعــية الدائمــة فى المجتمع . وهكذا نصل إلى الفكرة

العاديـــة للتــربية ومفهومها القديم الذى يتجاهل ضرورتها الاجتماعية وفعاليتها فى التــرابط الإنســانى الــذى يؤثر فى الحياة الواعية ، ذلك المفهوم الذى يقتصر دور التربية فيه على التعليم من خلال الرموز اللفظية كأداة لتحصيل المعرفة .

لــذلك فــإن دور المسئولين التربويين كبير ، لأن من أهم مشكلات التربية التى يجــب أن يعــنوا بهــا هى الطريقة التى تحافظ بها على التوازن الصحيح بين طرق التربية المقصودة وغير المقصودة .

فبيــنما تخلــق المدرسة فى الدارسين الحمية فى التعليم يجب عليها أن تتجنب عزل ما تعلمه الدارسون بوعى لأنهم يعرفون أنهم تعلموه خصيصا ، وبين ما تعلموه لا شعوريا لأنهم اكتسبوه أثناء تكوينهم الشخصى بانخراطهم فى الحياة مع الآخرين . فاكتســاب المعرفة العقلية والمهارات الفنية يجب أن يتم فى شكل خبرة حية تؤثر فى تكوين الحياة .

وحيث أن التربية المقصودة تزداد وتنمو ، فإن خطر وجود انفصال بين الخبرة المكتســبة من الترابط المباشر للناس وبين الخبرة المكتسبة من المدرسة يكون دائما قائمــا ، ولــم يكــن هــذا الخطر بأشد منه الآن على حساب النمو السريع للمعرفة والمهارة الفنية والتكنولوجية .

وفــى ضــوء ما قلناه فى موضوع التربية المقصودة وغير المقصودة نود أن نؤكد بعض الأمور الهامة فى هذا الخصوص كما يلى :

١) أن التــربية غيــر المقصــودة هــى عملية قائمة منذ قيام المجتمع وأن التربية المقصــودة قــد لازمــتها ولكنها أخذت أشكالا ومضامين تختلف كماً وكيفاً تبعاً لــتطور الحياة فى المجتمع . فحيث تكون الحياة بسيطة ورتيبة تقل الحاجة إلى التــربية المقصودة ، وبالتالى فإنها تأخذ أشكالاً مبسطة وتحمل مضامين عامة . وحين تتطور الحياة ويزداد تعقيدها ، فإن التربية المقصودة تأخذ أشكالاً واضحة المعــالم وتحمــل مضــامين محددة ومتخصصة فإن التربية المقصودة ــ كنظام

تربوى ـ قد أخذت أشكالاً عدة فى تطورها ، ارتكزت على تعليم الصغار بواسطة الكبار بطريقة واعية ومباشرة . تلك هى أشكال الأسرة الكهانة . مجالس السفسطة والجدل ، الصبينة ـ المدرسة .

٢) أنه بالرغم من اختلاف نوعية الخبرة المكتسبة وطبيعتها فى كل من التربية المقصودة وغير المقصودة فإن الحاجة لهما معاً كنوعين من التربية ، تبدو هامة بشرط توافر نوع من التوفيق بينهما . ذلك أن طبيعة حياة الأفراد تستلزم بقاءهم فترة تطول أو تقتصر خارج المدرسة ، حيث تكون ارتباطاتهم مع الجماعات وبالتالى تكون تربيتهم غير المقصودة مستمرة . هذا من ناحية ، ومن ناحية أخرى فإن زيادة التراث الثقافى وتقدم الحياة وخاصة فى جوانبها التكنولوجية قد أوجد نوعاً من حتمية اكتساب الخبرة المتخصصة عن طريق المدرسة ـ لذلك فإن ما يضيق شقة الخلاف بين نوعين من الخبرة المكتسبة ويعمل على التوفيق بينهما، هو الالتقاء بينهما من حيث تفهم كل من المدرسة وهيئات المجتمع لدورهما التربوى .

فيجب على المدرسة بصفة خاصة أن تتفهم دورها التربوى على نحو تعد فيه الدارسين كمواطنين يعيشون حياتهم الحاضرة بطريقة إيجابية وإنتاجية ، وكذلك يجب على هيئات المجتمع ومؤسساته أن تفهم حقيقة أهدافها وما تتضمنه هذه الأهداف من قيم ديموقراطية وتربوية تجاه أعضائها . ويكون ذلك بإيجاد نوع من العلاقات والاتصالات بين المدرسة والمجتمع لتأكيد التفاعل الإيجابى الذى يكسب الأفراد النمو والخبرة .

الفصل الثانى

العملية التربوية

طبيعة العملية التربوية :

لقد عرفنا أن التربية بمعناها العام تعنى تحقيق النمو السليم المتكامل لكل من الفرد والمجتمع ، وإيجاد فرص التكيف بينهما . وذلك يعنى أن التربية من حيث إنها ضرورة اجتماعية للفرد ، هى ضرورة لاستمرار حياة المجتمع . وعرفنا كذلك أن البيئة الاجتماعية هى المجال الحيوى لفعل التربية ، وهى الإطار الاجتماعى الثقافى الذى يتفاعل فيه الفرد والذى تتكون من خلاله شخصيته .

ومن هذه الحقيقة لطبيعة العملية التربوية ، تظهر لنا أهمية أبعاد العملية التربوية وهى : الطبيعة الإنسانية بخصائصها المتغيرة وقدراتها المرنة ، والكيان الثقافى الذى يتمثل فى البيئة الاجتماعية بجميع جوانبها ، ثم التفاعل الذى يحدث بين هذه الطبيعة الإنسانية والبيئة الاجتماعية . ولما كانت هذه الأبعاد تتلاقى وتحدث أثر التربية فى المجتمع ، فإنه بذلك يتكون المجال التربوى الشامل .

وهذا المجال من ناحية أخرى يشتمل على مجالات تربوية أخرى لها أهميتها ، تلك هى الوسائط التربوية التى تتمثل فى المؤسسات الاجتماعية كالمنزل والمدرسة والمجد والنادى والصحافة والإذاعة والتليفزيون والسينما وصندوق التوفير والجمعية التعاونية والمقهى ، وغيرها من المؤسسات التى تؤثر بطريقة مباشرة أو غير مباشرة فى تربية الفرد والجماعة .

وبقدر العطاء التربوى لكل من هذه الوسائط التربوية ، تتحدد قيمتها وأثرها التربوى فى الفرد . وسنتناول فى هذا الباب هذه الوسائط التربوية فى ترتيب يتفق وأثر كل منها ، مدركين أنها متداخلة فى بعضها البعض ومكونة للبيئة الاجتماعية التى تؤثر فى الفرد فى إطار ثقافة المجتمع .

والمجتمع الذى يعتبر هدفه الأساس وغرضه السامى تكوين الفرد تكويناً سليماً ، يطلق عليه بعض العلماء اصطلاح المجتمع المربى The Educative Society . هذا فضلاً عن أننا سنوضح أهمية الديمقراطية للمجتمع فهى طريقة

للحـــياة تتمثل حق الأفراد والجماعات وقدرتهم على تشكيل قيم الحياة فى المجتمع . وإنـــه لكـــى يكـــون مجتمعاً مربياً . ينبغى عليه أن يتخذ من التربية الديمقراطية أداة لتحقيق أهدافه التقدمية .

المؤسسات الاجتماعية كوسيط تربوى :

والمجـــتمع فـــى تحقـــيقه لأهدافه ، يقيم المؤسسات الاجتماعية لتقابل حاجاته الأساســية المتصـــلة بإعداد الفرد للمواطنة الصحيحة . والمؤسسات الاجتماعية هى الأنمـــاط الاجتماعـــية لأنـــواع الســـلوك الوظيفى التى يمارسها الأفراد والجماعات . وتتركـــز هـــذه الأنواع من السلوك فى الوظائف الأساسية كإنجاب الأطفال ، وتدريب الأفـــراد وتربيتها وسعيهم فى كسب العيش ، وتحديد أنواع العلاقات والاتصالات بين بعضهم البعض ، وعلاقة الأفراد بالقوى الإلهية ، بالإضافة إلى وظائف أخرى تختلف باخـــتلاف أســـاليب الحـــياة فـــى المجتمعات ويوضح « كلباترك » معنى المؤسسات الاجتماعـــية فـــى أنها تشمل كل التنظيمات الاجتماعية المختلفة التى يقيمها المجتمع لتنظيم علاقات الأفراد لتحقيق حياة أفضل لهم .

شكل المؤسسة ومضمونها :

وللمؤسسة الاجتماعية مفهومها أو مضمونها الذى تقوم عليه ، وهى مجموعة الوظائف والتى تقوم بها المؤسسة والتى تتشابك أو تتعاون مع بعضها فى وقت ما . والمؤســـســـة فـــى شكلها ومضمونها تتمثل فى كل وظيفى متكامل يستمد مقوماته من النظام الثقافى الشامل للمجتمع .

فمفهـــوم الأسرة كمؤسسة اجتماعية ، مفهوم واحد فى كل المجتمعات الإنسانية وهو إنجاب الأفراد للمجتمع حرصاً على بقائه واستمراره ولكن شكل الأسرة وحجمها وأنـــواع العلاقات بين أفرادها تختلف من مجتمع لآخر . فهناك الأســـرة الممتـــدة أو « العائلـــة » التـــى يعيش أفرادها الكثيرون تحت سقف واحد . ويرتبط أفرادها على اســـاس علاقـــات السن والمركز والدور الاجتماعـــى والاقتصادى ونوع الجنس لكل

منهم . وهناك الأسرة المحددة التى تجمع الزوج والزوجة وأبنائهم الصغار ، بينما يكون أبناؤهم الكبار قد نزحوا عنهم وانفصلوا مكونين أسراً أخرى ، كذلك فإن مفهوم الحكومة كمؤسسة اجتماعية ، مفهوم واحد فى جميع المجتمعات . وهو يتمثل فى تنظيم العلاقة بين الأفراد ثم بينهم وبين قادتهم الحكام . ولكن شكل الحكومة وتركيبها يختلف باختلاف الأجهزة الحكومية ونظام الحكم الديمقراطى أو الدكتاتورى .

سمات المؤسسة :

وتتسم المؤسسة الاجتماعية بأنها تتضمن تنظيمات للأنماط السلوكية والأفكار والعادات والتقاليد العامة فى وحدة وظيفية وحين تقوم المؤسسة الاجتماعية فإنها تسعى للبقاء والقوة والتكيف من خلال اكتمال أدائها الوظيفى كوحدة فى النظام الثقافى المتكامل فى المجتمع .

ومن ثم فإنها تتسم كذلك بالجمود نظراً لوقوفها فى وجه التغيير الاجتماعى . ذلك أنه بمرور الزمن ، تكون المؤسسة قد ثبتت على نمو تمكنت فيه من أداء وظيفتها وفق مقتضيات ثقافة المجتمع فى إشباع حاجات الأفراد. لكن مسيرة التغير الثقافى تهز كيانها بدرجة كبيرة أو صغيرة .

كذلك تتسم المؤسسات الاجتماعية بالرمزية . ذلك أن الأنشطة المختلفة التى تكون المؤسسة ، تتلخص فى شكل رموز تتجمع حولها خبرات الأفراد وعواطفهم . وبظهور تلك الرموز . تستثار الأفراد وتستجيب لها . فارتباط علم الدولة بخبرات وعواطف الأفراد ، كالعزة والكرامة والنضال . يظهر أثره بمجرد ظهور العلم كرمز للنشاط والمعانى والخبرات المتصلة بالكرامة وبالنضال .

كذلك ينطبق القول على الهلال الأحمر أو الصليب الأحمر حينما يراه الأفراد فى موقف ما . فيستشعرون معانى العون والمساعدة ، كتلك التى تتصل بمنكوبى الحروب وضحايا الفيضانات والأعاصير ، وغيرها من مظاهر قسوة الطبيعة على الإنسان . أو قسوة الإنسان على أخيه الإنسان .

تقسيم المؤسسات :

وتخــتلف المؤسســات الاجتماعــية فى تقسيمها وتصنيفها باختلاف وظائفها ، وبمدى ارتباطها بالنظام الاجتماعى القائم..

فهــناك مؤسســات اجتماعــية أساســية كالأسرة والمجد والكنيسة والمدرسة والحكــومة وهــناك مؤسســات اجتماعــية ثانوية وهى التى لا يتطلبها بقاء النظام الاجتماعى كالنادى والجمعية التعاونية والتليفزيون وغيرها .

كــذلك فــإن مــا يعتبــره يجتمع ما مؤسسة أساسية ن قد تعتبره مجتمع آخر مؤسســة ثانوية ، فالمصنع مثلاً يعتبر مؤسسة أساسية فى كثير من المجتمعات بينما يكون مؤسسة ثانوية فى مجتمعات أخرى كمجتمع القرية الزراعية مثلا كذلك الملكية الخاصــة التى تعتبر مؤسسة اجتماعية أساسية فى المجتمعات الرأسمالية ، لا يعتبر كذلك فى المجتمعات الشيوعية .

كــذلك تتسم المؤسسات الاجتماعية فى جملتها بحسب الاتساق فيما بينها . ذلك أنها تشكل كلاً منسجماً داخل الإطار الثقافى للمجتمع . ويتأتى ذلك الاتساق من تكامل ادائها الوظيفى وصولا به إلى التكيف المنشود للأفراد .

ولكــن هــذا الاتساق والتكامل يهتز فى فترات التغير الاجتماعى الملحوظ نتيجة التغيــر الذى يحدث فى بعض المؤسسات ولاسيما الاقتصادية منها . ذلك أن التغيرات الجديدة فى مؤسسات الإنتاج الصناعى تستحدث معها تغيرات فى المؤسسات الأخرى المــرتبطة بهــا كما يحدث فى تغير نظم التسويق والتوزيع ونظم الاستيراد والتصدير وما يصاحب ذلك من ظهور مؤسسات أخرى تدعو إليها ظروف التغير .

ونخلــص مــن هــذا أن للمؤسسات الاجتماعية على اختلاف أنواعها ومستوياتها وظــيفة أساســية هــى العمل على تحديد المناشط الإنسانية وتنظيمها وفق أنماط فكرية وسلوكية، لتصل بها إلى التكييف المنشود بين الفرد والمجتمع. وهى بذلك تجمعها صفة مشتركة تتمثل فى كونها وسائط تربوية تسعى إلى تكيف الإنسان مع نفسه ومع مجتمعه

الأسرة ودورها فى العملية التربوية :

معنى الأسرة ووظيفتها :

سبق أن أوضحنا فى موضوع التربية بمعناها الواسع فى الفصل الأول ، أن التربية قد وجدت منذ أن كان لدى الأفراد القدرة على التعلم من خلال ترابطهم كجماعات . وأن الأسرة كوحدة اقتصادية واجتماعية تقوم بتدريب أبنائها وتنظيمهم عن طريق التقليد والمشاركة فى أعمال الكبار داخل المنزل وخارجه . ومن ثم فلا داعى لتكرار ذلك المضمون مرة أخرى . ولكننا نضيف ما يلى :

إن الأسرة هى أهم المؤسسات الاجتماعية التى أقامها الإنسان لاستمرار حياته فى الجماعة وتنظيمها ، بل إنها قاعدة لكل هذه المؤسسات بحيث لا يكون لها الاستمرار إلا باستمرار الأسرة كمؤسسة اجتماعية ولهذا كانت العلاقة بين الأسرة والمؤسسات الاجتماعية الأخرى وثيقة متبادلة من ناحيتين : فالأسرة حساسة بما يصيب المجتمع فى نظمه وقيمه من تغيير وتحويل ، والمجتمع بدوره يتأثر بما يقع فى الأنماط الأسرية من تغير .

إن الأسرة هى الوحدة الوظيفية المكونة من الزوج والزوجة والأبناء ، ومرتبطة برباط الدم والأهداف المشتركة . وهى على هذا النحو تتأثر بالنظام الاجتماعى الشامل للمجتمع وتؤثر فيه عن طريق تفاعلها معه فى قيامها بوظيفتها . وتتمثل وظيفة الأسرة أساسا فيما يلى :

١) تزويد المجتمع بأعضائه الصغار .
٢) تهيئة فرص الحياة لهم . وإعدادهم للمشاركة فى المجتمع .
٣) تزويدهم بوسائل وأساليب تكيفهم مع المجتمع .
٤) تقديم الدعم الاقتصادى والاجتماعى والنفسى لأفرادها .

ولقد كانت الأسرة ولا تزال أول بيئة اجتماعية يوجد فيها الطفل ويتفاعل معها . فمن المعروف أن الأسرة فى الحياة البدائية كانت تقوم بعملية التربية لأطفالها من خلال إكسابهم المهارات والعادات والقيم الشائعة فى حياة الجماعة .

ولما كانت الحياة البدائية بسيطة فى مظهرها وجوهرها ، كانت أساليب التربية ووسائلها بسيطة كذلك . وفى هذا يقول « بورتن كلارك B. Clarke » : إن أقدم نظم التعليم لم تزد على نوعية الأم لابنتها أو الأب لابنه وهما يعيشان معا ويتحدثان ويعملان . وتؤكد أنه لم تكن هناك دروس أولية فى العصر الحجرى لكسر الحجر وتهذيبه ولكن الطفل كان يتعلم ذلك بملاحظته للكبار وتقليدهم .

وهكذا لم يكن الإنسان ـ قديماً ـ بحاجة إلى من يقوم بتدريب أبنائه وتعليمهم بدلاً منه ، ذلك أن التربية كإعداد للحياة لم تكن تتعدى نطاق الأسرة ، عن طريق توريث الخبرات والمهارات المتصلة بحرفة الأسرة فى كسب عيشها ، إلى أبنائها جيلا بعد جيل .

ثم اخترع الإنسان الكتابة وانكسر الاحتكار الأسرى لخبراتها ، فانتقلت الخبرات إلى خارج نطاقها ، ثم تطورت الحياة وتعقدت أوضاعها ، فتقدر تعليم الصغار عن طريق تقليد الكبار ، كما انشغل الآباء عن تعليم أبنائهم ، فظهرت الحاجة إلى المؤسسة المتخصصة التى سميت فيما بعد بالمدرسة .

دور الأسرة فى العملية التربوية :

إن الأسرة هى الوعاء التربوى الذى تتشكل داخله شخصية الطفل تشكيلا فرديا واجتماعيا . وهى بهذا تمارس عمليات تربوية هادفة لتحقيق نمو الفرد والمجتمع ويكون ذلك على النحو التالى :

أولاً : الأسرة هى الجماعة الأولى للفرد :

الأسرة مؤسسة اجتماعية تمثل الجماعة الأولى للفرد . فهى أول جماعة يعيش فيها الطفل ، ويشعر بالانتماء إليها . وبذلك يكتسب أول عضوية له فى جماعة .

فيتعلم فيها كيف يتعامل مع الآخرين فى سعيه لإشباع حاجاته ، وتحقيق مصالحه من خلال تفاعله مع أعضائها .

ولا نغالـــى إذا قلنا أن نمط عضويته فى جماعة الأسرة يمتد معه ، وينعكس فى طـــريقة تـــرابطه واكتســـاب عضويتـــه فى الجماعات الأخرى التى تقابله كلما ازداد نشاطه ، واتسع نطاق تفاعله فى المجتمع ، مثل جماعة اللعب والجماعة المدرسية ، وجماعات العمل وغيرها .

إطار العلاقات الأسرية :

ولكـــن هـــذا الـــتفاعل يتم داخل إطار من العلاقات الاجتماعية القائمة بين أفراد الجماعـــة الأســـرية ، بحـــيث يكـــون له أكبر الأثر فى تحديد طبيعة التفاعل ومداه ، ونـــتائجه ، ممـــا يؤثـــر بـــدوره فى تنشئة الفرد وتشكيل شخصيته . ويتشكل إطار العلاقـــات الاجتماعـــية علـــى أســـاس التركيب والتنظيم الاجتماعى للأسرة ، وأعمار أقرانها ، ومراكزهم وأدوارهم .

ويـــتحدد وضـــع الطفل ودوره ، وتتحدد ملامح شخصيته الاجتماعية من خلال إطار العلاقات الأسرية . فهو كعضو فى جماعة يحاول تدعيم عضويته وتأكيد فعاليتها مـــن خـــلال قدرته على التلاؤم والتكيف مع حياة جماعته على أسا مبدأ تحقيق اللذة وتجـــنب الألـــم . ذلـــك أن عضويته فى جماعة الأسرة تسبغ عليه السرور من خلال المـــزايا الكثيـــرة المـــوروثة فى الحياة السرية ، والمتصلة بإشباع حاجاته وتحقيق رغـــباته . كذلك فهى تحد من أنانيته من خلال الضغط عليه ليتنازل عن بعض مطالبه والطفل بين هذا وذاك ، تتجاذبه أنواع العلاقات وتؤثر فيه إيجابيا أو سلبيا .

فالعلاقـــة بـــين أمـــه وأبيه قد تكون علاقة أساسها المحبة والتفاهم فيتأثر بها الطفل تأثيراً إيجابياً يحدث له السرور والاستقرار النفسى ويرفع بسببه فى عالم رحب تسوده المحبة والسعادة النفسية .

وقـد تكـون علاقة أساسها النفور وسوء التفاهم فيتأثر بها الطفل تأثيراً سيئاً يـنعكس فـي ضـيقه وقلقه النفسى وحركاته العصبية وميوله العدائية . كذلك تؤثر العلاقة القائمة بين اخوته عليه تأثيراً مباشراً .

فقـد يكونـون متعاطفـين مـع بعضهم البعض ويكونون كذلك بالنسبة إليه . فيحـيطونه بالمحـبة والـرعاية. وعـندئذ يسعد الطفل فى حياته . ويكتسب المعنى الصحيح لاخوته .

وقـد تكـون العلاقة بين الأخوة وبعضهم علاقة أساسها الغيرة والخصام بسبب التـباين فـى الجنس أو السن . أو بسبب شرب روح العداء والنفور بين الأب والأم فينعكس ذلك كله على الطفل وتضطرب حياته العاطفية والنفسية والصحية .

إن اخـتلاف أنمـاط العلاقات بسبب السن والجنس والمركز والدور الاجتماعى لأفـراد الأسرة ، ينعكس فى أساليب الاتصال بينهم ، وفى مقوماته ، فهناك الاحترام القائم على أساس السن، إذ أن كبر السن يكون رمزاً للدراية والخبرة والحكمة . لذلك نجـد أن الجـد أو العم الطاعن فى السن ، يكون مصدراً للفتوى وملجأ لفض النزاع الـذى يسـتحكم بين أفراد الأسرة أو بين الأسرة وغيرها من الأسر وهناك الاحترام بصـفة عامة للذكور من أفراد الأسرة أكثر منه للإناث من أفرادها . وهناك الاحترام القـائم على أساس المركز الاجتماعى . كالأب الذى تتمثل فيه السلطة والنفوذ بأبعاده الاقتصادية والاجتماعية والثقافية وهناك التعاطف ــ بين الأم وأبنائها وبقائها ــ الذى قـد تخـتلف درجته باختلاف السن والجنس لديهم . وأخيراً هناك العلاقة بين الأسرة كجماعة والأسر المجاورة لها ، تلك العلاقة التى تؤثر فى تنشئة الطفل وتربيته .

أثر النظام الثقافى الشامل للأسرة فى تربية الطفل :

ويعكـس إطـار العلاقـات الأسـرية الـنظام الثقافى الشامل للأسرة بأوضاعه الاقتصادية والاجتماعية والثقافية والدينية والترويحية للأسرة . وبالتالى يعكس أثرها على تربية الطفل .

فالوضـــع الاقتصـــادى للأسرة يؤثر فى تنشئة الأطفال وتربيتهم فالحياة السهلة الرغدة تفى بالحاجات اللازمة لهم من مأكل وملبس واستمتاع بمتع الحياة المختلفة ، ومـــنها المـــتعة العلمية والتكنولوجية عن طريق توفير الأجهزة كالتليفزيون والراديو والثلاجة وغيرها .

وكـــذلك اللعـــب المختلفة والسلع بما يثرى الحياة العقلية والنفسية والاجتماعية الأســـرية . بيـــنما تتسبب الحياة القاسية الناتجة عن الفقر وشظف العيش فى وجود الإحســـاس بالحـــرمـــان ، ومـــا يتـــرتب علـــيه من أنواع الحقد والكراهية والعزلة الاجتماعية .

كـــذلك يؤثـــر الوضـــع الثقافـــى والتعليمى للأسرة فى تنشئة الأطفال وتربيتهم فمســـتوى التفكير وطرقه الشائعة بين الأسرة ، والميل للقراءة والاطلاع سواء أكان فـــى الكـــتب أو الصـــحف والاستماع إلى الإذاعة وتذوق برامجها ، والجلوس حول التليفـــزيون ومشـــاهدة بـــرامجه والتعلـــيق عليها ، وغير ذلك من ممارسة الأنشطة الثقافـــية كالذهاب إلى السينما ، والاشتراك فى المحاضرات والندوات ، والتعرف على التغيير والتطور الاجتماعى المحلى والعالمى وآثاره ونتائجه . كل ذلك يؤثر فى تنمية الوعـــى الثقافى لدى الأفراد ويعمل على نموهم نموا هادفا يعينهم على سرعة التكيف مع الحياة .

كـــذلك يؤثـــر الوضـــع الاجتماعـــى للأسرة فى تنشئة الطفل وتكوين شخصيته والتـــركيب الاجتماعى للأسرة تبعا لأعمارهم ومراكزهم وأدوارهم يحدد بالتالى الطفل ودوره فى هذا التركيب .

فهـــناك الطفل الأول « البكرى » والطفل الأخير « آخر العنقود » وهناك الطفل الوحـــيد والطفـــل غير الوحيد . والوليد الذكر والوليد الأنثى . وهو كواحد من هؤلاء يحدد علاقته مع جماعته فى ضوء نظرتهم إليه . واتجاهاتهم نحوه وتوقعاتهم منه ، وآمـــالهم فـــيه ، وقـــد تكـــون جميعها من منطلق الرضا والابتهاج به أو من منطلق

السخط والتبرم بوجوده ، ويؤثر ذلك كله فى نوع العلاقة بينه وبين جماعته مما يؤثر فى إحساسه بقوة عضويته ، وفى شعوره بروح الجماعة وآية ذلك هى اندماجه وتجاوبه أو عزلته وانطوائه .

والوضع الدينى للأسرة أثره العميق فى تنشئة الأطفال وتربيتهم . فالعلاقة بين أفراد الأسرة والقوة الإلهية تنعكس فى درجة الإيمان العقائدى ، والقيام بالعبادات والتمسك بالشعائر ، والتحلى بالخلق الحسن فى القول والعمل ، والأخذ بقيم الإنسانية الفاضلة التى تدعو لحب الخير وكره الشر ، وغرس الاتجاه الدينى بين الناس ، والحرص على مصالحهم ، والكف عن إيذائهم .

إن ذلك يدركه الطفل ويحسه من خلال تفاعله مع جماعته المتدينة . فينمو على نحو نية العمل المنتج ، ويحكم ضميره الذى نما فى إطار دينى وخلقى سليم ، فى جميع مواقف الحياة المختلفة فى المجتمع ، بينما ينمو الطفل فى اتجاه مخالف إذا نشأ فى جماعة تهتز فيها القيم الدينية والمعايير الخلقية السليمة . وتنمو معه بذور الشر والانحراف الخلقى الذى تنعكس آثاره فى مواقف الحياة فى المجتمع .

إن هذه الأوضاع أو الأبعاد الاقتصادية والاجتماعية والثقافية والدينية ، التى يعكسها الإطار العام للعلاقات الأسرية ، تلقى بظلالها على الحياة الأسرية ، فتخلق جوا اجتماعياً ونفسياً يؤثر بشدة فى تربية الطفل وتكوين شخصيته . وهكذا تشكل الأسرة كجماعة أولى ينتمى إليها الطفل ، الملامح الأساسية لنمط شخصيته ، ونمط ترابطه مع الآخرين ، ونمط تكوين العلاقات والاتجاهات التى تتسم بالمرونة الاجتماعية الإيجابية أو بالجمود والسلبية .

ثانياً : دور الأسرة فى المشاكل التربوية :

يتضح دور الأسرة بشكل ملموس فى مواجهتها لبعض المشاكل التربوية فى مرحلة الطفولة ، وفى جهودها لمعالجتها . وتتمثل هذه المشاكل فيما يلى :

١) **مطالب الطفولة** :

إن للطفولة مطالب خاصة بها يجب على الأسرة أن تدرك أهميتها وتستجيب لها بحكمة كى توفر للطفل نموا سليما متزنا دون اضطراب أو شذوذ . فالجو الذى تعيشه الطفــولة بمــا فــيه مــن لعــب وســعادة بريئة ، وبعد من الانشغال بمتاعب الحياة والإحســاس بمشــاعر الطفــولة النامية من حماية الكبار ورعايتهم ، يجب أن يكون موفورا للطفل .

والآبــاء الــذين يــتعجلون نمو أطفالهم ويرون فيهم أشخاصا كبارا قبل الأوان ويحملونهم المسئوليات بما لا يتفق وأعمارهم . إنما يسيئون إلى أطفالهم عن طريق حــرمانهم من سعادة الطفولة ومن فرص النمو التدريجى السليم ، ذلك أن كل مرحلة مــن مــراحل الــنمو أعراضا جسمية وخصائص نفسية وعقلية تنعكس جميعها فى سلوكه وتفاعله مع أفراد الأسرة .

فهــناك مــرحلة الطفــولة المبكرة التى تتسم بحب الذات والأنانية ولذة التملك وهــناك بعــد ذلك المرحلة التى يرغب فيها الطفل الاختلاط بأبناء جيرته فى جماعة اللعــب . وهــناك مرحلة المراهقة التى يعتز فيها الفرد بنفسه وبآرائه . ويجاهد من أجــل الانخراط فى مجتمع الكبار الناجيين ، وهكذا نجد أن للانتقال المتدرج المتداخل الــذى يتعــرض له الطفل فى مراحل نموه ، آثاره الكبيرة على الطفل وعلى العملية التربوية التى يتعرض لها المسئولون فى الأسرة .

إن مــيل الطفل للعب والعبث قد يبدو أمراً مزعجاً لبعض الآباء ، ولكن البعض الآخــر يرى أن فى ذلك النشاط تعبيرا عن طاقات زائدة . يسعون إلى توجيهها بينما يفــيد الطفل وصحته البدنية والعقلية والنفسية . فهناك التدريبات الرياضية البدنية . والــتدريب علــى اكتساب المهارات اليدوية وتفريغ الشحنات الانفعالية فى التعبيرات الفنــية والجمالــية ســواء عن طريق الرسم أو الأشغال الفنية أو التعبيرات الحركية الإيقاعــية . إن الطفل فى لعبه يعبر عن ميوله وقدراته . لذلك يجب أن تنكشف هذه الميول والقدرات ، ونعمل على تنميتها نمواً سليما .

وتـبعاً لـذلك ، فإن الطفل يجب أن يأخذ حريته فى الحركة واللعب حتى لا يحرم مـن فـرص الـنمو الجسمانى والعقلى والنفسى . بشرط أن تكون هذه الحرية حرية إيجابـية فعالة ، يحس أثرها ويقتنع بها الصغير والكبير فى الأسرة ، إن توفير بعض اللعـب وأدوات الرسـم والأشـغال الفنـية ، وتخصيص مكان مناسب للعب الأطفال وحركتهم ومزاحهم ، يوفر بيئة صحية لنمو صحى .

٢) الاعتماد على النفس :

من المعروف أن النمو الصحيح للطفل هو الذى يساير واقع الحياة ، تلك الحياة المليـئة بالمشاكل والمواقف التى تستلزم الكفاح والصراع والتكيف وأساس ذلك هو الاعـتماد علـى الـنفس ، لذلك فإن الدور التربوى للأسرة يكون صحيحاً حين يكفل للطفـل مـواجهة واقـع الحياة بصعابها وتعقيداتها . ولا سيما فى عصرنا هذا الذى تضـطرب فيه الحياة الأسرية بنتيجة للتفرق الاجتماعى والاقتصادى والتطور العلمى والتكنولوجـى . إن تربية الطفل وإعداده لحياة تتطلب منه الجهد والمنافسة الشريفة هى عملية واجبة على الآباء والأمهات . لذلك يجب عليهم ألا يتمادوا فى تدليل الطفل وأن يضـعوه فى المواقف التى يستلزم منه بذل الجهد ، وتحمل المسئولية والاعتماد على نفسه ، كى يتزود بأهم ضمانات النضج والنمو .

ولا داعى لقلق الأم على ابنها الذى يلعب مع أقرانه ، وتخشى عليه من عنفهم معـه . أو إذا رغـب فـى أن يلبس ملابسه دون مساعدة ، أو إذا رغب فى تجهيز طعامـه ، وتـرتيب أدواتـه ومجـرته . إن هذه المواقف البسيطة تغرس فيه اتجاه الاعـتماد علـى الـنفس فى مواجهة المشاكل وإيجاد الحلول لها . كذلك تنمى عنده القـدرة على المبادرة فى عمل الاتصالات وإبداء الآراء وحسم الأمور دون تردد ، أو اللجـوء إلـى الغيـر للاسـتفادة برأيه ، وليس معنى ذلك دفع الطفل إلى الاستقلالية الكاملة ، فإن فى ذلك خطورة تتمثل فى تنمية اتجاه الغرور والاعتزاز الزائد بالنفس. وعدم تقدير رأى الغير . والتعاون مع الآخرين .

٣) المساواة فى معاملة الأبناء :

إن صعوبة الدور التربوى للأسرة تتمثل فى ضبطها لنفسها ولأهوائها التى قد تدفع إلى عدم المساواة فى التعامل مع أبنائها ، وبالتالى لا يتكافأ مقدار الحب والعطف الذى يناله الأبناء وعندئذ تتحرك مشاعرهم وفقا لما يحسونه من ظلم أو عدل . ويستجيبون وفقا لمشاعرهم وأحاسيسهم . استجابات تتسم بالتمرد أو الخنوع أو الحقد والغيرة ، أو الاستعلاء أو بالرضا والسعادة . فهناك الأب الذى يتعاطف مع ابنه ، والتى تتعاطف مع ابنتها .

وهناك الأسرة التى تتعاطف مع الطفل الذكر وتهمل الطفلة الأنثى ، وغير ذلك من مظاهر التفرقة فى المعاملة مع الأطفال بسبب تفوق واحد منهم على الآخرين فى الدراسة . فيكون محل تقدير زائد . إن التشجيع للمتفوق واجب بقدر . كذلك فإن الأخذ بيد الضعيف واجب . إن تبصر الفروق الفردية بين الأخوة من حيث التقديرات والاستعدادات العقلية والبدنية والنفسية أمر لازم إذا أردنا أن نحدث نموا تربويا سليماً .

وتظهر التفرقة أيضاً فى المعاملة للأطفال عندما يخطئون : فالجزاء الذى توقعه الأسرة على الطفل المخطئ يجب أن يكون قائماً على تقدير موضوعى للموقف ونتيجته وليس قائما على أساس عاطفى يتفاوت بين طفل وآخر ، كذلك فإن الآباء يكونون بحاجة إلى تفهم الطرق والأساليب الصحيحة التى ينبغى اتباعها عندما يخطئ الطفل . وهل تقدم على العقاب الصارم أو على التساهل المطلق . أو بين هذا وذلك . فمن الآباء من يوقع العقاب الجسمانى كلما ارتكب خطأ ما ، ولا يلجأ إلى أسلوب توضيح الخطأ والصواب ، وإلى ما يجب عمله وينبغى تحقيقه .

ومن الآباء من يعمدون إلى التغاضى والتسامح المطلق لما يرتكب أطفالهم من أخطاء ودون توجيه الإرشاد لهم . ومن الآباء من يتذبذب بين هذا وذاك . فتارة يقسو وتارة يلين .

إن الطـريقة الصحيحة تتمثل فى الحزم من جانب الآباء ، بمعنى وضع الحدود بـين الممـنوع والمرغوب بطريقة موضوعية لا تضر بنفس الطفل ، وتساعده على تحقـيق التكيف المنشود . إن ذلك يستلزم الشرح الوافى لما ينبغى اتباعه ولما ينبغى تجنبه على أن يكون ذلك فى هدوء وبحيث لا تضخم الأمور له .

كذلك لا ينبغى تحقير الطفل الذى أخطأ وتذكيره باستمرار بمساوئه، اعتقادا بأن ذلك يدفعه إلى بذل الجهد وتجنب الخطيئة . ولكن ذلك قد يجسد خطأ الطفل فى نفسه. وينمى فيه الشعور بالذنب . ويترتب على ذلك وجود كثير من الاضطرابات النفسية .

وكمـبدأ عـام نـود أن نشير إلى أن يكون بشأن الأخطاء توجيها وقتيا متعلقا بالموقـف القـائم ، ولا يتعداه إلى غيره من المواقف وبحيث ينتهى بانتهائه . كذلك يجـب أن يكون التوجيه على نحو يحفظ للطفل كرامته واعتزازه بنفسه ولا يؤدى إلى تحطيم شخصيته وتبديد أمنه .

٤) الهروب من المدرسة :

إن هـروب الطفـل مـن المدرسة وانقطاعه عن متابعة الدراسة يشكل مشكلة تـربوية كبيـرة أمام الأسرة ، مما يدفع بعض الآباء إلى اتخاذ حلول صحيحة فتزداد المشكلة صعوبة وتأخذ أبعادا أخرى .

وهناك عوامل كثيرة تدفع بالتلاميذ إلى الهروب من المدرسة منها العوامل التى تتصـل بالمنزل والتى تتمثل فى عدم تهيئة البيت لجو الاستذكار والاطلاع ، وانشغال الطفـل فى أعمال الأسرة كأن تساعد البنت أمها فى أعمال المنزل ، وأن يشارك الولد فـى أعمال الأب المتصلة بكسب عيشه ، أو وجود حياة أسرية مضطربة تحول دون الاستذكار والتحصيل .

كـذلك فإن هناك عوامل أخرى تتصل بالبيئات الاجتماعية التى يحتك بها الطفل خـارج المنـزل ، مثل صحبة السوء التى يتعرف عليها الطفل وتستهويه وتجذبه من الدراسة إلى مجالات اللهو ، أو الذهاب إلى السينما أثناء اليوم المدرسى .

وهناك عوامل أخرى تتصل بالبيئة المدرسية مثل النظام المدرسى وأثره على الطفل . فقد يكون نظاماً صارماً جامداً يستند إلى العنف والقسوة وتوقيع العقاب كوسيلة علاجية .

وقد يكون النظام سائباً متراخياً خالياً من الرقابة والضبط مما يشجع على وجود الفوضى والهروب من المدرسة . ذلك أن الطفل فى دور تكوينه يغلب عليه الأخذ بمبدأ اللذة وتجنب الألم . أى أنه يرغب فى إشباع رغباته دون اعتبار للواقع وضغوطه الاجتماعية والحضارية التى قد تحد من هذا الإشباع . وهناك عوامل ذاتية تتصل بالطفل ذاته فقد لا تمكنه قدراته واستعداداته العقلية من متابعة الدروس مما يسبب له حرجا بين زملائه . وانطلاقاً من كراهيته للفشل وارتباط الفشل بالجو الدراسى والمدرسة . فإن المدرسة تمثل خبرة مؤلمة غير سارة بالنسبة إليه مما يدفعه إلى البحث عن خبرة سارة فى مكان آخر غير المدرسة .

وهكذا نجد الكثير من العوامل والأسباب لظاهرة الهروب من المدرسة . لذلك فإن دور الآباء يتمثل فى الكشف عن هذه العوامل ووضع العلاج المناسب . ولما كان ذلك يتطلب قدرا من الدراية والخبرة فى النواحى النفسية والاجتماعية . فإن عليهم الاستعانة الأجهزة الفنية المتخصصة مثل مكاتب الخدمة الاجتماعية بالمدرسة أو مراكز توجيه الطفولة أو العيادات النفسية .

٥) تحكم الآباء فى مصير الأبناء :

إن كثيرا من الآباء يدفعهم حرصهم على نجاح أبنائهم فى حياتهم الدراسية وما بعدها إلى التدخل والتحكم فى اختيار نوع الدراسة والعمل الذى يشغله الأبناء بعد تخرجهم . ولعلينا نلمس هذه الظاهرة بوضوح فى وقتنا هذا بعد تغير نظامنا الاجتماعى ، وانفتاح مجالات التعليم بالمجان ، وكثرة عدد المتعلمين ، ووجود مكاتب التنسيق للقبول على أساس مجموع الدرجات .

ولعل الواقع إلى تدخل الآباء هو تطلعهم إلى مستوى أفضل لحياتهم وحياة أبنائهم وخاصة بعد أن أصبح التعليم عاملاً هاماً من عوامل النمو الصعود فى السلم الاجتماعى بعد أن كان الصعود قاصراً على عامل الملكية الكبيرة للأرض أو العقار أو المصانع .

إلا أننا نناشد الآباء أن يكون تدخلهم فى اختيار الدراسة لأبنائهم قائماً على أساس تفهمهم لمستوياتهم الدراسية واستعداداتهم وميولهم . فقد يكون الابن من ذوى القدرات والميول العملية .

وعندئذ يكون موفقاً فى دراسته لو أنه اتجه إلى التعليم الصناعى ، وما عيب التعليم الفنى المتوسط حتى يحجم عنه التلاميذ ويتكدسون فى التعليم الثانوى بغية الوصول إلى التعليم الجامعى ، طالما أن التعليم الفنى يخرج تلاميذه ويمكنهم من الالتحاق بالجامعة . إن كثيرين من الطلبة لا يحصلون على المجموع الذى يمكنهم من الالتحاق بالجامعة ، عندئذ تخيب آمالهم ، ويضطرون لدخول مراكز التدريب المهنى كتعليم فنى . ويكون دخولهم فى هذا النوع من التعليم دخولا اضطراريا .

إن ذلك كله يرجع إلى تطلع الآباء وتوقعهم الكثير من أبنائهم دون تقدير لمستوياتهم وقدراتهم وميولهم الدراسية . كذلك ينطبق القول على الوضع عند الالتحاق بالجامعة وتسجيل الرغبات ، فيتدخل الآباء وتحدد الكلية التى سيدرس فيها الطالب دون أخذ رأيه ومراعاة ميوله واتجاهاته .

فقد يفرض الأب رغبته على ابنه ويختار له كلية الطب لأنه يرغب أن يكون له ابن يعمل طبيباً . بينما يكون الابن راغبا أن يكون مهندسا . وهكذا يضغط الأب ويستجيب الابن . فيتعثر فى دراسته .

لذلك نناشد الآباء وينصرهم بأهمية التعرف على المستويات العقلية والميول والاستعدادات والاتجاهات الدراسية لأبنائهم . كما يمكنوهم من الدراسة التى تتفق وهذه المستويات والاستعدادات كى يكون التعليم مثمراً لهم من ناحية ، وكى لا يمثل فاقدا كبيراً فى العملية التعليمية على الدولة من ناحية أخرى .

الأسرة والتغير الاجتماعي :

إن الأسرة كما سبق أن ذكرنا هي الوحدة الوظيفية المكونة من الزوج والزوجة والأبـــناء والمـــرتبطة برباط الدم والأهداف المشتركة . وهي تتأثر بالنظام الاجتماعي الشـــامل الذي تتفاعل معه في أدائها لوظيفتها . لذلك فإن التغير الاجتماعي والثقافي يؤثر في نمط الحياة الأسرية ، وفي قدرتها على أداء وظيفتها .

أثر التغيير في التماسك الأسرى :

إن التغييـــر الاجتماعـــي الكبيـــر الذي يتسم به العصر الحاضر وخاصة التغير الاقتصـــادي الصـــناعي الناتج عن التقدم التكنولوجي قد أحدث هزة في كيان الأسرة وتماســـكها . إن انتشـــار حركة التصنيع قد صاحبه تفكك الرباط الاقتصادي الذي كان يربط الأسرة الريفية .

فـــبعد أن كـــان أفـــراد الأسرة جميعا يعملون معا كوحدة اقتصادية ، اتجه رب الأســـرة إلى المصنع ، وانتقلت الزوجة إلى العمل في البيت أو في عمل آخر ، وذهب الأطفـــال إلـــى المـــدارس حيث اتسع نطاق التعليم . وقد أدى ذلك التغير في الأساس الاقتصـــادي إلـــى تفكك في الأسرة نتج عنه انفصال أفرادها عن بعضهم ، كذلك نتج عنه تأخير سن الزواج لدى نسبة كبيرة من الرجال والنساء .

ومـــن ناحـــية أخرى فقد أدى انتشار التصنيع واتساع نطاق التعليم إلى انتشار المدنـــية وارتفـــاع مستوى المعيشة ، وزيادة الضغط الاقتصادي التي تتمثل في كثرة الإنفـــاق ، وزيـــادة الوعي الاستهلاكي لدى أفراد الأسرة في اقتناء الأجهزة والأدوات المنـــزلية التـــي أصـــبحت ضـــرورية للحياة المريحة . كذلك نتج عن التقدم العلمي والتكنولوجـــي تغيـــر فـــي أوضاع الحياة الاجتماعية انعكس في زيادة سبل الاتصال والانتقال ، وتشابك علاقات الأفراد وتباين اتجاهاتهم وقيمهم وأحكامهم . وقد صاحب ذلـــك كله نوع من القلق والاضطراب والصراع الفكري والنفسي . ولقد تأثرت الأسرة كجماعة متماسكة على أساس من الأهداف المشتركة بين أفرادها بذلك .

إن اهتـــزاز نظـــام القيم وحكمها داخل الأسرة يؤثر فى تماسكها فشباب الأسرة لهم أهدافهم وتطلعاتهم ومطالبهم المتصلة بالاتفاق وزيادة معدل الاستهلاك ، دون أن يقابل ذلك زيادة فى وعيهم وطاقاتهم الإنتاجية . وهم بذلك مشكلون ضغوطاً اقتصادية واجتماعية وفكرية على ذوى السلطة والنفوذ الاقتصادى والفكرى فى الأسرة ، وهما الأب والأم . كـــذلك كـــان انـــتقال المرأة وهى أساس فى الأسرة إلى المصنع أو إلى المدرســـة أو إلـــى غيـــرها مـــن أماكن العمل خارج المنزل ، عاملاً مؤثراً فى ترابط الأســـرة وتماسكها . فقد أصبحت تغيب عن بيتها فترة طويلة وتلتقى بزوجها وأبنائها فترة قصيرة .

وبذلك قلت فرص التجمع الأسرى، والتباحث فى شئون الأسرة وشئون أفرادها، وإيجـــاد الحلول لمشاكل الأفراد ، وتهيئة جو الأمن والطمأنينة لهم وتعميق إحساسهم بروح الجماعة .

ولقـــد كـــان مـــن أثر التغير الاجتماعى وانتشار حركة التعليم إذا قل عدد أفراد الأســـرة ، وبصفة خاصة فى مجتمع المدينة ، ذلك أن كثرة عدد الأطفال معاً يسلتزمه مـــن مطالـــب الـــرعاية الغذائية والصحية والتعليمية والترويحية ، إنما يتعارض مع مقتضـــيات الحـــياة المتطورة ومظاهر المدنية وارتفاع مستوى المعيشة . كذلك فإنه يـــتعارض مـــع ظروف الأم العاملة وانشغالها خارج البيت . لذلك ظهرت الحاجة إلى تحديـــد النســـل كاتجـــاه اجتماعى واقتصادى نتج عنه تغير فى شكل الأسرة وحجمها وعدد أفرادها .

أثر التغير فى وظيفة الأسرة :

يحـــدث التغير الاجتماعى أثراً فى قدرة الأسرة على القيام بوظائفها المتمثلة فى إنجاب الأطفال وتربيتهم للاشتراك فى حياة المجتمع والعمل على استمراره وتقدمه ، وفـــى الـــدعم الاقتصادى والاجتماعى والثقافى والدينى لأفرادها فقد قامت المؤسسات الاقتصادية والثقافية وغيرها التى ظهرت فى المجتمع نتيجة لظروف التغير والتطور. وشاركت الأسرة فى وظائفها .

فانتشـــار المصانع والمدارس والمساجد والأندية وغيرها من المؤسسات قد أخذ الكثير من الاختصاصات الأسرية وقام بها نيابة عنها. فالمصنع يقدم الدعم الاقتصادى لمـــن يـــرقب فـــيه مـــن أفراد الأسرة . والمدرسة تقوم بالدور التربـــوى على نحو تخصصـــى ، والمسجد يقدم الغذاء الروحي والتهذيبى ، والنادى يشبع الحاجة إليه فى الترفيه والنمو البدنى .

وهكذا نجد أن قيام الأسرة بوظائفها قد تأثر بالتغير الاجتماعى . وإذا أضفنا إلى ذلك اهتزاز وظيفة الأم كمعلم أول فى الأسرة بسبب انشغالها خارج المنزل مما جعلها تنظـــر إليه كعمل ثانوى وليس كعمل أساسى . فإن أثر التغير الاجتماعى على الأسرة يزداد وضوحاً .

وإذا كانـــت وظيفة الأسرة فى تربية الطفل قد اهتزت بسبب التغير والتطور وما صـــاحبه مـــن تعقـــيد فـــى الحياة وتخصص فى العمل ومشاركة المؤسسات كوسائط تـــربوية للأسرة فى وظيفتها التربوية إلا أن الأسرة بحكم طبيعتها فى الدور الأساسى فى تربية الطفل لذلك فإن تحسين ثقافة الأسرة وتطويرها بجوانبها المادية والمعنوية أمر لازم لتحسين تربية الطفل .

كـــذلك فإن العمل على زيادة ترابط الأسرة بالمدرسة وغيرها من وسائط التربية فى المجتمع وتقتضيه مصلحة الفرد والمجتمع .

والتـــربية الحديـــثة تهتم كثيرا بتربية الأم وإعدادها لتكون على علم باحتياجات أطفالهـــا وإدراك دوافعهم الداخلية كى تتولى التوفيق بينها وبين الظروف الخارجية . بمعنى آخر ، تحاول ضبطها وتهذيبها وتوجيهها وجهة خيرة .

كـــذلك حرصـــت التـــربية فى الدول المتقدمة على تثقيف الآباء والأمهات ثقافة والديـــة ، كمـــا حرصت على تشجيع العلاقات بين المدرسة والأسرة ولقد تكونت فى الـــدول المـــتقدمة روابـــط المدرسين والاباء لبحث مشاكل الأطفال وعلاجها ولإطلاع الآباء على مراحل تكيف الأبناء ، ولتداول الآراء بين الفريقين .

إن المرأة التى أخذت حقها فى التعليم والعمل كمقومات لحياة كريمة ، يجب أن تستثمر إمكاناتها وطاقاتها الثقافية والتعليمية فى تربية أطفالها وإدارة بيتها كوظيفة أساسية حددها لها المجتمع ولم يحددها « للشغالة » عندها . فالمرأة بتعليمها تكون أكثر قدرة على تخطيط حياة المنزل وإدارة شئونه بطريقة اقتصادية واجتماعية وثقافية أفضل .

كذلك فإن التفكير السليم لديها ينعكس فى إيجاد العلاقات الاجتماعية السليمة بين أفراد الأسرة بصفة عامة . وبين أطفالها بعضهم البعض بصفة خاصة ، مما يجنبهم الوقوع فى مشاكل مع أبناء جيرانهم . كذلك تستطيع المرأة وزوجها كأفراد مثقفين ومتعلمين أن يضعوا لأبنائهم برنامج استذكار دروسهم . وأن يتابعوا مستويات تحصيلهم الدراسى من خلال الاتصال المستمر بالمدرسة .

كما أن الرعاية الغذائية والصحية واتخاذ الإجراءات الوقاية ضد المرض يكون سهلا وميسورا بالنسبة للمرأة المتعلمة أكثر منه بالنسبة للمرأة غير المتعلمة . وهناك ظاهرة واضحة جاءت نتيجة التغير والتطور الاجتماعى الثقافى . تلك هى ظاهرة القلق لدى الشباب والذى ينعكس فى ضيقهم وتبرمهم بأفكار الكبار وقيمهم ونظام حياتهم .

إن حركة الشباب التى نلمسها فى هذا الجيل ، تعكس الصراع بين القديم والجديد بصفة عامة كما تعكس الاضطراب التربوى بصفة خاصة ، سواء ما كان منه على المستوى الأسرى أو على المستوى المدرسى . ذلك أن التربية فى كل من الأسرة والمدرسة لم تعد قادرة على مسايرة حركة التغير ، فانعزلت باتجاهاتها وقيمها وأساليبها عن الحياة الجديدة المتطورة .

إن واجب التربية الصحيحة يفرض عليها التكيف مع مقتضيات حياة العصر قدر الاستطاعة كما يفرض عليها تبصير الشباب والكبار بطبيعة التغير الاجتماعى وأسبابه واتجاهاته ، كى يتمكنون من التهيؤ له والتكيف معه ، ويتجنبون الصراع الفكرى ويضيقون شقة الخلاف فى النظرة إلى الأمور والحكم عليها .

إن اعــتماد التــربية الأســرية والمدرســية على الأسلوب الديمقراطى بدلاً من أســلوب الاســتيلاء والتسلط ، يأتى بنتائج إيجابية فى تبديد قلق الشباب ، كذلك فإن اتاحة الفرصة أمام الشباب للبحث والتجريب والتعبير عن أفكارهم وتحقيق رغباتهم ، أمــر لا ينبغــى أن ينزعج له الآباء . بل يجب عليهم عندئذ ، تقديم النصيحة والعون والتشجيع والخبرة لأبنائهم بدلاً من التبديد والوعيد لهم .

كــذلك يجــب على التربية المنزلية والمدرسية من خلال تعاونهما معاً ، تهيئة المواقــف التعليمــية وتقديم الخبرة المربية المتصلة بتنمية الوعى الإنتاجى كضرورة لإيجاد توازن مع زيادة الوعى الاستهلاكى لدى الأفراد وخاصة الشباب على أن يكون ذلك متمشياً وفق مراحل النمو التى يجتازها الفرد .

الفصل الثالث

التنشئة الاجتماعية

لقد عرفنا أن الفرد ككائن عضوى يتشكل ويصبح كائناً عضوياً اجتماعياً عن طريق المجتمع وثقافته . فالطفل يولد وينمو فى المجتمع وفق نظام ثقافى معين تتشربه الأفراد والجماعات .

وهكذا ينمو الطفل من خلال تعامله مع أفراد المجتمع . ويأخذ هذا التعامل أشكالاً متنوعة منها التقليد والمشاركة والأخذ والعطاء مع الآخرين ، كنشاط هادف لتحقيق مطالب الطفل من المجتمع ومطالب المجتمع من الطفل . كما أنه فى تعامله على هذا النحو ، ينتقل من دور الفردية البيولوجية إلى دور الشخصية الاجتماعية التى تتأثر بالمجتمع وتؤثر فيه .

معنى التنشئة الاجتماعية :

إن عمليات التشكيل والتغير والاكتساب التى يتعرض لها الطفل فى تفاعله مع الأفراد والجماعات . وصولا به إلى مكانة بين الناضجين فى المجتمع بقيمهم واتجاهاتهم ومعاييرهم وعاداتهم وتقاليدهم . هى نفسها عملية التنشئة الاجتماعية التى تعكس ثقافة مجتمعه .

ففى هذه العملية يقوم المجتمع بجماعاته ومؤسساته ، بتنشئة صغاره وجعلهم أعضاء مسئولين يعتمد عليهم . ويكون ذلك بإكسابهم توقعات سلوك الغير والتنبؤ باستجابات الآخرين ، وإيجابية التفاعل معهم .

وتتضمن التنشئة الاجتماعية عملية اكتساب الفرد لثقافته مجتمعه ولغته ، فهو حين يحمل ثقافة مجتمعه فإن ذلك يعنى أنه قد تشربها ، وأصبحت عادات المجتمع وطرق تفكيره وأنماط سلوكه وحكمه على الأمور والأشياء خاصة به كما هى خاصة بالمجتمع . فقد اصبح منتجا لثقافة مجتمعه بعد أن كان مستقبلاً لها . كما أصبح بذلك مؤكداً على عوامل إبقاء الثقافة واستمرارها من جيل إلى جيل ، وتغييرها وتطويرها من خلال تفاعله معها وتأثيره فيها كما تؤثر فيه .

التنشئة الاجتماعية والتربية :

إن التنشـئة الاجتماعـية كعملـية تفاعـل اجتماعى يكتسب فيها الفرد شخصيته وثقافة مجتمعه ، هى عملية تربوية هامة للآباء والمدرسين وغيرهم. ذلك أنها تتضمن عملـيات تشكيل الفرد وبناء شخصيته على نحو يمكنه من النمو والاتزان والتكامل مع ذاته والتكيف مع المجتمع وثقافته والعمل على تطويره . إن موضوع التربية هو تفهم الشخصية وتهيئة السبل لنموها نمواً متكاملاً منسجماً مع ذاتها ومع بيئتها .

والتـربية كعملـية تشـكيل للفرد على نحو تؤكد فيه علاقته بثقافة مجتمعه ، وبمطالـبها الخاصة التى حددها المجتمع لمركزه الذى يشغله ولدوره الذى يمارسه ، نجـدها متمـثلة فى عملية التنشئة الاجتماعية . وتتضمن هذه العملية ، عمليات ذات مغـزى تربوى هام تختلف فى بساطتها وتعقيدها تبعاً لبساطة المجتمع وتعقيده وهذه العمليات هى :

(١) التدريـبات الأساسـية لضـبط السـلوك وأسـاليب إشـباع الحاجـات وفقـاً للتجديد الاجتماعى :

ففى عملية التنشئة الاجتماعية يكتسب الطفل من أسرته اللغة والعادات والمعانى المـرتبطة بأسـاليب إشباع رغباته وحاجاته ، كما يكتسب القدرة على توقع استجابات الغيـر نحـو سـلوكه واتجاهاته . إن إشباع حاجاته البيولوجية يتم عن طريق أساليب معينة نصها له الأسرة . فيتعلم كيف يأكل ويشرب ويقضى حاجته وينام ويلبس ملابسه ويحـب أسرته ، ويلهو بلعبه ، ويتعاطف مع غيره ، وذلك وفق آداب سلوكية معينة . أى أنه يتعرض فى إشباعه لحاجته إلى ضغوط وتوجيهات من أسرته تنعكس فى تعديل سـلوكه وتغييـره أو اكتسابه . فينشأ الطفل على النحو الذى ترتضيه الأسرة ، ومعنى ذلك أن هناك تحديداً اجتماعياً وتكييفاً ثقافياً لوسائل إشباع حاجات الفرد .

ثـم تتسـع دائرة تعامله مع الغير وتزداد معها رغباته ومطالبه وتتعدى نطاقها البيولوجـى إلـى نطاقهـا النفسـى والاجتماعـى ، فبانتقاله من المنزل إلى الشارع

واخــتلاطه بأبــناء جيرته وجماعة أصدقائه ، ثم حين ينتقل إلى المدرسة وجماعاتها المتبايــنة ، فإنـــه يكتســب مزيداً من العادات والتوقعات السلوكية والمعانى والرموز والاتجاهــات والقــيم ، كمـــا تكتســب مصــطلحات سلوكه معانى جديدة يدركها فى استجابات الآخرين نحوه .

كمـــا أن الطفـــل فى انتقاله من المنزل إلى المدرسة والمجتمع يزداد اندماجه فى الجــو الثقافـــى للمجتمع ويزداد تجاوبه مع التحديد الاجتماعى لأساليب إشباع حاجاته ومطالبه البيولوجية والنفسية والاجتماعية، فبالإضافة إلى تعلمه أساليب إشباع حاجات المأكل والملبس والإخراج ، فإنه يتعلم الأساليب الخاصة بإشباع حاجته للحب والانتماء الجماعـــى والتقديـــر والحنان والتعاطف وتقدير رأى الغير كذلك ينطبق القول فى تعلمه واكتسابه لعادات وتوقعات سلوكية تتصل بالنشاط الاقتصادى والدينى والقومى .

ويتأثـــر الفـــرد بكل هذه العادات والتوقعات السلوكية ، ويختلف تأثره باختلاف تفسير الأوساط والبيئات الاجتماعية التى يحتك بها .

إن اخـــتلاف المؤسســـات الاجتماعـــية كالأسرة والأندية والجمعيات والمدارس والهيـــئات وجهـــات العمل ، يعكس قدرا من التوقعات المشتركة بينهما ، كما يعكس قـــدراً من التوقعات المختلفة أى أن الفرد يتأثر بعادات وتوقعات سلوكية يكون بعضها شاملاً عاماً بين الأفراد ، وبعضها خاصا بجماعات أسرية أو مهنية أو طبقية .

وهكـــذا تنمو محصلته فى معان الأشياء ، وتتسع دائرة توقعاته لسلوك الأفراد والجماعات ، ويزداد تعلمه وتدريبه وضبطه لسلوكه ، فيزداد تفاعله الاجتماع وتكيفه الثقافى .

(٢) اكتساب المعايير الاجتماعية التى تحكم السلوك وتوجهه :

إن هـــذه المعاييـــر ليســت فطرية ولكنها تكتسب نتيجة اشتراك الفرد فى نشاط المجتمع . وهى تنبثق من أهداف المجتمع وقيمه ونظامه الثقافى بصفة عامة . فلكى

يصـــل المجتمع إلى غاياته . فإنه يقوم بغرس قيمه واتجاهاته فى الأفراد . كما يضع المعاييــر الاجتماعــية التــى تعمــل كضــوء كاشف يعين الفرد على انتقاء واختيار اســتجاباته للمثيرات فى المواقف الاجتماعية . وبالتالى يعينه على التوازن والتكيف مع المجتمع .

والطفـــل فـــى تنشـــئته الاجتماعـــية يتشرب الاتجاهات والمفاهيم ويشكل منها أرضـــيته أو خلفيته الإداركية ، وتسمى بالإطار المرجعى وتكون مشتركة ومتفقة مع الإطـــار المرجعـــى لجماعته التى نما فيها . كما أنه يستعين بهذه الأطر ويستخدمها لأنهـــا ضـــرورية لوجـــوده ، ولانتمائه إلى جماعته . إن هذه الأطر المرجعية هى ما تســـمى بالمعاييـــر الاجتماعـــية . إن إدراك الفرد للموقف ومثيراته وتفهمه لمعانيه ورمـــوزه ، واستجابته لهذا الموقف إنما تتجدد على أساس المعايير الاجتماعية التى اكتســـبها الفـــرد وتعلمهـــا خلال تنشئته الاجتماعية فى الجماعات المختلفة كالأسرة والمدرسة والمجتمع عامة ، وهى معايير تحكم سلوكه وتوجهها .

إن رصـــيد الخبرة التى يكتسبه الفرد خلال تفاعله الاجتماعى يشكل مخزنا كبيرا ينتقـــى مـــنه الفرد ما يعينه على حل مشاكله وتحقيق أغراضه . فيعينه على اختبار اســـتجاباته وانتقاء أنواع سلوكه وتتضمن عملية الاختبار عمليات نفسية واجتماعية كـــالإدراك وتكـــوين الاتجاهـــات والحكم على الأمور . كما أن لأحكام القيم والمعايير والمراكز والأدوار الاجتماعية التى يمارسها الفرد أثرها الفعال فى عملية الاختبار .

والعملية الإدراكية لها طابعها الاجتماعى ، ذلك أن المواقف الإداركية تنبثق من حياة المجتمع . كما أن الخلفية الإدراكية للفرد مكتسبة من البيئة المنزلية والمدرسية والمجـــتمع عامـــة . وهذه كلها تمد الطفل بالمثيرات والاستجابات والمعانى والرموز والـــتوقعات التـــى تشـــكل الأرضية المشتركة بينه وبين الأفراد والتى تسمى بالإطار المرجعـــى . والفـــرد فى المواقف الإدراكية يستعين بعناصر إدراكية ذاتية تتفاعل مع العناصـــر الموضـــوعية فـــى الموقـــف الإدراكـــى وتكون مدركات الفرد عن الأشياء

والمواقف . فإذا كان الطفل قد نشأ فى أسرة تعادى أسرة أخرى وتكرهها وترى فيها الـرذائل والـنقائص ، فـإن الطفل إذا ما رأى رجلاً من الأسرة المكروهة فى موقف إدراكـى ، فإنـه لا يـرى العناصر الموضوعية فى هذا الموقف كما هى فى الواقع ، ولكـنه يقوم بعملية تنظيم إدراكى فيحذف ويضيف ويعيد تنظيم العناصر حتى متمشية مع إطاره المرجعى ، وتكوينه النفسى بحيث تكون النتيجة مؤكدة نقيصة هذه الأسرة ورذيلتها ، كما يظهر أثـر العوامل الذاتية فى الموقف الإداركى بصورة أوضح ، فى المجتمعات التى يحكم سلوكها معايير اجتماعية وأطر مرجعية معينة ، كتلك التى تقوم علـى قـيم ومفاهيم ومعانى تدين المرأة فى علاقتها بالرجل الغريب عنها . فإذا رأى فـرد نشـأ فـى مجـتمع كهذا ، امرأة تتعامل مع رجل غريب عنها ، فإن ذلك الفرد يـتجاهل العناصـر الموضوعية فى علاقته هذه المرأة بالرجل ، ويعيد تنظيم العناصر الإدراكـية للموقف على النحو الذى يتمشى مع تكوينه النفسى والفكرى أى مع إطاره المرجعى الخاص بوضع المرأة فى المجتمع .

كذلك نلمس أثر الإطار المرجعى كمطلق إدراكى يؤثر فى الحكم على الأشياء فى المثال التالى : حين يرى الجيولوجى حجراً فيدركه على أساس الحقبة التاريخية التى تمـثلها ، فى حين يراه البناء فيدركه على أساس أهميته وفائدته فى بناء منزل بينما يراه الفنان فيدركه على أساس شكله وملمسه وإمكانية رسمه فى لوحة فنية جميلة .

واختيار السلوك على أساس الإدراك يتضمن ثلاث عمليات نفسية متكاملة يقوم بهـا الفرد . تلك هى عمليات الحذف والإضافة والتنظيم فى عناصر الموقف المدرك . ذلك أن الإنسان فى حياته لا يستطيع إدراك كل المثيرات من حوله . ولكنه يدرك فقط مـا يتصـل باهتمامه ويهمل المثيرات التى لا تهمه ، ومثال ذلك : قد يسألك صديقك عـن أقـرب صندوق بريد لك ، فلا تعرفه ولكن إذا كانِ معك خطاب وتريد وصفه فى البـريد فإنك ترى وتعرف أكثر من صندوق قريب منك ، معنى ذلك أنه قبل أن تحتاج الصـندوق لـم يكن لديك اهتمام به ، وبالتالى لا تعيره اهتماماً بالرغم من كونك تمر عليه وتراه يومياً ، ولكنك تدركه حين تصبح لك حاجة إليه وتركز اهتمامك عليه .

كـذلك تتضمن عملية الإدراك عملية الإضافة . فالإنسان حين يواجه موقفاً فإنه يضـفى عليه من خلفيته الإدراكية أو إطاره المرجعى ما يجعله يرى هذا الموقف كما يتصـوره عقله ، وليس كما يراه فى الواقع . فيحاول إدراك الشىء فى شكل علائقى جديـد ، أى يضـعه فـى علاقة جديدة تحتويه كشكل على أرضية ، أو يعيد صياغة علاقاتـه فـى إطار آخر يتفق وإطاره المرجعى وتكوينه النفسى . ويفسر ذلك المثال السابق الخاص بالأسرتين التى تعادى إحداهما الأخرى . والتى يحكم الفرد فى إحداها على الفرد فى الأخرى حكماً سيئاً يتفق مع إدراكه وتكوينه النفسى . كذلك نلمس أثر الإضـافة فى العملية الإدراكية ، إذا تأملنا أنفسنا عند مواجهتنا لمواقف أو أحداث ثم نعـيد انطباعاتنا عنها للآخرين فإننا نبالغ فى تصويرها وإضافة عناصر لسد الثغرات فـى المواقـف الواقعية ، بحيث تجىء الإضافة على هوانا وتتفق مع تكويننا النفسى وإطارنا المرجعى الذى اكتسبناه من قبل .

وهكـذا تحـدث العمليـتان – الحذف والإضافة – معاً . أما عملية التنظيم لما نسـتطيع إدراكـه ، فـيدخل منها العوامل الموضوعية والذاتية كما ذكرنا فى المثال السـابق الخاص بحكم المجتمع الذى يدين المرأة فى علاقتها بالرجل الغريب عنها . فالعـوامل الموضوعية هى التى تؤدى إلى نفس التنظيم الإدراكى عند جميع الأفراد . والعـوامل الذاتـية هى العوامل التى تتغير تبعاً للحالة النفسية للفرد المدرك ذلك أن الفـرد يـنظم إدراكـه انطلاقاً من ماله وأوهامه . وهكذا تختلط العوامل الموضوعية بالعوامل الذاتية فى العملية الإدراكية .

وهكذا يكون الإدراك عملية ذات أثر فعال فى اختيار أنواع السلوك عند مواجهة المواقف وفى تحديد مستويات الحكم على الأمور والأشياء .

التربية واكتساب المعايير :

إن أهمـية التـربية تكمن فى ضرورة التعرف على المعايير الاجتماعية والأطر المـرجعية التى تتضمن معانى الأشياء وتفسيراتها لدى الأفراد والجماعات . والتربية

حــين تتعرف ذلك ، تكون قادرة على تفهم اتجاهات وسلوك التلاميذ . ومن ثم تكون قادرة على التقريب بين أنواع اتجاهاتهم وسلوكهم على أساس سليم . كما أن التربية بتعرفها على تلك المعايير تتمكن من تزويد التلاميذ كأفراد فى المجتمع بمعان موحدة يتعاملون على أساسها ، فيزداد ترابطهم وتماسكهم الاجتماعى .

إن اخــتلاف الأطــر المرجعية كمنطلقات فكرية مشتركة بين الأفراد يضعف من طاقــة الأفــراد الإنتاجــية ويشكل صعوبة فى الاتصال الفكرى بينهم ، كما يؤثر فى تماســكهم الاجتماعى ، ونستطيع أن نلمس أثر اختلاف الأطر المرجعية فى المناقشة التــى تقــوم بــين شخصين على نحو لا يتفهم كل منهما الآخر فيه . ولكن اشتراك الجماعــات والأفــراد فــى أطر مرجعية متشابهة ، ومعايير اجتماعية متقاربة يشكل أساســاً قوياً من أسس انتماء الأفراد لجماعتهم وسهولة اتصالهم ببعضهم فيحرصون على تأكيد نفس المثل والقيم والمصالح ، فيقوى الانتماء للجماعة والمجتمع والتربية هــى أداة ذلك من خلال انتقائها للقيم والمثل وجعلها أرضية مشتركة أو منطقاً فكرياً مشتركاً بين التلاميذ كأفراد فى المجتمع .

إن طريقة التفكير الشائعة فى المجتمع تعكس معاييره الاجتماعية فإذا رغبنا فى حــياة ديمقــراطية تتمثل فى التفكير الديمقراطى القائم على المبادئ والأفكار والمثل الديمقــراطية ، فإن ذلك يكون عن طريق التربية وجهودها فى تطوير الأطر المرجعية والمعايير الاجتماعية على نحو تكتسب فيه تلك المبادئ والأفكار والمثل .

كــذلك يصــح القول فيما إذا رغبنا فى حياة يسود فيها التفكير العلمى فإن ذلك يكــون عن طريق التربية فى تطوير الاتجاهات الفكرية على نحو تصبح فيه مسايرة لــروح العصر ، وللتقدم العلمى والتكنولوجى . ذلك أن الاتجاه يتمركز حول شىء أو رمــز تدور حوله دوافع الفرد وسلوكه ولما كانت الاتجاهات تتكون أساساً حول أفكار ومعــان ورموز وقيم ومثل منبثقة من نظام وظيفى فى حياة الأفراد ، يعينهم على سد حاجــاتهم وتكــيفهم مــع المجــتمع ، فــإن ذلك كله يتمثل فى دور التربية وواجبها

ومسئوليتها فى تنمية الأفراد وتنشئتهم على نحو تجسد لهم فيه المعانى والأفكار والمثل المتصلة بالديمقراطية وروح العصر العلمية .

(٢) تعلم الأدوار الاجتماعية :

إن المجتمع يقوم على تركيب اجتماعى أساسى لبقائه واستمراره ، وتحقيق رغبات أفراده وجماعاته ، ويتخذ المجتمع لذلك تنظيماً خاصاً للمراكز والأدوار الاجتماعية التى يشغلها ويمارسها الأفراد والجماعات . فكل فرد فى مجتمع يحتل على الأقل مركزاً واحداً . وتختلف المراكز باختلاف السن والجنس والمهنة ، فلكل من الطفولة والشباب والرجولة مراكزها الاجتماعية ، وكما أن للرجال مراكزهم فإن للنساء مراكزهن ، فالبنت لها مركزها الذى يختلف عن مركز أمها فى الأسرة . والأم الموظفة لها أكثر من مركز ، وكما تختلف مراكز الأفراد داخل المجتمع الواحد ، فإنها تختلف بصفة عامة من مجتمع لآخر باختلاف النظم الثقافية فى المجتمعات ، فقد تشغل المرأة مركزاً يشغله الرجل فى نظام ثقافى آخر . وقد يعهد إلى الطفولة فى مستوى معين بالقيام بنشاط اقتصادى متصل بكسب العيش لا يقوم به نفس مستوى الطفولة فى مجتمع آخر .

والمركز هو تنظيم اجتماعى لدور معين يقوم به الفرد وفقاً لسنه أو جنسه . لذلك فالفرد يتعلم من جماعته التى ينمو فيها الدور الذى يناسبه . فالطفل له دوره كطفل وله أنماطه السلوكية التى يؤكد فيها ذاته مع الآخرين فى المواقف الاجتماعية. وحين يكبر ويصبح تلميذاً يكون له دوره كتلميذ يحصل العلم ، ويكون له نظامه السلوكى الذى يتعامل به مع زملائه وأساتذته فى المدرسة . والفرد فى ممارسته لهذه الأدوار الاجتماعية إنما يسعى لتكوين شخصيته فى الإطار الاجتماعى الذى حوله ، من خلال تغيير وتعديل واكتساب عاداته وتوقعاته السلوكية ، ويرتبط الدور الاجتماعى للفرد بالأدوار الاجتماعية للآخرين . فالطفل الذى يمارس دوره كطفل ، فإنه يمارسه فى ضوء علاقاته بالأدوار الاجتماعية الأخرى التى تقوم بها الأم والأب والأخوة

والأقــارب . والتلمـيذ الـذى يمــارس دوره كتلميذ ، فإنه يمارسه فى ضوء علاقاته بــالأدوار الاجتماعـية الأخــرى التى يقوم بها زملاءه فى الصف الدراسى وبالصفوف الدراسـية الأخــرى والمدرســون والناظر . كذلك يشغل الفرد مراكز أخرى منبثقة من التنظيم الاجتماعى القائم ويمارس الأدوار الخاصة بهذه المراكز . ولكنه لا يمكنه شغل هذه المراكز وممارسة أدوارها بطريقة واحدة متماثلة ، ونوضح ذلك كما يلى :

فلنفــرض أن رجلاً يعمل كاتباً فى شركة ، فحين يكون فى مكتبه ، فإن مركزه يكــون قـد تحدد على أساس تنظيم اجتماعى مهنى ، وهكذا فإن الدور المرتبط بهذا المركــز يــزوده بأساليب معينة فى اتصاله بعملاء الشركة تحدد بموجبها علاقته مع العمــلاء على نحو تصبح فيه معروفة لهم وله بما يجعلهم قادرين على توفير الجهد وتجنب المشاكل التى تعطل العمل ، وحين يذهب هذا الكاتب فى فترة راحته ، ويلتقى بموظفــين يشــغلون مراكز أخرى فى نفس الشركة ، فإن نشاط مركزه ككاتب يختفى ويمارس نشاط مركزه كموظف فى الشركة ، أى أن علاقاته تبعاً لهذا المركز ستكون محكومة بنظام اجتماعى مختلف عن ذلك الذى يكون فيه مع عملائه ككاتب ، ذلك أن علاقاتــه بالموظفين ستتغير تبعاً لما يحبه ويكرهه منهم ، وتبعاً لقيم النظام الوظيفى فــى هــذه الشــركة ، وبعد انتهاء العمل ، فإنه يترك هذه المراكز وأدوارها ويخرج مــتوجهاً إلــى منزله ، عندئذ نجده يلتزم بالنمط السلوكى الخاص بالتنظيم الاجتماعى القائم على أساس السن والجنس ، ففى أثناء جلوسه فى الأتوبيس ، فإنه سيقوم من مقعده إذا كان شاباً ليتركه لسيدة تجلس فيه بدلا عنه ، وإذا كان مسناً فسيستريح فى مقعــده بدون حرج ، وعند وصوله لمنزله فإنه يأخذ مركزاً ينبثق من نظام اجتماعى يقوم على علاقات القرابة وارتباطات الأسرة .

وفــى ممارســته لــلأدوار الخاصــة بهذا المركز العائلى ، عليه أن يظهر حبه لــزوجته وتوجــيهاته لأبنائه ، وإدارته لشئون أسرته ، ثم يخرج فى المساء ليلتقى بجماعــة أصــدقائه حــيث يمارس نشاط دوره المتصل بمركــزه كعضو فى جماعة أصدقاء ، وهكذا ...

ويعـرف لينـتون Linton الدور الاجتماعى : « بأنه الدلالة الواضحة للنظام الثقافى فى مركز اجتماعى معين ، وأنه يشمل السلوك والاتجاهات والقيم التى يقررها المجـتمع علـى كل فرد يشغل هذا المركز ، كما يشمل توقعاته السلوكية المشروعة تجاه الآخرين فى أدوارهم ومراكزهم المنبثقة من نفس النظام الثقافى ، كما أن الدور هو الجانب الديناميكى للمركز ، والذى يلتزم الفرد بتأديته ، كما يكون عمله سليماً فى مركزه » .

وحقـيقة إن مراكز الفرد المختلفة تمارس فى أوقات مختلفة ، فإنها تمنع تجمع الأدوار التى يقوم بها الفرد .

فالسلوك الظاهرى الذى يكون جزءاً من دور لمركز ما ، يحجب سلوكاً لدور فى مركز آخر ، فلا تتصارع أنواع السلوك مع بعضها بسبب اختلاف أوقاتها ، كذلك فإن الأدوار المـرتبطة بالمراكـز المنبـثقة من تنظيم اجتماع واحد تكون أكثر تلاءماً مع بعضـها وبعيداً عن الصراع ، طالما كان الفرد يعمل فى هذا التنظيم ، وهكذا نجد أن الأدوار للأفـراد كـباء وكأصـدقاء أو كحرفيين تتلاءم مع بعضها بصرف النظر عن اختلاف النظم الثقافية التى تنبثق منها هذه الأدوار ، وهناك استثناء لحالات شاذة كتلك التـى تظهر على بعض الأفراد فى ممارستهم لأدوار مراكزهم كباء منحرفين ، ويبدو هـذا الشـذوذ بصورة مجسمة فى المجتمعات البسيطة ذات التقاليد الراسخة والنظم الثقافية المتكاملة ، بينما يكون شيئاً عادياً فى المجتمعات المتحضرة المعاصرة .

إن الأفـراد فـى ممارستهم لأدوارهم وفق مراكزهم الاجتماعية ، إنما يتشكلون بواسـطة الـثقافة ، وبمـا أن تلك الأدوار والمراكز تختلف عن بعضها ، فإن الأفراد يكتسـبون الـثقافة بطرق مختلفة فهم ينظرون للأشياء من وجهة نظر مراكزهم فى التـركيب الاجتماعـى . ولهـذا فإن الأفراد والجماعات يكون لها راء ووجهات نظر مخـتلفة فى ماهية الأشياء ، وما يجب أن تكون عليه ، وحقيقة أن الأفراد تشارك فى الـنظام الثقافـى من خلال مراكزهم التى يشغلونها ، لهى ذات أهمية تربوية كبرى ،

فمعــرفة المدرســين لــتلك الحقــيقة تمكنهم من فهم وجهات نظر التلاميذ وخلفياتها الاجتماعــية والثقافية ، وكذلك تفهم أفكار أولياء أمور التلاميذ وتبادل الخبرة انطلاقاً من تقارب وجهات النظر الثقافية المتقاربة .

وتلعــب التــربية دورها الفعال حين تتحسس الحاجة إلى إعادة تنظيم التركيب الاجتماعــى لســد الحاجات التكنولوجية التى أوجدتها روح العصر والطفرة التطورية للحــركة البشــرية التــى لــيس لهــا مثيل فى التاريخ ، حيث أصبح كثير من النظم المــوروثة للمراكــز والأدوار الاجتماعــية عاجــزة فى إشباعها لحاجات الأفراد عن مسايرة التقدم فى الوقت الذى لم يظهر نظام جديد يتفق مع الحياة المتطورة .

وهكــذا نجد أن عملية التنشئة الاجتماعية هى عملية تربوية يقوم بها المجتمع بجمــيع أجهــزته ومؤسســاته ، وكما أن التربية ضرورة اجتماعية ، فإننا نجد هذه الضــرورة متمــثلة فى عملية التنشئة الاجتماعية كعملية تفاعل اجتماع ينمو خلالها الفرد وفق تحديد اجتماعى ونظام ثقافى يعمل على إكساب الفرد شخصيته الاجتماعية وتراثه الثقافى .

التنشئة الاجتماعية فى أشكالها المقصودة وغير المقصودة :

والتنشــئة الاجتماعــية قد تأخذ شكلا مقصودا أو غير مقصود . فهناك المنزل والمدرسة كمؤسسات تقوم بتنشئة الأفراد عن قصد ، فالأسرة التى تعلم أبناءها اللغة وآداب الحــديث والســلوك وفق نظامها الثقافى ومعاييرها واتجاهاتها ، تكون معنية بأبــنائها عن نحو تحدد لهم فيه الطريق والأساليب والأدوات التى تتصل بتشرب هذه الــثقافة وقــيمها ومعاييرها . كذلك فإن التعليم المدرسى فى مراحله المختلفة يكون تعليماً مقصوراً له أهدافه وطرقه وأساليبه ونظمه ومناهجه التى تتصل بتربية الأفراد وتنشــئتهم تنشــئة اجتماعــية معينة ، والى جانب هذه المؤسسات توجد الجماعات والأجهــزة والمؤسسات التى تمارس عملية التنشئة الاجتماعية لأفرادها بطريقة غير مقصــودة . فيتعلم فيها الفرد الآمال والمهارات والمعان عن طريق اكتسابه المعايير

الاجتماعية التى تختلف باختلاف تلك الجماعات والمؤسسات فعن طريقها يكتسب الفرد الاتجاهات والعادات المتصلة بالحب والكره والجنس والنجاح والفشل واللعب والتعاون والواجب والمشاركة الوجدانية وتحمل المسئولية وكذلك العادات المتصلة بالعمل والإنتاج والاستهلاك وغير ذلك من أنواع السلوك والاتجاهات والمعايير والمراكز والأدوار الاجتماعية .

كذلك تتشكل عملية التنشئة الاجتماعية وفقاً لنمط الحياة فى المجتمع فهناك حياة المجتمعات البسيطة التى تقوم على التقاليد الثابتة . فتقوم التنشئة الاجتماعية فيها على أسس التقليد والخبرة المباشرة ، وهناك المجتمعات ذات الحياة المعقدة باتجاهاتها المتعارضة ، ومعاييرها المتغيرة وقيمها المهتزة ، نتيجة التغير المتلاحق ، فتقوم التنشئة الاجتماعية فيها على أسس التفكير والتمييز والاختيار والمعاناة فى اكتساب الخبرة . لذلك فإن هذه المجتمعات تكثر وتنوع من وسائل التنشئة الاجتماعية لأفرادها ، فتعمل على نشر دور الحضانة ، والأندية وتزيد من المجلات وكتب الأطفال وتنوع من برامج التليفزيون والإذاعة وغيرها من وسائل الاتصال الجماهيرى على نحو تحاول فيه ضبط وتوجيه عملية التنشئة الاجتماعية .

التنشئة الاجتماعية واكتساب الشخصية :

وإذا نظرنا فى المستويات المختلفة للعلاقات التى يقيمها الفرد فى عملية التنشئة الاجتماعية مع الآخرين غيرها تقوم على أساس إحساسه بذاته وتأكيده لشخصيته من خلال وعيه وتمييزه بينها وبين شخصية الآخرين ، إن علاقاته المختلفة بالآخرين تكسبه خبرة بالعالم الإنسانى الذى يوجد حوله . ويستطيع بذلك أن يكيف نفسه تبعاً لهذه العلاقات فى نظام سلوكى يقوم بتكوينه على نحو يتناسب وتحقيق ذاته وتأكيد شخصيته . إن الخبرة التى يكتسبها فى المواقف المختلفة باختلاف البيئات التى يتواجد فيها تعينه على ظهور شخصيته ، فالذات كصفة متكاملة تنمو من الخبرة المكتسبة فى التفاعل الاجتماعى ، فهى تنمو فى سياق الوعى

الاجتماعى للفرد ، حين يشعر بذاته من خلال إدراكه لاتجاهات الآخرين نحوه ، ومن خلال انطباعاته عن المواقف السلوكية التى تتضمنه مع الآخرين .

وتبدأ العلاقات الإنسانية التى يقيمها الطفل والتى تكسبه خبرة تعينه على تنمية ذاتـــه ، مـــع أفراد أسرته حيث يكتسب خبرة تتصل بالحب والسلطة والحماية وإقامة المـــثل ، إذ يكتشف من حين لآخر ، أن سلوك الكبار قد أثر فى وعيه بمعانى الأشياء والاتجاهات والمثل ، وهكذا يزداد وعيه لذاته ويزداد نموها بزيادة تجاوبه مع أسرته وقـــيامه بـــدوره فـــيها . فالطفل حين يتفاعل مع أسرته ، إنما يدرك دوره فى ضوء أدوار الآخـــرين ويحكـــم على ذاته فى ضوء حكم جماعته ومخالطيها من الجيران ، ويطمـــئن إلـــى نفسه كلما وجد تجاوباً بين مصلحته وأهدافه وبين مصلحة الجماعة وأهدافها ، فعن طريق العلاقات القائمة بينه وبين أسرته والتفاعل المتبادل بينه وبين أعضائها يتحول فكر الطفل المتحركة حول ذاتـــه إلى فكر له منطقه الشامل المتكامل الخـــاص بـــه وبمن حوله . وعندما يغير الطفل بيئته المنزلية ببيئة أكثر اتساعاً فى الشـــارع والحـــى ، فإنـــه يتعامل مع أطفال آخرين جاءوا من بيئات منزلية مختلفة ، عـــندئذ يتعـــرض الطفـــل لمجمـــوعة من المؤثرات التى تبدو غريبة عليه ، وتتمثل المؤثـــرات الجديـــدة فى مجموعة المثيرات والاستجابات المتبادلة بينه وبين الأطفال الآخـــرين ، فلهـــم عاداتهم واتجاهاتهم ومثلهم التى اكتسبوها ، ولهم أنماط سلوكهم وطـــرق تفكيـــرهم ونظرتهم للأشياء وحكمهم على الأمور . والطفل فى مشاركتهم ، تخـــوض عملية تفاعل جديدة عليه ، وانطلاقاً من رغبته وقدرته على التكيف ، فإنه يتعـــرض لنوع من المعاناة فى تحديد علاقاته معهم ، إذ تتعارض وتتجاوب الرغبات والمـــيول والاتجاهـــات بيـــنهم علـــى نحو تظهر فيه الاتجاهات العدائية والتعاونية ، واتجاهات السيطرة والأنانية والتضحية والقيادية والتبعية وغيرها من الاتجاهات التى تعكس سمات الشخصية والطفل فى مواجهته لهذا التعارض والتجاوب يقوم بعمليتين متلازمتـــين عملية تشمل التغيير والتعديل والتعلم لعادات واتجاهات وتوقعات سلوكية جديدة. وعملية تأمله لذاته وتقديره لها وصقله لشخصيته فى ضوء علاقاته الجديدة.

وموازنته المستمرة بين شخصيته وشخصية الآخرين ، وهو بهذا يكتسب خبرة جديدة تعينه على زيادة وعيه بشخصيته وزيادة نموها .

ثــم يكبــر الطفــل ويصبح شاباً يتعلم فى المدارس والجامعة ، ويختلط بزملائه الطــلاب وأساتذته ، كذلك فإنه يخوض حياة المجتمع بجماعاته وأجهزته بمؤسساته التــى تتمثل جزئياً فى الأسواق حيث البيع والشراء ، وفى المواصلات حيث الاحتكاك بالــركاب ، وفــى شــلل الأصــدقاء حيث الحب والنفور ، وفى أماكن العمل ومكاتب الموظفــين حيث النشاط والخمول ، وفى غير ذلك . كما تتعرض لدينا المرأة والحب والجــنس وهــو فى هذا كله يواجه عديداً من عمليات التفاعل الاجتماعى التى تتطلب مــنه عمل العلاقات الإنسانية التى تتأثر تبعاً للمواقف الاجتماعية . فأحيانا يبادر هو بعمل العلاقة حين يشعر بالحرية ورغبته الابتكارية ، أو حين يحركه دافع شخصى أو جماعــى ، وأحــياناً تفرض عليه العلاقة من جانب الآخرين ، وهو فى هذا أو ذاك ، يكــون طــرفاً مؤثراً ومتأثراً ، فيغير ويعدل ويكتسب عاداته واتجاهاته ومثله . كذلك يكــون دائم التأمل لذاته ، مستمراً فى الموازنة بين شخصيته وشخصية الآخرين ذلك أن الــذات تعمل وتنمو على أساس وعى مستمر بالآخرين ، وأن ذلك يتضمن حيويته الشخصية وتنمية جوانبها المتميزة وبلورتها وصقلها فى إطار العلاقات الاجتماعية ، وهكذا تصبح الشخصية الإنسانية نتاجاً للعلاقة الديناميكية بين الفرد وبيئته .

إن عملــية تكوين الشخصية هى عملية مستمرة تبدأ مع حياة الفرد و د العملية التــى تــتكامل فيها خبرة الفرد مع صفاته العضوية فى وحدة وظيفية . ويرى بعض العلمــاء أن عملــية التنشئة الاجتماعية وما يصاحبها من تكوين الشخصية غالبا ما تنتهــى عــندما يصبح الآباء كباراً فى السن ويجدون فى أبنائهم تحقيقا لم يتحقق من مــالهم ، فهــم يعــتقدون أن تقدم العمر يؤثر فى نشاط العقل والجسم وقدرتهما على التكــيف ، كما أن شخصية الفرد تكون قد تحددت ملامحها وتكونت على نحو يصعب تعديله ، إلا أن هذه كقاعدة تجد لها استثناء ، فهناك من الأشخاص المسنين من ينظر

للحـــياة نظـــرة مـــتفائلة ، فيمارسون أعمالاً قيادية فى تربية الشباب ويتجادلون مع اتجاهاته ويسايرون نشاطاته ويمرحون لمرحه .

التنشئة الاجتماعية واختيار السلوك :

لقـــد عرفنا أن عملية التنشئة الاجتماعية عملية تكيف من جانب الفرد للظروف والمواقـــف الاجتماعية ، وهذا يعتمد على تعلم الفرد لاستجابات معينة يواجه بها تلك الظروف والمواقف ، وتوضح فيما يلى كيف أن التأثيرات الاجتماعية تؤثر على الفرد عندما يختار .

الفصل الرابع

البناء الثقافى للمجتمع

البناء الثقافى للمجتمع :

غالباً ما تختلف وحدات الأنساق الاجتماعية من مؤسسات ومنظمات باختلاف الوحدات المورفولوجية والأيكولوجية داخل هذا النسق أو ذاك .

ولقد كان «أميل دوركايم» من أشهر من تصدوا لدراسة التركيب الاجتماعى. وصدر كتابه « تقسيم العمل » متضمنا آراءه فى التنوعات المورفولوجية كالحجم والكثافة .

والمقصود بالحجم هنا حجم البناء الكلى والذى ينشأ من طريق زيادة الوحدات البنائية الجزئية والأنساق الثانوية المكونة للبناء . كما أن المقصود بالكثافة كثافة العلاقات والترابطات التى تقوم بين أفراد المجتمع وهيئاته المختلفة ، حيث تستقل الهيئات والطوائف ، وتتوزع الأعمال والوظائف ، ويتحدد لكل فرد عمل يؤديه ، حتى يصبح أداة من أدوات الإنتاج ، وعنصراً من العناصر الاجتماعية فى المجتمع ، ومن هنا فإن الكيفية التى يتجمع بها السكان داخل بنائهم الاجتماعى هى التى تحدد الأنماط الاجتماعية التى تعتبر عناصر لبينة الجماعة ومورفولوجيتها وتكوينها . وهنا تزداد فعاليات العمليات الاجتماعية كنتيجة لزيادة مناشط العمل الاجتماعى الناشئ عن تنوع الوظائف وتعدد وحدات المنظمات الاجتماعية .

واستخدام مصطلح « العملية » على هذا النحو لا يعنى عدم ارتباطها بفكرة البناء الاجتماعى والوظيفة . فالعملية والوظيفة والبناء مراحل ثلاث يجمعها إطار فكرى واحد ، بحيث يمكن استخدامها معا فى تفسير الحياة الاجتماعية .

وإذا فهمنا الوظيفة على أنها نتيجة للعلاقة المتبادلة بين البناء والعملية ، فإنه يمكن تطبيقها فى الدراسة الاستمرارية لأشكال الحياة الاجتماعية داخل بناء اجتماعى معين ، وكذلك فى عمليات التغير والحركة الدائبة لأنساق المجتمع داخل هذا البناء المعين ، ومن هنا فإن التغيرات التى تحدث فى العمليات ترتبط بالتغيرات التى تحدث فى الوظائف .

والواقـع أنـه كلمـا اتسع نطاق الحياة الاجتماعية وتعددت مناشطها ، كلما تعقـدت النظم وزادت وظائفها وأصبحت تقوم بطائفة كبيرة من الوظائف الثانوية إلى جانب وظيفتها الأصلية ، وهى إشباع الحاجات الأساسية التى من أجلها اصطلح على قـيام الـنظام وبتطور بناء النظم قد تسقط بعض وظائفه ، وقد يتغير نظام إلى خر ، وقد تترك رواسب وبقايا فى أفكار الرأى العام .

ولمـا كان النسق الاجتماعى يحتوى على ظواهر كلية ، ولما كان من مميزات الظواهـر الاجتماعـية التـرابط والتساند ، بحيث يؤثر بعضها فى البعض ، ويتكامل بعضـها مـع البعض ، ويتعاون بعضها مع البعض ، فإن التطور المورفولوجى يؤثر بـدوره فـى أنساق المجتمع المختلفة ، سواء منها ما يتعلق بالنسق الاقتصادى أو التـربوى أو السياسـى أو الثقافـى أو القرابى أو القيمى ، أو غير ذلك من مختلف أنسـاق البناء ، بحيث يخضع كل نسق لمجموعة من النظم التى تحدد لهذا النسق أو ذاك وظائـف معيـنة فحركة أنساق البناء الاجتماعى ، وتغير عناصر هذه الأنساق ، وتطور بناء الجماعات الوظيفية والنظم والعلاقات ، هى فى الحقيقة صورة من صور الطبيعة الدينامية للمجتمع التى تقتضى تعديلاً مستمراً فى العناصر المكونة له .

وتطـور بـناء الجماعـات والنظم والعلاقات لا يجرى طبيعيا ، كما كان يظن علمـاء الاجـتماع الأوائـل ، الذين تصوروا أن تطور المجتمعات يسير فى الطريق المرسـوم لـه حتى ينتهى إلى الكمال ، وهو خر المراحل فى ذلك الطريق ، أو فـى طريـق التقدم حينا والتأخير حيناً آخر ، أو كما رأى المفكر الاجتماعـى الأمريكـى « ولـيام سـومنر » أن الـتطور الاجـتماع يسير فى طريقه المرسوم تحت سيطرة الطبيعة ، ولذلك فمن الخطأ أن يظن الإنسان أنه قادر على التخطيط لعالم جديد ، لكن الواقع أن النظريات التطورية فى التفسير السوسيولوجى تتعارض مع حقيقة المجتمع الـذى يتغيـر فـى بنائه وأنساقه ونظمه وقيمه ومعاييره بفعل عوامل حركة الحياة الاجتماعية نفسها .

وحيث أن حركة الحياة الاجتماعية دائمة ، فإن المجتمعات تحاول أن تجد الوسائل ، أى البناءات الاجتماعية التى تستطيع بواسطتها أن تفى بمطالب الحاجات ، عن طريق الوظائف المعينة لجماعات المجتمع وأدوار أفراده الوظيفية ، ولا يمكن أن يكون المجتمع فى وقت ما ساكناً ، لأن الحركة من طبيعة الحياة الاجتماعية ، ولذلك اتجه علماء الاجتماع إلى دراسة ظاهرة التغير ، بغرض الكشف عن طبيعة هذه الظاهرة وأنواعها والعوامل التى تؤدى إليها .

ولقد اتجه علماء الاجتماع اتجاهات مختلفة عند تحديدهم لعوامل التغير الثقافى وأسبابه ، فمثلاً ذهب « أوجبرن » ومدرسته إلى أن الثقافة المادية بما تشمله من اختراعات ومكتشفات هى العامل الرئيسى فى التغير ، ويركز « أوجبرن » بصفة خاصة على أثر التكنولوجيا والاختراعات ، وإن كان لا ينكر وجود عوامل أخرى ، كالعوامل البيئية والطبيعية والبيولوجية وغيرها من العوامل التى تساهم فى ظاهرة التغير .

وكان من رأى « كمبول يونج » أن التغير الثقافى ، يرجع إلى عوامل الاختراع واستخدام التصنيعات التكنولوجية .

ويحصر « ماكيفر » عوامل التغير فى عاملين ، وهما : البيئة الطبيعية ، والنشاط الإنسان المتمثل فى الثقافة والتكنولوجيا . ويركز « مارتن ديل » على أثر الفرد فى إحداث التغير ، ويعطى « جنزبرج » أهمية كبرى للرواد النابهين فى المجتمع كعامل من عوامل التغير .

وتختلف وجهات نظر المفكرين عند تناولهم لعوامل التغير ، ويمكن القول أن العوامل التى تؤدى إلى التغير كثيرة ومتعددة ، ولكن آثارها تختلف باختلاف المجتمعات وباختلاف الزمان ، بحيث لا يمكن تعميم أى منها ـ كعامل منفرد ـ على كافة المجتمعات .

ولعـل دور المنشطات الاجتماعية فى إحداث حركة مقصودة لتطوير الأنساق الاجتماعـية ، يتضـمن قيام سياسة إنمائية معينة تستهدف إحداث التوازن والتساند الوظيفى للأنساق الاجتماعية إزاء حالات اللاتوازن التى تتعرض لها هذه الأنساق مع سياسات الإنماء المختلفة والتطوير المستمر لها ـ نقول لعل لهذا هو دورها الواضح فـى عمليات التطوير والتوازن المطلوب داخل بناء اجتماعى معين . ومن هنا يمكن النظـر إلى أثر ديناميات الحركة والتغير فى البناء الاجتماعى ، من ناحية متطلباتها مـن المناشط الاجتماعية لأفراد المجتمع فى دورهم الوظيفى الذى يقومون به داخل المؤسسات والمنظمات المختلفة فى المجتمع .

ومـن الملاحـظ أن أفـراد المجـتمع فى حياتهم الاجتماعية المشتركة وفى علاقـاتهم المخـتلفة ، وعـند أداء أدوارهـم الوظيفـية المتنوعة طبقاً لوضعياتهم الاجتماعـية داخـل مؤسسـات المجـتمع ومـنظماته ، تسـودهم عـادة حـركات فكـرية هادفـة تـزيد مـن منشـطاتهم للعمـل الجماعـى ، وتكـون لها الفعالية الإيجابـية فـى البيـئة الاجتماعـية وفـى العلاقـات الاجتماعية ، وتنعكس روجها علـى التنشـئة الاجتماعـية ، بمـا يحـدث تغير أو تبدلاً فى نسق القيم والمعايير السـائدة ، وفـى النظـرة للأبنـية الجـزئية للـتدرجات الطبقـية فـى المجتمع ، وللعمليات الاجتماعية والثقافية المختلفة .

ومـن هـنا يكـون انبثاق الأفكار والآراء من الوضعيات والفئات الاجتماعية والصـادرة عـن هـذه الأفكار والآراء ، عاملاً محركاً للمنشطات الاجتماعية لأفراد المجـتمع علـى تطويـر الـنماذج الاجتماعية الواقعية وفقاً لسياسة متكاملة ، تتخذ أسـاليب ووسائل هادفة ، تساندها عادة تبريرات اجتماعية ، أو نظريات فلسفية ، أو أحكام عقائدية .

وهـذه الحـركة الصـادرة عن المنشطات الاجتماعية غالبا ما تكون استجابة لحاجـة أساسـية فـى المجـتمع ، حـيث تعكس الإرادة الجماعية الواعية المسيرة للفعالـيات الاجتماعـية ، وبشـرط أن يكـون العامل الغائى واضحا فى المستويات

الاجتماعــية ، وأن تتحقق عن طريقه أهداف جماعية أو طبقية وفقاً للتدرج الوظيفى للأنساق الاجتماعية فى البناء الوظيفى للمجتمع .

فواقــع الحــياة الاجتماعــية وتطورها ، وحركتها التى تبدو فى تعدد حاجات الأفــراد ، وزيادة عدد المؤسسات الاجتماعية فى مختلف الميادين ، وتنوع العمليات الاجتماعــية وظهــورها فى شكل علاقات مختلفة .. هذا الواقع يتطلب تنسيق القوى والجهــود التى تسهم فى هذه الخدمات . ولكى يتسم توجيهها الوجهة الصالحة لخير المجــتمع ، فإن الأمر يتطلب العمل على إنماء المنشطات الاجتماعية لزيادة فعالياتها عــن طــريق مجمــوعة الأفــراد الــذين يتصدون لرسم سياساتها طبقاً لما تحتمه وضعياتهم الاجتماعية وأدوارهم الوظيفية ، وبما يؤدى فى النهاية إلى تحقيق أهداف معيــنة للمجــتمع ، تجمعهــا أيديولوجــية فكــرية معينة منبثقة عن مناشط العمل الاجتماعى لأفراد وجماعات المجتمع .

وإذا كانت الأيديولوجية فى حد ذاتها لا تعمل فى فراغ ، بل فى وسط اجتماعى وبيــئة اجتماعية معينة ، فالعلاقة بين أفراد المجتمع ووسطهم الاجتماعى لها الدور الأكبــر فى إحداث التطوير اللازم لأنساق المجتمع ، حيث أن الفكرة لا تظهر آثارها ونــتائجها إلا فــى وســط اجتماعى وبشروط معينة ، منها أن تكون محققة لغرض مــرغوب فيه ومتفق مع المثل والغايات العليا التى يتطلع إليها الرأى العام الجماعى ويقبلها . وأن تكون استجابة للحاجات الأساسية للمجتمع .

وإن إدراك علمــاء الاجــتماع المحدثين لمدى العلاقة المتفاعلة والمتبادلة بين الأيديولوجية المتحركة وديناميه البنية الاجتماعية المتطورة فى وقتنا الحاضر ، كان أكبــر حافز على تصوير الأيديولوجية على أنها قوة فكرية تعمل على تطور النماذج الاجتماعية الواقعية وفقاً لسياسة متكاملة وأهداف محددة .

ومــن هــنا يتحتم قيام سياسات الإنماء الاجتماعى والثقافى على أساس إنماء مناشــط المجتمع فى الخط الذى ترسمه هذه الأيديولوجية ، منعاً لصراع قيمى معين

بين ما تأتى به هذه السياسات وبين ما يعتقد فيه الناس ، فالتغير الثقافى إذن شرط أساسى إزاء ما تستحدثه سياسات الإنماء الاجتماعى عادة من قيم ومعايير جديدة . وإذا كان الأفراد فى المجتمع ليسوا مجرد أدوات تنفيذ لمشيئة إرادة تعلو عليهم ، سواء أكانت هذه المشيئة متمثلة فى قوة المجتمع ككل أو فى قوة فكرية قهرية متمثلة فى شكل أيديولوجى معين ، فإن تأثير هؤلاء الأفراد فى حركة مجتمعهم لاشك أن لها الأثر الواضح ، وكلما نمت مناشطهم كلما كان دورهم الوظيفى أكثر كفاءة ، بما يؤدى إلى تدعيم البنيان الاجتماع وقوته .

والبحث فى علاقة الأيديولوجية بالمعرفة يوضح أن الأيديولوجية تشير إلى مجموعة من الأنساق والمبادئ والعقائد التى ترتكز على تقويم للتفاعلات الاجتماعية فى حركة اجتماعية تحمل فى ثناياها عناصر التغير ، ومتى خرجت الأيديولوجية من حيزها الفكرى إلى المنطق الجماهيرى الحركى ، فإنها تتجسد على شكل منظمات ومؤسسات معينة تستغرق الوظائف والمنشطات الاجتماعية فى مختلف مجالات الحياة فى المجتمع ، وهكذا فإن إنماء منشطات المجتمع يجعلها تدفع بدينامية نشاطاتها فى طريق تحقيق تطلعات هذه الأيديولوجية أو تلك .

وبالنظر إلى التكنولوجيا كعنصر من عناصر ديناميات الحركة والتغير فى البناء الاجتماع ، فإننا نلاحظ الأثر الكبير الذى تتركه التكنولوجيا فى البناء ، فقد أد اكتشاف البخار والكهرباء إلى انتقال الصناعة من المجال اليدوى إلى المجال الآلى الذى يقوم على التخصص وتقسيم العمل من أجل زيادة الإنتاج ، وقد استلزم العمل الآلى تجمع العمال وتكافئهم فى الأماكن الصناعية ، مما أدى إلى قيام صراع بين العمال وأصحاب العمل ، كان من نتائجه ظهور المبادئ الاشتراكية فى الإنتاج ، مما أدى بدوره إلى تغيرات كثيرة بالنسبة لقوانين العمل .

وهكذا نرى الأمم اليوم تتسابق فى إصدار تشريعاتها العمالية لحماية العامل من استغلال أصحاب رؤوس الأموال ، كما نلمس عادات وتقاليد تنهار لتحل محلها

عادات وتقاليد جديدة ، وفى نفس الوقت نلاحظ ما طرأ على أنساق المجتمع الأخرى من تغير نتيجة لتغير التكنولوجيا فى النسق الاقتصادى .

ولقد تعقب « كروبر » الآثار العميقة التى أحدثتها الثورات التكنولوجية المتعاقبة فى إرساء لبنات التقدم الحضارى ، مرتداً بجذور تلك الثورة إلى الحضارة الفرعونية القديمة ، ثم الحضارة البابلية والآشورية ، وأظهر الترابط بين الإنجازات الحضارية وبين قدرة الإنسان على السيطرة على الطبيعة عن طريق التقدم التكنولوجى ، كما أوضح أهمية التكنولوجيا فى كل تلك الإنجازات وفى شحذ الطاقات العقلية والفنية والترفيهية لخدمة الإنتاج .

وقد أدى التقدم التكنولوجى إلى هجرة بعض الظواهر الاجتماعية وانتقالها من مجتمع إلى آخر ، إثر تقدم وسائل الإعلام المختلفة ، ومنها ما يتعلق باللغات ، أو الديانات ، أو النظم السياسية والاقتصادية والاجتماعية والفكرية المختلفة ، مما أدى إلى حدوث تأثيرات معينة فى الأنساق المختلفة لأبنية المجتمعات الإنسانية .

والتكنولوجيا ـ كما يرى المفكر « ليزلى هوايت » ـ هى أساس التطور والتقدم ، وهى تعنى التحرك فى اتجاه زيادة استخدام موارد الطبيعة ، أو زيادة الانتفاع بالطاقات الموجودة ، وحيث تمد الحضارة الإنسان بالتكنولوجيا بالوسائل الاجتماعية وبالموضوعات الأيديولوجية ، فإن التحسينات التكنولوجية من شأنها أن تزيد من المهارة والكفاءة ، وعن طريقها تنبثق الآراء والأفكار والعادات الاجتماعية .

فالتكنولوجيا وإن كانت دراسة للوسائل الفنية لمجموعة كبيرة من العناصر المادية التى تؤدى إلى الثقافة ، إلا أن التقدم التكنولوجى له تأثيراته على أساليب التفكير والعلاقات الاجتماعية وتنظيم المجتمع وتطور القانون ، وهكذا فإن التأثير التكنولوجى يتتابع مؤديا إلى آثار مصاحبة أو مشتقة ، على هيئة سلسلة مترابطة الحلقات . فالتقدم التكنولوجى مثلا بعد اكتشاف القوى المحركة كانت له آثاره على

حـياة الـناس وحياة المجتمع ، فانتقل الناس بفضل ذلك من بناء البيئة الطبيعية إلى بناء البيئة الصناعية ، وكان لهذا أثره الكبير على النسق الأيكولوجى .

وقد أدى هذا إلى تغييرات كثيرة فى أنظمة الحكم والتشريعات المختلفة والعادات والتقالـيد ، وغير ذلك مما يحكم علاقات الناس بعضهم ببعض ، أى كان له أثره على نسق الضبط الاجتماعى ، وهذه التأثيرات المتبادلة بين أنساق المجتمع بعضها البعض تنـتج عـنها وسائل حضارية وثقافية مختلفة تنعكس على المجتمع فى جزئياته وفى كلـياته ، فيتأثر بها بناء المجتمع وأنماطه المختلفة ، المتمثلة فى هيئاته ومؤسساته ، وفـى علاقات أفراده وترابطاتهم البنائية والوظيفية ، وحدود أنظمتهم الاجتماعية وما تقضى به قواعد حياتهم ويضمها نسق الضبط الاجتماعى فى بنائهم الكلى .

والـبحث فـى التقدم التكنولوجى والصناعى ، وإن كانت له آثاره الكبيرة فى التغيـر الاجتماعـى والثقافـى ، إلا أن الصـناعة قد جذبت إليها الناس من الأعمال الأخـرى ، ممـا أدى إلى كثافة ديموجرافية عالية فى المناطق الصناعية ، كانت لها آثارها الاجتماعية فيما يطرأ على هذه المناطق من تغيرات اجتماعية ، سواء بالنسبة للنسـق الأيكولوجـى ، أو بالنسبة لتراث المجتمع وحضارته ، فى عنصريه المادى وغير المادى .

كـذلك كانت له آثاره الخطيرة أحياناً فى المطالبة بحقوق الشعب العامل ، مما أدى إلى ثورات اجتماعية انتهت بتقرير نظم جديدة ، وتقويض أخرى كانت قائمة كما أن تجمع السكان وكثافتهم فى المناطق الصناعية أدى إلى التفكير فى إسكانهم ، وفى تسـهيل طـرق مواصـلاتهم ، وفى تحسين وسائل معيشتهم ، مما أدى إلى تغيرات كثيـرة يشـهدها البـناء الاجتماعى فى أنماطه وأنساقه وظواهره وعلاقات أفراده ، ووضعياته الاجتماعية المختلفة ، وكذلك فى البناء الوظيفى لمؤسساته وهيئاته .

وإذا كانـت الحركة والتغير شرط أساسى لحياة المجتمعات الإنسانية ، فإننا لا نجـد نسقا ثابتا ومثالياً ، وبالتالى ليس ثمة نظام اجتماعى ثابت ومثالى يمكن تطبيقه

علـــى كافة الأبنية الاجتماعية ، ودراسة البناء الاجتماعى من الناحية المورفولوجية الاجتماعـــية . ومـــن الناحـــية الوظيفية الواقعية الممتزجة بالأحكام والقيم والمعايير الأخلاقـــية . تثـــبت فعالية نظم الأنساق المختلفة من الناحية العملية ، وتبين حقيقة الحركة والتغير للأنساق المختلفة لبناء المجتمع .

ومـــن هـــنا تبـــرز حقيقة أخرى.وهى أهمية التوازن بالنسبة للحركة والتغير الديموجرافـــى فى الوضع الاجتماعى ، إذ أن التنظيم والبناء الاجتماعى لا يستمر فى توازنه وتساند أنساقه الوظيفى. مع ما يطرأ على العامل الديموجرافى من تغير، فمن الملاحظ أن اجتماع الناس وتكاثرهم وتطورهم مورولوجيا وديموجرافيا، أدى ويؤدى إلـــى ريادة فعاليات تواصلهم اجتماعيا عن طريق تعدد أشكال العمليات الاجتماعية ، وتـــنوع العلاقـــات الوظيفية ، مما يكون له الأثر الفعال فى ضرورة العمل على قيام سياســـات للإنساء الاجتماعى والاقتصادى ، تقابل حاجات الأفراد ومطالبهم ، وتساعد علـــى تطويـــر نظم الأنساق الاجتماعية المختلفة لكى تتلاءم مع الأوضاع المتحركة للمجتمع النامى . ومن ثم يتم تساندها وظيفيا لتحقيق الأهداف الاجتماعية العامة .

ويـــرى « دور كايم » أنه كلما تقدم المجتمع . تعددت وحداته البنائية وهيئاته الوظيفـــية ، وارتقـــت حضـــارته ، وتنوعت علاقات أفراده ، حيث يتكاثف الناس فى معيشتهم ، ويقيمون فى وحدات سكنية أوسع ، مما يؤدى إلى المنافسة بين الأفراد ، ويدفعهم إلى الابتكار ، ويخلق فيهم معنى الذاتية الاجتماعية .

فـــتعدد الهيـــئات والوظائف يودى بالمجتمع إلى الترابط والتضامن الحيوى ، الذى يؤدى إلى حياة اجتماعية وثقافية جديدة تقوم على الهيئات الاجتماعية المختلفة المستحدثة فى هذا المجتمع ، وعلى أساس من وظائفها التى تخصصت أو تتخصص فيها . وهكذا تدفع المنافسة المشروعة بالابتكارات إلى الأمام ، ويصبح التضامن فى هـــذه الحالـــة « تضـــامنا عضويا » . أى أنه يقوم على أساس من عدم التشابه فى الوظائف والواجبات نتيجة لتنوع الهيئات الوظيفية .

وهــذا بعكــس الحال فى المجتمعات المحدودة المكان ، حيث يكون التضامن ميكانيكــياً آلــياً ، وحيث تتشابه الهينات الوظيفية فيها إلى حد كبير ، ومثل ذلك ما نجــده فــى المجــتمعات المتأخــرة ، حــيث المؤسسات فيها قليلة ، ونطاق الحياة الاجتماعــية فيها محدود ، ذلك أن مقومات الحياة الاجتماعية فيها ليست من احتكار هيــئات تخصصية معينة ، ولهذا يمكن لأى شخص أن يملأ وظيفة معينة ، لا عن فن أو تخصص ، وإنما عن وراثة ، إذ أن كيانها المورفولوجى لا يسمح لها بأن تتشعب إلى هيئات مهنية داخلية .

ويعطــى « بنسيون » أهمية كبرى للعامل الديموجرافى كمحرك أساسى للتغير الاجتماعــى والثقافــى ، ومن هذه النظرة يمكن أن نستخلص أن تزايد حجم المجتمع وازدياد كثافته يؤدى إلى مزيد من التغيرات فى أنساقه المختلفة ، تؤثر بدورها على حركة البناء الاجتماعى .

فــنظم المجــتمع ووظائفه المختلفة ، سواء ما كان منها متصلا بالمؤسسات الاجتماعــية ، أو بمراكــز الأفراد الاجتماعية ، أو بالإجراءات القانونية ، أو بملكية الأرض ، أو بمكانـــة المــرأة ، أو بطــرق الزواج ، ليست نظمــاً مستقلة أو قائمة بــذاتها ، بــل هى أجزاء فى أنساق معينة يضمها بناء اجتماعى معين ، وهذه النظم تحقق للبناء الاستمرار والبقاء ، والعلاقات بينها تقوم بين وحدات وكيانات ، أى أنها علاقات متساندة بين أنظمة يحتويها النسق الاجتماعى الكلى .

والأصــل أن يــؤدى الانفجار السكانى إلى التحضر ، لأن الزراعة لا تستطيع امتصــاص القــوى العاملــة ، غير أن التحضر ليس حقيقة ديموجرافية وأيكولوجية فحســب ، بل هو أيضاً أسلوب للحياة ، إذ تتحول بعض المناطق الريفية إلى مركبات متــروبولية ، وتفقــد الكثيــر من خصائصها الريفية بفضل وسائل الاتصال والانتقال السريعة ، وبذلك تفقد هذه المناطق عزلتها واكتفاءها الذاتى .

وإذا كانــت الحــياة الاجتماعية فى نظر أصحاب المدرسة الأيكولوجية تتشكل وتتــباين وفــق الظــروف الطبيعية ، فإن هذه الظروف وحتمية البيئة الجغرافية لا

تستطيع أن تحدد بنفسها أو فى حد ذاتها مجرى الأحداث الإنسانية ، فاليابان مثلاً تستمتع بالظروف المناخية المواتية ، ومع ذلك فقد استعارت جزءاً كبيراً من حضارتها من العالم العربى ، ومثلاً ولاية « نيوانجلاند » مع أنها منطقة موحشة وصخرية ، إلا أنها تستمتع برخاء نسبى ، مما لا ينطبق مع قول « باكل » من أن الثروة ترجع كلية إلى التربة والمناخ .

فكثير من وسائل التعديل فى البيئة الجغرافية يرجع إلى الحضارة الإنسانية ، وأن قيام المدرسة الأيكولوجية على أساس مجرد التفاعل بين البيئة الجغرافية والنشاط الإنسانى ، يغفل كثيراً من العوامل الأخرى التى تسهم فى التغير ، وفى ديناميةة الحركة التى تتعرض لها الأبنية الاجتماعية والثقافية ، وفى هذا إهمال لأثر البيئة الاجتماعية ، مع ما لها من انطباعات تغيرية على الأنماط الحضارية فى المجتمع ، وإهمال لمبدأ التساند بين الظواهر . فواقع الحياة الاجتماعية يتمثل فى مناشط المجتمع المنبثقة عن وظائف أفراده ، حيث يتم العمل من أجل إيجاد البيئة الاجتماعية المناسبة للحياة ، ووفقاً للمستوى الإنمائى لهذه المناشط .

ومن الملاحظ أنه كلما تقدم الزمان تراجع المكان ، ففى المجتمعات الأولية حيث يقل حجم وحداتها البنائية ، وتتشابه هيئاتها الوظيفية ، وحيث لا تتنوع علاقات وترابطات أفرادها ، نجد أن أثر العامل الأيكولوجى واضحاً على نشاط الإنسان ، إذ تتحكم هذه المظاهر الأيكولوجية فيه إلى حد كبير ، وتملى عليه كثيراً من مقومات حياته البيولوجية والاجتماعية ، وتسير أعماله وفق إرادتها إلى حد ما ، ولكن ما أن زادت الكثافة السكانية حتى تعددت وحدات المجتمع البنائية ووضعياته الوظيفية ، وتنوعت علاقاته بحيث أصبح لكل فرد عملا يؤديه ، وهكذا أخذ الإنسان يصارع المكان ، وانتصر على البيئة الطبيعية ، وأمكنه تسخيرها لصالح حاجاته ومطالبه ، وهكذا تنوع تراثه الاجتماعى والثقافى .

ولفهم حقيقة ديناميات الحركة فى البناء — حتى فى الصورة البدائية — لابد من النظر إلى القوى الاجتماعية المحركة للتغيير بوصفها علاقات معينة ، فمعرفة

هـذه العمليات والمدلـولات التفصيلية لهذه التفاعلات أمر جوهرى لإدراك حقيقة دينامية الحركة فى البناء الاجتماعى .

وبالنظـر إلى ثقافة المجتمع من وجهة بنائية ، ومن خلال مجالاتها الوظيفية ، وفى الإطار الكلى الذى يحدد مشخصاتها الذاتية ، فإن هذا يؤدى بنا إلى أخذ الثقافة ـ فـى المقـام الأول ـ على أنها المعطى الاجتماع فوق العضوى الذى يكسب المنشطات الاجتماعـية الشـعور بالوحدة الفكرية ، الذى يجعلها تصل إلى المستوى التكنولوجى القـادر على صياغة الجانب المادى وفق قدرتها على السيطرة على مواردها البشرية والمادية لصالح تقدم البناء ، وإشباعاً لمتطلباته واحتياجاته المتجددة .

ولا ننسى فى هذا المجال ما يتعرض له النسق القيمى فى المجتمع من تصادم ثقافـى ، قد يحدث نتيجة لانتقالات الأفراد والجماعات عن طريق الهجرات الخارجية منها والداخلية . أو نتيجة لعمليات التوطين التى تلجأ إليها بعض المجتمعات لتهجير الأفـراد مـن جهة لأخرى ، مما يتطلب عملية تكيف ثقافى وقيمى للأوضاع الجديدة بالنسبة للجماعات الموطنة . والتى تظل لفترة ما متمسكة بقيم معينة ومعايير خاصة بثقافـتها القديمـة ، ومـن ثم تتطلع بقلق وحيرة إلى الثقافة الجديدة ، وتمر عملية التكـيف هـذه بمراحلها الثلاث ، وهى مرحلة التوافق ، حيث يظل المجتمع محتفظا بثقافـته القديمة بجانب ثقافته الجديدة . ثم مرحلة التكيف الجزئى ، حيث يمكن تقبل بعـض عناصـر الثقافة الجديدة . ثم مرحلة التمثيل . حيث يتم قبول المجتمع للثقافة الجديدة بما تتضاءل معه الثقافة القديمة .

وحيث أن البناء الاجتماعى هو الإطار الأيكولوجى والمورفولوجى الذى يجسد ثقافة معينة ، فإنه لا يمكن حدوث تغيرات ثقافية خارج هذا البناء أو خارج وظائفه ، ومـن هذه الوجهة يمكن اعتبار التغيرات الثقافية تغيرات اجتماعية تعكس انطباعات اجتماعـية . كمـا أن التغيـرات الاجتماعية فى معظمها ترجع إلى تغيرات ثقافية ، ولاسيما إذا أخذنا فى الاعتبار المعنى الكلى العام لمفهوم « الثقافة » ، وأحيانا تكون الـثقافة فـى مجـتمع مـا قابلة أكثر منها متفاعلة ، خذه أكثر منها معطية ، تفضل

الجمــود والتمســك بالقيم السائدة ، ولكنها مع ديناميات الحركة لابد وأن تجد تراكما ثقافــياً تساعد عليه عمليات الاختراع والابتكار والانتشار ، واستعارة الأنماط الثقافية وتبادلها ، ومن ثم تتحرك وتتطور إلى ثقافة أخرى .

وهكــذا نلمس تفاعلاً ديناميكياً داخل أنساق البناء الاجتماعى تدل عليه الحركة الاجتماعــية ، التــى تــؤد إلى التوازن داخل نسق معين ، أو إلى الحراك الاجتماعى الــذى يبدو فى الأدوار التى يقوم بها الأفراد فى وعيهم وتطلعاتهم ، وما يترتب على ذلك من تغير فى مراكزهم الاجتماعية والثقافية نتيجة لتحركهم صعوداً أو هبوطاً فى الســلم الاجتماعــى والثقافى ، حسبما يسمح بذلك النظام الطبقى فى المجتمع . وهذا التفاعل الدينامى يؤدى بالبناء إلى أن يكون دائماً فى حركة ثقافية مستمرة .

الثقافة وعناصرها :

لقــد تعددت الآراء والاتجاهات حول علاقة الثقافة بالمجتمع ن فمن اعتبر أن دراســة الــثقافة هــى دراسة للمجتمع ــ كما ذهب " أوجبرن " مثلاً ــ وتخالف هذه النظــرة مــا ذهــبت إلــيه الأنثروبولوجيا الاجتماعية من أن دراسة المجتمع شىء ودراسة الثقافة شىء آخر ، إلا أن دراسة البناء الاجتماع لابد أن تأتى أولاً كما يرى الأســتاذ " ايفانــزب ريتشارد " ويرى " ماك ايفر " أن البناء الاجتماعى له خصائص مخــتلفة عن الثقافة ، فدراسة التغير فى المجتمع مثلا إنما تنصب على أساس بحث العلاقات الاجتماعية فى تغيرها منفصلة عن الثقافة .

والواقــع أن الــثقافة هــى المظهــر الأول للبيئة الاجتماعية ، حيث نجد أن المجــتمعات تخــتلف عن بعضها البعض فى نظمها ومعاييرها الخلقية ، وفى أساليب معيشــتها ومعــتقداتها وأفكارها ، كما قد تختلف هذه الأمور فى المجتمع الواحد من عصر إلى آخر ، فمن أهم مميزات الثقافة هو تنوعها واختلافها .

ومــن الملاحــظ أن العلاقة الارتباطية بين الكثافة السكانية والنماذج الثقافية تســاعد علــى انتشــار عناصر الثقافة عن طريق تنقلات السكان داخليا فى المجتمع الواحد ، أو خارجياً من مجتمع إلى مجتمع آخر .

وقـد يحدث تصادم ثقافى وصراع حضارى يؤثر — إلى حد كبير — فى التطور الاجتماعــى، مما يوجد معه فى النهاية أنماطاً رئيسية تميز حضارة المجتمع وثقافته، بحيث يمكن تمييز بعض الحضارات الإنسانية بالطابع الثقافى والأيديولوجى الغالب فيها

دور التعليم فى نقل العناصر الثقافية وانتشارها :

التعلـيم قوة تكفل للعناصر الثقافية الانتقال من جيل لآخر إذ عن طريق عملية التعلـيم فـى داخـل المدرسة وفى خارجها يتعرف الصغار على حضارة مجتمعهم ، والتـى تشـملها مختلف عناصر التراث الاجتماعى فى هذا المجتمع ، كما أن التعليم وسـيلة للتغيـر الثقافـى حيث أنه يساعد على التدريب وعلى التجريب العلمى الذى يؤدى غالبا إلى الاختراع والاكتشاف .

ويـبدو أن " أوجبـرن " كان على حق حين تساءل عن المدى الذى به ترضى الـثقافة فى نموها كافة الاحتياجات لد أفراد المجتمع فمع أن هناك علاقة بين الثقافة واحتـياجات الإنسـان إلا أنه من الصعب تحديد هذه العلاقة ، فكثير من الاختراعات الماديـة قد استعملها الإنسان لأنها تلبى رغبة وحاجة معينة لديه . وقد تكون الفائدة البعـيدة المـدى أكثر من الفائدة الملموسة حاليا ، فالبخار مثلا قد استعمل لأنه يوفر الكثير من الجهد الإنسانى ، ولكن التغيرات الثقافية أثبتت أن للبخار فوائد أخرى غير توفير الجهد الإنسانى ، فتأثير الاختراع بعيد المدى على الإنسان ، ولكن من الصعب التنبؤ بكل نتائجه الاجتماعية ، ذلك لأن هذه النتائج أكثر أهمية من مجرد تلبية حاجة أو حاجات معينة سريعة عند أفراد المجتمع . وقد يكون للاكتشاف أو الاختراع نتائج سـيئة ، فمـثلا يتسـبب عن البندقية التى يستعملها الشعب الذى يعيش على الصيد والقـنص فـناء مصدر طعامه ، وهذا تماماً كما يؤثر اختراع معين تأثيراً ضاراً على موارد الثروة الطبيعية .

وإنـه وإن كـان من الصعب بمكان إرجاع للتوقيت الزمنى لظهور الاختراع إلى الحالة الثقافية، إلا أن كل حادث يبدو مفاجئاً لابد وأنه يرتد إلى أصول ضرورية مهدت

إليه، ومع ذلك فإن المتتبع لتاريخ ظهور الاختراعات يستدل على قوة الثقافة فى تحديد المجـــال لاختــراعات معينة فى محيط معين يتوقف بعضها على البعض الآخر، فتاريخ الاختراعات كما يقول (كروبر) يشبه سلسلة لا نهاية لها من الأمثلة المتشابهة .

فالانقلاب الصناعى Industrial Revolution تميز باستخدام الآلة فى الإنتاج علـــى نطاق واسع نتيجة لمجموعة متلاحقة فى ميدان الطاقة البخارية بوجه خاص ، مما أدى إلى حلول الصناعة الآلية محل الصناعة اليدوية والزراعية .

وإذا كانــت المــرحلة الصناعية الحديثة تتميز بتحكم الإنسان التام فى الطبيعة وبقدرتـــه علـــى تشكيل مادتها على نحو جديد يلائمه ، فإن هذه الصفات هى نتيجة مـــراحل تطـــورية ســـابقة ، فقــد كانت الطاقة الرئيسية التى تستخدم فى الصناعة والزراعة فى العصور الوسطى هى الطاقة المائية والهوائية ، والمادة الأساسية التى تصـــنع منها الآلات والأدوات هى الخشب ، والأمر قد تغير فى منتصف القرن الثامن عشر ، حيث كان التغير إلى نوع جديد من الطاقة هى الطاقة البخارية ، مما أدى إلى زيادة أهمية الفحم والحديد فى الصناعة وأصبح ازدهار الإنتاج الصناعى متوقفاً على وجودهما بوفرة .

ولـــيس معنـــى ذلـــك أن قـــوة البخار لم تكن معروفة من قبل استخدامها فى الصـــناعة ، إلا أن ظهور الاختراع يرتبط ــ فى الغالب ــ بوجود الحاجة الاجتماعية إليه ، مما يؤدى بالنابهين فى المجتمع إلى سرعة العمل على تلبية هذه الحاجات .

وقــد ساهم كشف إمكان استخدام الطاقة البخارية فى إدارة العجلات فى إيجاد وســيلة آلـــية سريعة ن ومرور فترة جيلين أو ثلاثة من اختراع الآلات الجديدة جعل الحاجـــة تدعـــو إلى قيام نظام المصانع ، بعد أن كان الإنتاج الصناعى يعتمد من قبل علـــى (الورش) الصغيرة التى يعمل فيها صانع واحد أو عدد محدود من الصناع . فاســـتخدام الآلات الـــبخارية الجديدة لم يكن ممكنا إلا فى المواقع القريبة من مصدر الطاقـــة الـــبخارية ، ولـــم يكن من المتاح أن يترك لكل عامل أن يدير الآلة البخارية

بمفـرده فـى منزله ، ومن هنا كان لابد من تجميع الآلات تحت سقف واحد بجانب مصـدر الطاقة حيث يتجمع العمال ، وحيث يمكنهم استخدام هذه الآلات نظراً لارتفاع أسـعارها بما لا تقوى معه مالية عامل واحد أو عدد بسيط من العمال على شرائها ، وحتـى فـى حالـة إمكان تدبير ثمن هذه الآلات فإن قدرة العامل الواحد لا تستطيع مجاراة التطورات المتلاحقة الحادثة فى مجال صناعة الآلات ، ومن هنا كان لابد من وجود مجموعة من الممولين أو من الرأسماليين .

وهكذا ساد نظام المصانع فى شكلها المركز ، وبدأت ظاهرة التخصص وتقسيم العمل تأخذ مجراها فى التقدم ، مما أدى بثقافة المجتمع إلى النمو والازدهار ، وهكذا أخذت مظاهر الثقافة فى الانتشار ، وساعدها على ذلك عوامل متعددة .

الثقافة وعلاقتها بالحضارة :

إذا كـان المفكـرون الاجتماعـيون قد اختلفوا فيما بينهم حول علاقة الثقافة بالمجـتمع ، فقـد كـان الاختلاف بينهم واضحاً أيضاً فى تحديد مفهوم الثقافة وف علاقـتها بالحضـارة ، فهناك من الباحثين العرب مثلاً من استخدم كلمة **Culture** بمعنـى الحضارة أو الثقافة ، وقد ذهب بعض المفكرين إلى أن كلمة (حضارة) هى تـرجمة لكلمة **Civilization** ، وكلمة (ثقافة) هى ترجمة لكلمة **Culture** وهناك مـن نظـر إلـى كلمة **Civilization** بمعنى المدنية ، والمدنية تدل على مرتبة من مراتب الحضارة . وأن كلمة **Culture** تعنى الحضارة أو الثقافة ، بحيث أن الثقافة تؤكد على العناصر المعنوية كالآراء والمعتقدات . بينما تؤكد الحضارة على العناصر الماديـة ، وهكـذا تكون كلمة الثقافة دالة على الجانب الفكرى ، والحضارة دالة عل الجانب المادى .

والنظـرة الأنثـروبولوجية للمدنـية تذهب إلى أن المدنية **Civilization** لا تخـتلف فـى النوع عن الحضارة ، وإنما هى عبارة عن فترات أو أجزاء معينة من الحضارة تتميز بالكم وبدرجة التعقيد .

ومـــن الملاحظ أن كثيراً من الأنثروبولوجيين من أمثال " ردفيلد " و " أوبلر " و " كلوكهون " و " رادكليف " وغيرهم يرون أن الحضارة وإن كانت شيئاً معنوياً غير ملمـــوس إلا أنه من الممكن تجريدها من التصرفات والأشياء الملموسة ، بمعنى أن الحضـــارة شـــىء لا يمكن ملاحظته بطريقة مباشرة ، وإنما تكون هذه الملاحظة من خـــلال ما يفعله أو ما يقوله الناس ، ومن خلال العمليات والوسائل التى يتبعونها فى صـــناعة واســـتخدام الأشياء المادية ، وبحيث تخرج بقيم أو مثل بذاتها تختفى وراء تصرفات الناس .

كـــذلك نجـــد أن كثيرين من علماء الأنثروبولوجيا يستعملون اصطلاح الثقافة للدلالـــة على كل ما صنعته أى شعب من الشعوب ، أو أوجده لنفسه من مصنوعات يدوية ، ونظم اجتماعية سائدة ، وأدوات ، ومعامل ، وباختصار كل ما صنعه الإنسان أينما وجد . وبهذا فإن الثقافة عندهم تعنى مجمل التراث الاجتماعى .

والواقع أن هذه التفرقة بين الثقافة والحضارة لا تقوم على أساس مقبول لأن المظاهـــر الثقافـــية الماديـــة والمعـــنوية تتضـــافر جميعا فى خلق النظم والتنظيمات الاجتماعية التى تعتبر قلب الثقافة .

ومـــن الملاحظ أن هناك تجاوبا بين الناحيتين الروحية والمادية فى المجتمع ، فالقطعة الموسيقية أو اللوحة الزيتية أو القصيدة الأدبية أو النظرية الفلسفية ، وهى كلهـــا مـــن مظاهـــر التـــراث الثقافى ، ليست لها قيمة فى ذاتها ما لم تحقق مطالب اجتماعية ، وما لم تعبر عن مشاعر وأحاسيس اجتماعية وتترجم عن رغبات وأمان جمعية .

والعلم نفسه يفقد قيمته الموضوعية ما لم يرتبط بعقل الجماعة ويؤدى وظيفة اجتماعـــية ، لأن هـــذه الأمور لا تعتبر غاية فى ذاتها ولا تطلب لأغراض خاصة فى طبيعـــتها ، إذ هى من وحى المجتمع ومن خلقه ، وتنعكس فيها أضواؤه واتجاهاته . ومـــا يقـــال عـــن هـــذه المظاهر الروحية والمعنوية يقال كذلك عن المظاهر المادية

والصــناعية ، فالسيارة والراديو وللتليفزيون وما إليها كانت قبل خروجها إلى ميدان التطبــيق العملــى أفكــاراً ونظــريات تعبر عن مبلغ الحاجة الاجتماعية إليها ومبلغ الضرورة التى توحى بها .

وعلى ضوء ما تقدم يمكن أن نعرف الثقافة بأنها جملة العناصر التى يتوارثها المجــتمع وتنتقل من جيل إلى آخر بواسطة وسائل الاتصال الاجتماعى وعلى رأسها التعلــيم ، ولــيس بواســطة عوامل الوراثة ، ويعرف هذا أيضاً بالميراث الثقافى أو التراث الثقافى .

والتــراث الثقافى عنصر هام من عناصر التطور ، غذ لا يمكن بدونه أن يأتى نابه فى المجتمع بجديد ، فهو الأساس الذى يبنى عليه العالم أو الفيلسوف أو الأديب أو الفنان إنتاجه ، وإذا فكر كل منا فى عاداته وسلوكه وطرق معيشته وعقائده لوجد أنــه مثقل بدين كبير للأجيال السابقة التى أورثته كل شىء ولها الفضل عليه ، حتى فــيما يأتى به من اختراعات ن أو فيما يتوصل إليه من اكتشافات لأنها تعتمد على ما وصل إليه العقل البشرى من أفكار ومبادئ ومعلومات .

خصائص الثقافة :

للثقافة خصائص معينة نجملها فيما يلى :

١- **القابلية للنمو والتجمع :**

إن مجــرد إلقــاء نظرة عابرة على أى جزء من المدنية التى نعيش فيها بما تحــتوى من مبانى شامخة وخطوط تليفونية وسكك حديد وكبارى وسيارات ومصانع ومســارح وجامعــات وغيــرها يجعلنا ندرك تماما مدى قابلية الثقافة للنمو ، فهذه الأشــياء لــم تخلــق فى فترة وجيزة بل أنها تعتمد على مخترعات سابقة ، فالصانع الذى قام بصناعة الآلات من الحجارة منذ زمن بعيد كان أحد دعائم تطور هذه المهنة وتحســينها بمــرور الوقت فاستعمل الإنسان إلى جانب الحجارة مواد أخرى كالعظام

وقرون الحيوان والعاج ، ثم استعمل المعادن فى شكلها الخام ، ثم استغل النار لتقليل نسبة الشوائب فى المعدن الخام للحصول على معدن أكثر نقاء ، ثم عرف طريقة خلط المعادن ، وهكذا أخذت الثقافة تتجمع تدريجياً وتنمو ببطء .

ونمو الثقافة يخضع لنفس المبدأ الذى يخضع له أى نمو آخر فإذا زاد عدد العناصر الجديدة التى تضاف ، عن العناصر التى تفقد لابد أن يحدث نمو ، وإلا فإن الثقافة إما أن تظل ثابتة ، أو تتناقص ، ويعرف العنصر الجديد الذى يضاف للثقافة باسم (الاختراع) وعند استعماله يعرف باسم (سمة ثقافية) ولفظ (اختراع) لا يقتصر على العناصر المادية وإنما يتعداها إلى الجانب الاجتماعى ، ومن أمثلة ذلك محاكم الأحداث ونظم التأمين وغيرها .

وهذا النوع من النمو الثقافى يعرف بالنمو عن طريق الإضافة ولا يعنى هذا بقاء جميع العناصر الثقافية على ما كانت عليه ، فالمعروف أن كثيراً من السمات الثقافية قد اندثرت ولا وجود لها إلا فيما كتب عنها أو تخلف من آثارها ، ومن ذلك عمليات التحنيط عند قدماء المصريين وصناعة الدروع وصناعة رؤوس السهام من حجر الصوان وغيرها من أدوات الحرب القديمة ، ورغم كثرة السمات الثقافية المفقودة إلا أنها تعد ضئيلة إذا قورنت بجملة الثقافة الإنسانية .

ونمو الميراث الثقافى قد يحدث إما بزيادة استعمال العناصر الموجودة ، أو بإضافة عناصر جديدة بصرف النظر عن معدل استعمالها ، أو بكلا الأمرين معاً ، وقد يتبادر لبعض الأذهان أن كل اختراع جديد يعنى إيجاد بديل صالح ، لشىء آخر كان موجودا من قبل . ويعتبر أقل صلاحية منه (القارب البخارى حل محل القارب الشراعى مثلا) فإذا كان هذا هو الحادث فإن ذلك يكون نوعا من التغير فى الثقافة وليس نموها ، ومع هذا فإن هذا الاتجاه غير سليم ، لأن الثقافة رغم ما يحدث فيها من استبدال فإنها تنمو على مر الأيام ، فقد حلت السيارة محل الخيول والدواب ولكنها لم تبطل استخدام الدواب لاسيما فى الريف ، فالأساليب الجديدة كثيرا ما تضاف إلى العناصر الثقافية الموجودة ولا تغنى تماما عن الأساليب القديمة .

وإذا كانــت عمليات النمو يمكن ملاحظتها بسهولة فى الثقافة المادية ، إلا أن تلــك ليس من السهولة بمكان فيما يتعلق بالثقافة غير المادية حتى ولو كانت نسبة الاستبدال فيها أكبر منها فى مجال الثقافة المادية .

ومــبدأ تجمع وتزايد الميراث الثقافى يعنى أن الأفراد الذين يولدون فى الوقت الحاضر فى مجتمع ما يتلقون ميراثاً أغنى من تلك الذى تلقته الأجيال السابقة لهم . وتعتبــر ثقافة الأجيال المتأخرة هبة ليست من خلقهم ، وإنما يرجع الفضل فيها إلى الجنس البشرى أجمع منذ بدء الخليقة .

٢ـ الاستمرار :

ويقصــد بــذلك أن كل اختراع يعتمد أساساً على سمات ثقافية موجودة بالفعل وهــو نتيجة لعملية التطور . فالمدفع الحديث الذى يستطيع أن يلقى المتفجرات على مدى أميال ويصيب الهدف ، له تاريخ اختراعى طويل ، فمثلا الصلب الذى صنع منه نتج بعد مراحل مختلفة لتحسين الحديد . والقذائف التى يستخدمها مرت بأطوار ذات تاريخ طويل حتى وصلت إلى المستوى الذى هى عليه الآن .

والــنظام الاشــتراكى الــذى يطبق فى جمهوريتنا ترجع جذوره إلى الشريعة الإســلامية ، وظهــور الدين الإسلامى كان منذ حوالى أربعة عشر قرنا من الزمان ، فكــل مــا يــوجد فى الوقت الحاضر ليس إلا نوعاً من التطوير لما سبقه من أدوات وأساليب . كما أنه مقدمات لما سيحدث فى المستقبل ، ومن قول إسحاق نيوتن " إذا كــان فــى استطاعتى أن أرى اليوم أكثر من غيرى فيما مضى فذلك لأننى أقف على كــتف عمــلاق ضــخم " (يقصــد به الجنس البشرى) ولذلك يعتبر كل اختراع أو اكتشاف نقطة فى مرحلة تطورية يبنى على ما يسبقه ويمهد لما يأتى بعده .

٣ـ التداخل :

والمقصود بذلك أن الميراث الثقافى لا يمكن فصل عناصره بعضها عن بعض، أو عــزل بعضها عن البعض الآخر ، بل نلاحظ تداخلها ف كثير من الأحيان . فمثلاً

فـــى تطويـــر الأســـلحة أمكن الاستعانة بالثقافة الكيمائية والميكانيكا فى صنع المدفع الحـــديث . ونظـــرية " دارون " ف التطور الحيوى تعتبر نتيجة لبعض ما انتهى إليه (مالـــتس) من أن السكان يزيدون بنسبة هندسية ، بينما تزيد المواد الغذائية بنسبة عدديـــة (حســـابية) ، ونتيجة لذلك سيعانى الناس من المجاعات التى لابد وأن تقلل من عدد الضعاف فى المجتمع ، وهذا هو أساس فكرة (البقاء للأصلح) . أى أنـه قد أمكن تطعيم علم الحياة بأفكار علم الاقتصاد .

٤ـ الانتشار :

ويقصـــد به انتقال سمات ثقافية من منطقة معينة أو من جزء من ثقافة معينة إلـــى ثقافـــة أخـــرى ، ورغـــم أن كل ثقافة ترتبط بمنطقة معينة ، إلا أن هناك نقل واقتـــباس بـــين كل ثقافة وغيرها من الثقافات الأخرى ، فمثلا السيارة اخترعت فى ألمانيا ونقلت منها إلى غيرها من المجتمعات ، حيث أدخلت عليها تعديلات مختلفة ، ولا يقتصـــر اســـتعمالها على المناطق التى تصنع فيها ، وإنما تصدر إلى غيرها من المناطق وتعتبر جزءاً من ثقافتها المادية .

ففـــى أى مجـــتمع تمثل العناصر المخترعة محليا نسبة ضئيلة جداً من جملة ثقافـــتها ، فمـــثلاً معظم ميراث أمريكا الثقافى يرجع فى أصله إلى الثقافة الإنجليزية والأســـبانية وغيـــرها مـــن ثقافات بلدان أوروبا ، وأضيف إلى هذا الميراث تعديلات عديـــدة مـــنذ ذلـــك الحين . وإنجلترا وفرنسا اقتبست الكثير من عناصر ثقافتهما من إيطالـــيا ، وقـــد ظن البعض فى فترة معينة أن اليونان قد اخترعت ثقافتها ، غير أنـه تبـــين أنها نقلت الكثير منها عن قدماء المصريين ، كما ارتبطت ثقافة وادى الفرات بـــثقافة الهـــند والصين ، وهكذا نجد أن انتشار الثقافة قد ربط الثقافات المختلفة فى العالم بعضها بالبعض الآخر .

ويعتبـــر انعـــزال بعض الجماعات ، من عوائق انتشار الثقافة ، وبالتالى فمن عوائق نموها ، وهذه الجماعات غالبا ما توجد فى الجزر النائية وفى بعض المناطق

الجبلية المتطرفة . ولا يعنى هذا أن الثقافة فى المناطق المنعزلة لا تنمو بالضرورة، لأن مـا يحـدث بالفعل أن التغير بالنسبة لهذه الثقافات لا يحدث بنفس السرعة التى تحـدث فـى المجـتمعات المتصلة بغيرها والتى يمكن الاستفادة فيها بما توصل إليه الغير من مخترعات .

وتعتبـر هجرة السكان من مكان إلى آخر ، خصوصاً ما يتصل منها بالهجرة الخارجـية ، من أهم عوامل الانتشار الثقافى ، إذ يأتى هؤلاء السكان المهاجرون من وسط ثقافى معين إلى وسط ثقافى خر ، ويتم ــ فى الغالب ــ نوع من الملاءمة بين الثقافتين ، بحيث تنشأ عنهما ثقافة جديدة تستعير من الثقافتين بعض أنماطهما . كما قد يحدث هذا الانتشار عن طريق غير مباشر أى عن غير طريق الأفراد والجماعات، وإنما نتيجة لوسائل الاتصال على اختلافها من مطبوعات وإذاعة وانتقال أفكار معينة بوسيلة أو بأخرى .

وكثيـراً مـا يحـدث صراع بين الثقافات عندما تنتشر إحداها فى وسط ما ، وينتهـى هـذا الصراع عادة إما بغلبة الثقافة الجديدة أو الثقافة القديمة . أو بعملية التكيف الثقافى التى تنتهى عادة بمرحلة التمثيل للثقافة الجديدة تمثيلاً كاملاً ، أو عن طريق الملاءمة بين الثقافتين كما سبق أن تبين لنا .

وإن أكبر عمليات الانتشار الثقافى التى تمت فى العصور الحديثة . منذ عصر التنويـر والتجارة والصناعة ، بين أوروبا ــ غازية مستعمرة ــ وبين سائر شعوب العالم ــ ما كان تاريخاً من تلك الشعوب وما كان منها غير تاريخى ــ حدثت بوسائل حـربية كانـت فـيها صورة المنتصر ، وكانت فيها صورة المهزوم ، وهذا يعنى أن الانتشـار كـان يسـير من الخارج إلى الداخل ، أى من مجموعة أجنبية غالبة إلى مجموعة محلية مغلوبة ، والمجتمع حينما يستقبل الأنماط الجديدة إنما يستقبلها على ضوء المعايير العامة والمفاهيم السائدة للطابع الخاص المميز لحضارة هذا المجتمع، أى للكل الحضارى .

وإن إدخــال أنمــاط ثقافية جديدة إلى تلك المناطق التى استهدفت للاستعمار . وتعرضــت لــه تـناولت الأشــكال المختلفة للتنظيم السياسى والاقتصادى والفكرى والخلقــى ، بحــيث فرضــت هذه الأنماط أحياناً ، وأوحى بها أحياناً ، وطلبت وسعى إليها أحياناً أخرى .

ولا تتوقف انطباعات التغيرات الديموجرافية فى الأنماط الحضارية على هجرة السكان أو تنقلاتهم الخارجية ، أى من مجتمع إلى آخر ، سواء عن طريق الغزو أو عن طريق آخر فحسب ، بل أيضاً يتم الانتشار الثقافى من داخل المجتمع نفسه ، من أفــراد طــبقة معيــنة لأفراد طبقة أخرى فى المجتمع ، وغالباً ما يكون من الطبقة الأعلــى إلــى الطبقة الأدنى ؛ ويتوقف هذا الانتشار ومداه على النظام الطبقى الذى يأخــذ بــه المجتمع وعلى مدى التدرج الطبقى المسموح به فى هذا المجتمع . فكلما كانــت عملــية الحــراك الاجتماعى ميسرة ومسموحا بها . كلما كان عامل الانتشار الثقافــى أســهل وأســرع ، والعكــس صحيح . وليس بالضرورة أن يكون الانتشار الثقافى عن طريق النظام الطبقى فى المجتمع ، بل قد يكون عن طريق التقليد أيضاً .

ويخضــع الانتشــار الثقافــى الداخلــى لمقــدار مناسبة النمط الثقافى الجديد لاتجاهــات الــرأى العــام الســائدة ومدى قابلية الأفراد للنمط الذى ينقل إليهم ، كما يخضع لمقدار فائدة النمط الجديد للحياة الاجتماعية ، ولمدى سد النقص الواضح فى حــياة الأفــراد ، والقــوة التــى تســانده . ولإمكانية الانتقال والاتصال والمسافات والحواجــز الطبيعــية ، ولمدى وجود عوامل تعوق التغير بصفة عامة . كالمحرمات وســيادة الشــعور بالأفضلية . وعلاقة المجتمع الذى تنتقل منه السمة الثقافية بذلك الذى تنتقل إليه .

وإن كــان العنصــر البشرى وكثافته هو أهم عناصر الانتشار الثقافى ، إلا أن التغيرات السريعة المتلاحقة التى أدت إليها المخترعات الحديثة ، والنظم التكنولوجية ســاعدت إلى حد كبير على الانتقاء الأفقى للأفكار ، كما أصبح الانتقاء الرأسى أيضاً

بـين أفكــار الطبقات الاجتماعية المختلفة أمراً واضحاً فى مختلف المجتمعات ، وقد أدى هــذا الالــتقاء الأفقــى والرأســى لمختلف الأفكار إلى وقوع الأفراد تحت تأثير التضــارب والتنوع ، مما خلق ألواناً من الصراع تختلف شدة أو ليناً تحت تأثير هذا الاختلاف وهذا التنوع فى الأفكار .

٥ـ **الثقافة عالمية** :

لمــا كانــت حاجات الإنسان الأساسية واحدة من مأكل ومشرب ومسكن وغير ذلك ، فإن الثقافات جميعها تتفق فى أنها تعمل على تنظيم الحاجات الاجتماعية لأفراد المجــتمع ، وهذا لا يعنى تشابهاً مطلقاً فى أساليب إشباع هذه الحاجات ، غذ تختلف هــذه الأســاليب من مجتمع لآخر ، وأحياناً تختلف فى أجزاء المجتمع الواحد ولكن المقصــود هــو أن عناصــر الثقافة واحدة فى المجتمعات وإن اختلف مضمون هذه العناصــر وتفاصــيلها . فكــل ثقافة تحتوى على جانب مادى ونظم اجتماعية وتراث اجتماعى ، غير أن تفاصيل ومضمون كل من هذه العناصر يختلف تبعاً لعوامل كثير، مــنها مدى اتصال المجتمع بغيره من المجتمعات وإمكانات المجتمع وحجمه ، وغير ذلك من العوامل .

٦ـ **الثقافة إنسانية** :

التــراث الثقافى ظاهرة تخص الإنسان دون الحيوان ، فليس للحيوان ثقافة ، نظراً لأنها عبارة عن أدوات ورموز مدخرة تنتقل من جيل لآخر ، وتقوم على أساس رصــيد مدخــر من العادات والتقاليد والعقائد والأفكار والتجارب الجماعية التى تنتقل عبــر الأجــيال عــن طــريق المخلفات المادية والرموز اللغوية ، أما طريقة معيشة الحيوان التى تنتقل من جيل إلى آخر ، فلا تعدو أن تكون دوافع غريزية للسلوك .

عناصر الثقافة :

" التــراث الاجتماعى " فى واقعه ما هو إلا حصيلة ما يرثه الأبناء عن الاباء والأجــداد ، سواء فى الجانب المادى أو الجانب المعنوى الروحى . وأخذا منا من أن

الـثقافة تشمل الجانبين تأسيساً على أنه لا ضير ف ميدان الدراسات الاجتماعية من اسـتعمال ثقافة وحضارة على مفهومات واحدة ـ فإن عناصر التراث الاجتماعى هى ذاتهـا عناصـر الـثقافة ، ويمكن أن نميز من هذه العناصر : اللغة والفن والعادات والعـرف والتقاليد والقانون والرأى العام ، وكذا مختلف النظم التى وضعها الإنسان لتنظيم حياته فى المجتمع . وفيما يلى كلمة مفصلة عن هذه العناصر :

أولاً : اللغة :

تعتبـر اللغـة الأساس الأول للتراث الاجتماعى وهى ظاهرة اجتماعية يشترك فـيها أفـراد المجتمع الذين يتخذونها أساساً للتعبير عما يجول بخواطرهم ، وطريقاً للـتفاهم وتـبادل الآراء . وهـى ليست من الأمور التى يصنعها فرد معين أو أفراد معيـنون ، وإنمـا تخلقهـا طبيعة الاجتماع وتنبعث عن مقتضيات الحياة الجمعية . واللغـة مـن الأمور التى يرى كل فرد نفسه مضطراً إلى الخضوع لقواعدها ، وكل خـروج علـى نظامها ولو كان عن خطأ أو جهل بها فإنه يلقى من المجتمع مقاومة تكفـل رد الأمور إلى نصابها الصحيح ، ويلقى المخالف نوعاً من الجزاء يختلف من حالة لأخرى .

ويعتبـر نقـل الـرموز اللغـوية إلى الطفل فى نشأته الأولى من أهم وظائف الأسرة، إذ عن طريق اللغة يمكن نقل عناصر التراث الاجتماعى إلى الفرد عن طريق الجماعات المختلفة كالأسرة والمدرسة ومجالات العمل وغيرها .

واللغة كظاهرة اجتماعية تؤثر وتتأثر بغيرها من ظواهر المجتمع ونظمه وهى عرضة لتطور . ومن الأمثلة على ذلك ما كانت عليه اللغة العربية فى صدر الإسلام، ومـا آلت إليه الآن من لهجات حديثة تتباين فى أصواتها وقواعدها وأساليبها ودلالة مفـرداتها ، وإن كانت لغة الكتابة أكثر جمودا وأقل تطوراً من لغة الحديث ، لأن هذه الأخيرة تكون أكثر استجابة للتطور، ولذلك تعتبر مرة تعكس تاريخ الأمة الاجتماعى.

ومن أهم العوامل التى تساعد على تطور اللغة ما يأتى :

١ - عـوامل اجتماعية خالصة تتمثل فى نظم الأمة وعاداتها وتقاليدها وعقائدها ومظاهـر نشـاطها العملى والعقلى ، وغير ذلك من نواحى اجتماعية . فكل تطـور يحدث فى ناحية من هذه النواحى يتردد صداه ف أداة التعبير ، فكلما ازدادت عناصـر ثقافـة المجتمع كلما نهضت لغتها وسمت أساليبها ودقت معانـى مفرداتها ودخلت فيها مفردات جديدة عن طريق الوضع والاشتقاق والاقتـباس . واخـتلاف الطـبقات ومـا بينها من فروق فى مظاهر الحياة الاجتماعية والاقتصادية يؤدى إلى التمييز بينها فى المفردات التى تطلق عل شئون كل طبقة منها .

ويـتطور مدلـول الكلمة فى لغة ما تبعا لتطور الشئون الاجتماعية المحيطة بهـذا المدلول ، فكلمة القطار كانت تطلق على عدد من الإبل عل نسق واحد يسـتخدم فـى السـفر وفى النقل ، وتغير الآن مدلولها تبعا لتطور وسائل المواصلات .

٢ - تأثر اللغة باللغات الأخرى ، فأى احتكاك بين لغتين أو لهجتين أيا كان سببه يـؤدى إلـى تأثر كل منهما بالأخرى . وبطبيعة الحال لا يمكن لأى لغة أن تتجـنب مـثل هذا الاحتكاك ، ولذلك فكل لغات العالم عرضة للتطور المطرد عـن هـذا الطريق ويختلف ما تأخذه لغة عن أخرى باختلاف العلاقات التى تـربط الشعبين ، وما يتاح لهما من فرص الاحتكاك ، فكلما قويت العلاقات التـى تـربط أحـدهما بالآخر وكثرت فرص احتكاكهما نشطت بينهما حركة التبادل اللغوى .

٣ - العوامل الأدبية ، وهى تشمل كل ما تجود به القرائح من منتجات تؤدى إلى حفـظ اللغـة وتعليمها وتوسيع نطاقها وتكملة نقصها وتهذيبها من نواحى المفـردات والقواعد والأساليب ، وتسجيل آثارها واستخداماتها فى مختلف فـروع التألـيف والترجمة ، وغير ذلك من نواحى أدبية . وهذه المنتجات

تساير تطور الأمة وتقدمها فى مختلف الميادين وتتأثر بجميع ما يطرأ على الحياة الاجتماعية من تغيرات .

ثانياً : الفن :

الفن عنصر رقيق من عناصر الثقافة وهو وسيلة لربط المشاعر بين الناس ، فهو من أقدم الوسائل لخلق روح المشاركة الوجدانية بين أفراد المجتمع ، وهو مظهر عام فى سائر المجتمعات البشرية على اختلاف أشكالها فنجده عند الشعوب المنعزلة وفى المجتمعات التاريخية القديمة والمتوسطة والحديثة ، كذلك يتداخل فى سائر شئون الاجتماع فيرتبط بالأسرة ، كما فى هدايا الخطوبة وحفلات الزفاف والمناسبات الخاصة ، ويرتبط بالعرف والعادات والتقاليد ويرتبط بالحياة السياسية والحياة الدينية ، وغير ذلك من نواحى اجتماعية مختلفة .

وظائف الفن فى المجتمع :

(أ) وظيفة اجتماعية :

يعتبر الفن وسيلة لخلق التضامن بين الناس فى الهيئات والمجتمعات . فهو يخلق من المعجبين به وحدة اجتماعية متماسكة .

(ب) وظيفة نفسية :

تعتبر الفنون وسيلة للترويح عن النفس لاسيما فى عصر سيطرت عليه ماديات الصناعة والآلية . ولذلك يعتبر وسيلة فعالة للتخفيف من حدة كثير من الأزمات النفسية .

(ج) وظيفة تربوية وعملية :

فهو يعتبر وسيلة لترقية العقل والمشاعر وللتوجيه الأخلاقى أيضاً ، ومن أمثلة ذلك التمثيليات الهادفة والكتب الأدبية وغيرها . أما من الوجهة العلمية فكثيراً ما يلجأ العلماء إلى الآثار الفنية للوقوف على نوع الحياة الاجتماعية التى كانت سائدة فى مجتمع معين فى زمن معين .

(د) الدعاية :

يستغل الفن للدعاية نظراً لتأثيره فى النفوس وفى توجيه الرأى العام إلى حد كبير ، ولكل فن من الفنون ناحية خاصة ومجال خاص يناسبه ، فالرسم "الكاريكاتيرى " له أهمية فى الدعاية الصناعية والسياسية ، والغناء الجماعى له أهميته فى الدعوة القومية ، كما أن التمثيل له أهمية فى الدعاية الأخلاقية . ويرى عدد من علماء الاجتماع أن الفنون تتبادل مكان الصدارة والأولوية على مر الأيام فيرى " جروس Grosse " أن الرقص كان الفن المهم عند الشعوب المتأخرة لارتباطه بالناحية الدينية ، كما كان النحت ذو أهمية كبرى عند اليونان الذين عبروا بتماثيلهم عن القيم السائدة فى مجتمعهم . وفى العصور الوسطى كان فن العمارة له مكان الصدارة فاهتمت المجتمعات ببناء المساجد والكنائس الفاخرة وغيرها من الأبنية ، وفى عصر النهضة كان النقش هو أهم الفنون ، بينما أصبحت الموسيقى الفن المهم فى العصور الحديثة ، لأن الحياة فى المجتمعات الحديثة تسودها الديمقراطية ، والموسيقى فن ديموقراطى يعتمد على حاسة السمع وقد سميت هذه الحاسة بالحاسة الشعبية ، لأنها ليست بحاجة إلى تعميق وفهم للأصول الفنية لإدراك جوانبها البعيدة ، كذلك نجد أن الاتجاه القومى فى المجتمعات الحديثة هو تقوية الأغانى الجماعية التى تدعم الشعور الوطنى لاسيما فى المناسبات الخاصة .

ثالثاً : العادات :

عبارة عن مجموعة من الأفعال والأعمال تنشأ فى قلب الجماعة بصفة تلقائية، فلا تصدر عن سلطة معينة تضعها وتنفذها ، وإنما دعامتها قبول الناس لها، فهى تمثل ضرورة اجتماعية وتستمد قوتها من هذه الضرورة ولذلك لا يملك الأفراد الخروج عن التزاماتها ، ومن أمثلتها آداب الحديث والمائدة والتحية وما إلى ذلك ، ويخضع الأفراد للعادات خضوعاً آلياً فـ كل نواحى حياتهم ، فهى تصبغ أفعالهم بصبغتها من الصباح إلى المساء وعبر السنين من الطفولة والشباب إلى الكهولة والشيخوخة . وتنقسم العادات إلى أنواع من أهمها :

(أ) **عادات سليمة :**

تسهل للناس إشباع حاجاتهم وتحقيق رغباتهم وتبغى سلامة المجتمع وسعادة أفـراده ، ومـن أمثلـتها طـرق التحية وطرق الاستقبال للزائرين وتوديعهم وآداب الحديث وما إليها .

(ب) **عادات دورية :**

تتـردد فـى أوقات معينة كالأعياد والمواسم ، وذلك مثل الاحتفال بوفاء النيل وشم النسيم وغير ذلك من عادات دورية .

(ج) **عادات غير سوية :**

وهـى تمثل حالات مرضية فى المجتمع ينهى عن فعلها . ومع ذلك يأخذ بها بعض أفراده كإدمان المخدرات والغش فى الامتحان وغيرها .

(د) **عادات خاصة :**

وهـى خاصـة ببعض المناسبات ، مثل العادات المتبعة فى الخطوبة والزواج وما شابه ذلك .

والعـادات جزء هام من دستور الأمة غير المكتوب وتمثل دعامة أساسية من دعائم تراث الأمة الاجتماعى ، وهى ذات تاريخ طويل يضفى عليها قدراً من التقديس والاحتـرام ويـؤكد ثباتها ويزيد من عموميتها وانتشارها بين سائر أفراد المجتمع . غيـر أنهـا عرضـة للتطور مما يضعف من هيبتها إلى حد ما ، ولذلك يقل احترام الأجيال الجديدة لها عما كان يحفظه لها السلف ، ولكن هذا لا يعنى فقدها لكل مظاهر السيادة على الأفراد .

رابعاً : العرف :

عـبارة عن طائفة من الأفكار والآراء والمعتقدات التى تنشأ فى جو الجماعة وتنعكس فيما يزاوله الأفراد من أعمال ، وهو يعبر عن سلطة من سلطات المجتمع ، إذ يشـعر الأفراد أن هذه المعتقدات ملزمة لهم ويجدون أنفسهم مضطرين للأخذ بها

فــى أحيان كثيرة ويتمثل العرف فى تحريم بعض الأعمال ، للاعتقاد بارتباطها بقوى مؤثــرة فــى طبيعة الحوادث مثل كنس المنازل ليلاً ظناً منهم أن هذه الأمور تسبب حوادث مؤلمة . ويتمثل العرف أيضاً فى الاعتقاد بالتأثير الخارق للشياطين والأرواح الخفية، ويلاحظ هذا فى الريف المصرى مثلاً. كما يشتمل العرف على الحكم والأمثال والأغانــى الشــعبية والقصص الأدبية التى تصور تاريخ الأمة الأدبى واللغوى وتلقى ضــوءاً عــل تاريخها القومى . وتعتبر هذه الحكم والأمثال نوعاً من السلطة الأدبية المستمدة من منطق العقل الجمعى ويستشهد بها الأفراد لتبرير كثير من أعمالهم .

والعرف وما يتصل به من عقائد وأفكار يعتبر أهم جزء من دستور الأمة غير المكتوب ، وقد ترقى بعض أحكامه إلى درجة القواعد القانونية ، وهو يخضع للتطور فلا يجمد على أوضاع معينة وإن كان تطوره بطئ جداً .

خامساً : التقاليد :

وهــى عبارة عن قواعد السلوك الخاصة بطبقة معينة أو طائفة أو بيئة محلية محــدودة الــنطاق ، وهذه التقاليد لها احترامها فى محيطها الخاص بين أفراد الجمع الــواحد ، وهى تكسب هذا الجمع هيبته فى نظر الجموع الأخرى فى المجتمع ، وهى اتفــاق اجتماعــى على فعل بعض المظاهر يسود بين الأفراد فى محيط معين ، وهذه المظاهــر تميزهم عادة بطابع خاص وتؤكد الوحدة والتضامن بينهم ، ولهذا لا تتصل التقالــيد بالحاجــات الضــرورية ، أو الأساسية للحياة فى المجتمع بوجه عام شأن العــادات والقانون الوضعى ، فمثلاً من تقاليد القبائل العربية المستقرة فى مصر عدم تزويج بناتهم من أبناء الفلاحين إذ يعتبرونهم أقل منهم مستوى .

وممــا يجــدر ذكــره أن كثيــراً من المفكرين لا يفرقون بين العادات والعرف والتقاليد باعتبارها مظاهر للسلوك الجمعى وأساليب للتفكير والعمل ، ولكنهم يتفقون جمــيعاً علــى أن هذه الأمور هى الأصول الأولى التى استمدت منها النظم والقوانين مادتهــا ، ويذهب أحد علماء الاجتماع إلى القول بأنه تنشأ فى كل جماعة طائفة من

الأفعـــال التـــى يزاولها الأفراد لتنظيم أحوالهم والتعبير عن أفكارهم ، والملاحظ أنهم يكررون أفضل هذه الأفعال وأكثرها تحقيقاً لأغراضهم وبفضل ذلك تصبح هذه الأفعال عـــادات ، وعـــندما ترســـب هذه العادات فى شعور الأفراد وفى عقل الجماعة تصبح قـــواعد قانونية ، ومجموع هذه القواعد التى ترتبط بمظهر واحد من مظاهر النشاط الاجتماعى تكون النظم الاجتماعية .

وأحـــياناً يقع أفراد المجتمع ضحية عادات وتقاليد لا يؤمنون بفائدتها ، وعلى العكـــس مـــن ذلك يقتنع الكثيرون منهم بضررها ويتبعونها خشية النقد ، ومن أمثلة ذلـــك ما يتبع من طقوس وشكليات ف مناسبة الوفاة مما يضر بأهل المتوفى ، ولذلك فـــإن مـــن الـــواجب على الفئات المستنيرة فى أى مجتمع من المجتمعات أن يلفتوا الأنظـــار إلى العادات والتقاليد التى أصبحت لا تلائم روح العصر ، فالعادات والتقاليد تقـــوم لأداء وظيفة اجتماعية معينة غير أنه بمرور الزمن وبحكم التطور الاجتماعى تتغيـــر هـــذه الوظيفة ، ومع ذلك تنقضى فترة طويلة قبل أن يتنبه العقل الجمعى إلى عدم التناسق الموجود بين التقليد والوظيفة التى وجد من أجلها ، وهذا يؤدى بطبيعة الحال إلى خلق مشكلات اجتماعية .

والعـــادات والتقاليد والعرف كلها تتطور ولكن بدرجات متفاوتة وغير ملموسة فى معظم الأحيان وأهم العوامل التى تؤدى إلى تطورها ما يأتى :

(أ) انـــتقال الأشـــكال الاجتماعـــية من البساطة إلى التعقيد وذلك فى المظهرين المورفولوجى والديموجرافى .

(ب) تقـــدم ســـبل المواصـــلات ، ممـــا يـــؤدى إلى انتشار السمات الثقافية بين المجتمعات وتفاعلها وتطورها .

(ج) زيادة موجات الهجرة الخارجية والداخلية .

(د) انقـــراض كثيـــر مـــن وظائف الأسرة القديمة كالقضاء والإنتاج والتعليم ، وانـــتقال هـــذه الوظائـــف لنظم اجتماعية أخرى ، مما أدى إلى زوال طائفة كبيرة من العادات التى كانت تلازم هذه الوظائف .

(د) ضيق نطاق الأسرة حتى أصبحت لا تكاد تشمل إلا الزوجين وأولادهما وبذلك زالت العادات القبلية وزالت رقابة العشائر على أفرادها .

سادساً : القانون :

يعتمد التنظيم الاجتماعي لأى مجتمع من المجتمعات على عدة أمور وظواهر من أهمها نسيج التفاعلات الاجتماعى الذى يقوم بين الأفراد المكونين للمجتمع ، وهؤلاء الأفراد المتفاعلون ينظر إليهم على اعتبار أن كلاً منهم يحتل عدداً من المكانات أو المنزلات ويقوم بعديد من الأدوار فى كل يوم . وإذا كان للسنن الاجتماعية كالعادات والتقاليد والعرف والآداب الشعبية آثارها المتحكمة فى علاقات الناس فى المجتمع الريفى ، وهى تمثل نوعاً من الضبط الاجتماعى بينهم فإن حياة الحضر تضعف من هذه الوسائل إلى حد ما ، ويحل محلها غالبا العلاقات القانونية نظراً لتنوع نسيج العلاقات الاجتماعية إلى الحد الذى جعل هذه العلاقات تأخذ فى كثير من صورها الطابع القانونى .

والقانون هو أقوى مظهر من مظاهر الضبط الاجتماعى وغايته صيانة التنظيم الاجتماعى ، والحرص على استقرار النظام وتقرير علاقات الأفراد بحسب المصطلحات والنظم الموضوعة ، وهو يلزم بالقوة والحكم فيه للنصوص المشرعة ، ويمتاز جزاؤه بالتحديد الدقيق بما تنطوى عليه النصوص من التزامات .

والدولة هى صاحبة الولاية على هذا الإلزام القانونى وهى التى تفرضه وتبلور الجزاء فى هذه الحالة فى استخدام القوة ن وهو حق مقرر وثابت من حقوق الدولة فقط . وتبدو أهمية الإلزام القانونى فى الحضر الحديث حيث تكون قوة القانون فوق أية قوة أخرى ، وحيث تتضاءل نسبياً قوة السنن الاجتماعية . وكلما استقرت الأوضاع فى المجتمع الحديث وزادت هيئاته وتشابكت منظماته ، ازدادت قوة القانون واتسع نطاق سلطانه ، وكلما تعددت فى المجتمع الهيئات والمؤسسات ذات المصالح الخاصة تعددت المظاهر القانونية وقوى الترابط التعاقدى ، وفى هذا

الصــدد يقول دور كايم " إن القانون يعكس شدة التضامن الاجتماعى ، وهو المترجم عــن قوة التماسك فى المجتمع ن وقد أصبح الآن من أبرز سمات الجماعات المعقدة الحديثة " .

وتقريــر الجــزاء لا يتنافى مع الإخلاص للنظام الاجتماعى والثقة فى تحقيق أهدافــه ، فهــو اصــطلاح اجتماعى نافع ويؤدى وظيفة اجتماعية ، لأنه يترجم عن ظاهــرة القهر والإرغام الذى يمارسه المجتمع إزاء العابثين بنظمه والخارجين على قــواعده بفضــل القانــون ، ونظــرا لتعدد العلاقات وتشعبها وتنوعها فى المجتمع الحضــرى ، فــإن القانون هو التأصيل التعاقدى للعلاقات والروابط الاجتماعية وهو الحامــى لهــذه العلاقات والروابط بما ينطوى عليه من قوة الجبر والإلزام القانونى والاجتماعــى ، وهــو الحكم الفصل فيما ينشأ بين أفراد الجماعة من علاقات ، وهو يحمــى الحــق ويقيمه ويفرض الواجب ويلزم بالخضوع له ، فهو قوة ذات حدين ت يضــمن حماية مصالح الفرد وحرياته ، وفى الوقت نفسه يأبى على الآخرين الخروج علــى نطــاق الحــرية . ويســهم القانون فى حماية التنظيم الاجتماعى ونشر الأمن والطمأنينة ، فينعم الأفراد فى جل أحكامه بالعدالة والسلام . وبفضل ذلك يتجه الأفراد فــى أمن سلام بكل طاقتهم إلى العمل المنتج فيزداد تماسك المجتمع وتضامن هيئاته ويستقر التنظيم الاجتماعى إلى حد كبير .

ويرتبط القانون بالقيم الأخلاقية السائدة فى المجتمع كل الارتباط فهما يتحدان فيما يلى :

(أ) الغرض ، فغرضهما واحد هو سعادة الناس .
(ب) الأساس الذى يقومان عليه ، وهو العدالة باعتبار الناس جميعاً سواسية .
(ج) المسئولية والجزاء ، فكلاهما يفترض وجودهما فى الأفعال الإنسانية .
(د) العــرف الأخلاقى ، فالقانون من الوجهة التاريخية نجده ـــ عندما ظهر لأول مــرة فى المدن التاريخية ـــ كان عبارة عن العرف الأخلاقى ، ويرى " دور

كـــايم " أن القوانـــين من الوجهة الواقعية ما هى إلا نهاية مكتوبة لموجات شفاهية تظهر وتسود أولاً فى المجتمع .

(د) بعـــض القوانـــين بطبيعـــتها أخلاقية ، مثل القانون الجنائى الذى يمثل الحد الأدنـــى للأخلاق فى المجتمع ، فهو موضوع لمن لا وازع له من نفسه ولا يردعه إلا العقاب .

(و) تختلط القوانين مع القواعد الأخلاقية والدينية فى المجتمعات البدائية لدرجة أنه لا يمكن ملاحظة الفرق بينهما .

وهناك فروق بين القانون والأخلاق تتلخص فيما يلى :

(أ) القانون مسئوليته محددة بمواده وجزاؤه السجن والغرامة وغيرهما ، بينما الأخلاق مسئوليتها اجتماعية تارة أمام العرف والتقاليد ، وتارة أخرى تكون مســئوليتها نفســية أمـــام الضمير ، والجزاء بالمثل يتمثل إما فى التحقير الاجتماعى أو فى تأنيب الضمير .

(ب) دائـــرة الأخـــلاق أوســـع بكثير من دائرة القانون ، فالقانون لا يعاقب على الهفوات الصغيرة التى لا تضر كثيراً ولابد أن يكون الفعل ذا أثر معين حتى يقـــع تحـــت طائلـــة القانون ، بينما الأخلاق تحاسب حتى على مجرد الفكر السيئ .

(ج) القانـــون لا يعاقـــب على النية إلا بقدر ما يصدر عن الشخص من أفعال تتم عـــنها أو تترجمها ، ولكن الأخلاق تعاقب حتى على النية ولو لم يصدر فعل مادى معين .

ويمكن تلخيص فوائد القانون فى المجتمع فيما يأتى :

(أ) حماية حقوق الأفراد وحفزهم على أداء ما عليهم من واجبات .

(ب) العمـــل علـــى نشـــر السلام فى المجتمع ومنع المنازعات إن أمكن وفضها بطرقه الخاصة إذا قامة بالفعل .

(ج) العمـــل علـــى سيادة النظام الذى يتلخص فى أن يؤدى كل فرد فى المجتمع الوظيفة أو الوظائف التى يتصدى لها خير قيام .

سابعاً : الرأى العام :

ينتمى أفراد كل مجتمع إلى عدد من المؤسسات والهيئات المختلفة التى يتكون منها المجتمع ، والتى تعمل فى ميادين مختلفة ، منها الدينية والسياسية والاقتصادية والتربوية ، وكل هيئة من هيئات المجتمع تسودها مجموعة من الأفكار والمشاعر ، تســرى بــين أفــراد الهيـــئة الواحدة ، ثم تنتقل الفكرة وتسود بين أفراد غيرها من الهيـــئات ، وهكذا تسود موجة من الرأى حول موضوع معين لا يلبث هذا الرأى أن يســود أغلبية مجموع أفراد المجتمع ، بغض النظر عن الهيئات التى ينتمون إليها ، ويذهبون إلى رأى عام واحد تقريبا بالنسبة لهذا الموضوع .

فالرأى العام : هو مجتمع الآراء والأحكام التى تسود فى مجتمع معين ، وهو ظاهــرة اجتماعية تعبر عن الاتجاه العام للنسبة الكبرى من سكان هذا المجتمع نحو موضوع معين وتنتج عن تفاعل آراء أفراد المجتمع وأفكارهم وأحكامهم ومشاعرهم تجاه هذا الموضوع .

والــرأى العــام يبنـــى على أغلبية أفراد المجتمع لأنه من الصعب اتفاق أفراد المجـــتمع جميعاً على كل موضوع من الموضوعات التى يعرض لها المجتمع . وكلما سادت المحبة والتعاون والتضامن أفراد المجتمع ، وكلما ارتفعت ثقافتهم وقلت نسبة الأمـــية بيـــنهم ، أدى هذا إلى تكوين رأى عام ناضج ، وهو رأى مركب يتكون من تقارب آراء أفراد المجتمع تجاه بعض الأمور العامة .

وهـــناك فـــرق بـــين الـــرأى العام أو رأى الجمهور ، وبين رأى الدهماء أو الجماعة المشاهدة نلخصه فيما يلى :

١- لا يرتكـــز وجـــود الجمهـــور على التجمع الشخصى ، أى على تقارب الأفراد واتصـــالهم المادى بالإشارة أو الكلام كما هو الحال بالنسبة للدهماء **Mob** أو

الجماعة المشاهدة Audience ، وإنما يرتكز على الاتصال الروحى والتشابه فـى التفكيـر والميول والآراء عن طريق الصحافة أو الإذاعة أو المراسلة ، بمعنى أن هناك تباعد بين أفراد فريق الرأى العام أو الجمهور .

٢ – قلـة أثـر الإيحـاء بين أفراد فريق الرأى العام أو الجمهور بعكس الحال فى جماعـة الدهماء أو الجماعة المشاهدة ، وذلك للتباعد بين أفراد فريق الرأى العام أو الجمهور .

٣ – لا يمكـن لأى فـرد أن ينتمـى – فـى وقت واحد – إلا لجماعة واحدة من الدهماء، بينما يمكنه أن ينتمى إلى أكثر من جماعة من جماهير الرأى العام ، فيمكنه أن يقرأ أكثر من صحيفة لكل منها اتجاهاتها ويتخذ لنفسه ما يرى من المواقف .

٤ – التنظـيم والاتـزان أكثـر وضوحاً ومن مستلزمات جمهور الرأى العام الذى تحـركه المشاركة فى الغايات والمنافع ، إذ يدرك عن بصيرة وفهم وتدبر ما يرمى إليه وما يسعى وراءه ، بينما مجموع الدهماء تحركها المشاعر المتقدة وتـندفع انـدفاعاً عـن طريق المحاكاة والتقليد وهى لا تدرك فى وضوح ما تتحرك لأجله ولهذا يمكن أن يتحكم فرد معين فى جموع الدهماء بينما يصعب عليه أن يؤثر بنفس الوضع والقوة فى جمهور الرأى العام .

ولقيام الرأى العام فى مجتمع من المجتمعات لابد من توافر الشروط الآتية :

١ – إدراك المجـتمع لوجوده الذاتى وتأكد الشعور عند سائر أفراده بأن مصالحهم واحدة مشتركة .

٢ – ارتكاز الرأى العام على التضامن الاجتماعى وتماسك أفراد المجتمع .

٣ – تخطـى حـدود الهيئات والبيئات الخاصة إلى الشمول والذيوع فينتشر الرأى العام عند أغلبية أعضاء المجتمع .

٤ – اهـتمام الحكومات بنشر التعليم بين طبقات الأمة لأن الرأى العام لا يتكون إلا بالمعـرفة ، ولأن انتشار الجهل بين الناس يمنع قيام الرأى العام ويصبح فى

هذه الحالة رأياً خاصاً أى رأى لأقليات متعلمة يسير فى ركابها جموع الأميين لمجرد التقليد والمحاكاة دون تبصر وفهم . والتبصر والفهم شرطان أساسيان لقيام الرأى العام . وهنا تجدر الإشارة إلى الفرق بين الرأى العام والرأى الخاص ، فبينما الأول ظاهرة اجتماعية تمتاز بثباتها النسبى نجد أن الثانى ظاهرة نفسية تتعرض للتغير والتحول السريع .

٥- اتساع نطاق النشر بمختلف الوسائل كالصحف والمجلات والمحاضرات والمسارح والإذاعة والتلفزيون وغير ذلك بشرط أن تهدف إلى تعليم الناس وإبراز الحقائق .

٦- اعتماد الحكومات على الرأى العام فيما تريد أن تحققه من مشروعات وخطط تمس مصير الناس فى المجتمع ، فليس من صالح الحكومات أن تخرج على اجتماع الرأى العام ، كما يجب أن تضع اتجاهاته ونقده موضع الاعتبار .

درجات الرأى العام :

للرأى العام درجات هى :

أولا : الرأى العام الإجماعى كأن تكون الموافقة إجماعية بين أفراد المجتمع حول موضوع ما ، وهذا لا يحدث إلا بين بعض أفراد الهيئات الخاصة ، كما يحدث غالباً بين جمهرة العلماء نحو اكتشاف معين أو اختراع جديد أو كاتفاق قبيلة ما على موضوع يخصها وذلك لصغر حجم المجتمع القبلى ، أما هذه الدرجة من الرأى العام فنادر أن تحدث فى المجتمعات المتقدمة نظرا لتشعب الآراء والأفكار وكثرة عدد السكان .

ثانياً : الرأى العام عن طريق التراضى فيتنازل كل فريق عن جزء من رأيه نحو موضوع معين مع علمه التام بصواب رأيه وذلك فى سبيل الوصول إلى رأى واحد وحل لمسألة هذا الموضوع على أية صورة، كما يحدث عادة بصدد الشئون الاقتصادية

ثالثاً : الرأى العام عن طريق التصويت ، أى أن رأى الأغلبية هو الذى يسود، وهذه الدرجة من درجات الرأى العام ينتج عنها كبت وآراء خفية معارضة قد تؤدى إلى عدم استقرار المجتمع .

رابعـاً : الـرأى العام عن طريق الضغط كان يضغط قائد الجماعة على أفراد جماعته ويحملهم على قبول رأى معين ، وهذه الدرجة أقل درجات الرأى العام دواماً ولا يعتبر هذا النوع رأياً عاماً بالمعنى الصحيح ، إذ أنه مبنى على الكبت والضغط لا على حرية الفكر والرأى .

كيف يتكون الرأى العام ؟

يمكن تلخيص الخطوات التى يتكون فيها الرأى العام فيما يلى :

١- إثـارة موضوع معين ، كأن يثير بعض الأفراد موضوعاً ما ، أو تظهر حاجات جديـدة فـى المجتمع تؤدى إلى حدوث موجة من الرأى والمناقشات نحو هذه الحاجات الجديدة أو هذا الموضوع المعين .

٢- ذيـوع هـذه الإثارة وانتشارها بين الأفراد المجتمع حيث يظهر الاهتمام بهذا الموضوع الجديد .

٣- عرض الموضوع بطريقة غير منظمة فيصبح هذا الموضوع حديث الناس فى المنتديات والمجالس العامة كالمقاهى والطرقات .

٤- عرض الموضوع بطريقة منظمة فيبدأ المتخصصون فى هذا الموضوع بعرض آرائهـم علـى أفـراد المجتمع بصورة منظمة عن طريق الجرائد والمجلات والإذاعة والخطابة وغير ذلك من مكونات الرأى العام .

٥- حدوث حركة بين أغلبية أفراد المجتمع حيث يظهر كل فريق اتجاها معينا إزاء هذا الموضوع .

٦- عـرض بعـض الحلول ، بأن يقوم كل فريق بدوره بتقديم بعض الاقتراحات ، وقد تكون هذه الاقتراحات والحلول متعارضة .

٧- مناقشـة الآراء المختلفة ، إذ يأخذ كل فريق فى مناقشة رأى غيره وقد يؤيده أو يعارضه ويبين وجهة نظره فى هذا الأمر .

٨- ظهـور القائـد وهـو الذى يكون معبراً عن رأى الجماعة التى ينتمى إليها .

ويتولـــى عملية التنظيم والإشراف على طريقة توجيه الأفراد فى حالة الدعوة إلى فكرة جديدة أو مبدأ جديد بين أفراد المجتمع .

فـــبهذه الخطوات يتكون الرأى العام ويعطى للناس حق المناقشة والتعبير عن آرائهـــم . ولاشـــك أن تمـــتع أفـــراد المجتمع بحريات الاجتماع والتعبير عن الرأى بالخطابـــة أو الكتابة ، أو عن طريق الصحافة أو الإذاعة ، والعمل على رفع مستوى الأفراد الثقافى يخلق رأيا عاما ناضجا مستنيرا فى المجتمع .

هـــذا وقد يصل أفراد المجتمع إلى قرار واحد بصدد مشكلة ما بدون معارضة كـــأن تظهـــر حاجـــة المجتمع إلى إصلاح معين لا يهم مصلحة فئة خاصة من فئات المجتمع وإنما هو ضرورى لكل طبقاته ، أو نحو قضية وطنية كبرى كتحرير الوطن من مستعمر غاصب مثلا .

طرق قياس الرأى العام :

هـــناك عـــدة طرق لقياس الرأى العام تجاه بعض الأحداث فى المجتمع نذكر منها :

١- **طريقة الاستفتاء :**

وتعتمد هذه الطريقة على توجيه بعض الأسئلة لعينة من أفراد المجتمع يكون اختـــيارها علـــى أساس عشوائى أى غير مقصود ، وبحيث تمثل المجتمع الذى يراد دراسته تمثيلا صادقا .

ويشـــترط فـــى مجمـــوعة الأســـئلة التى توجه إلى أفراد هذه العينة أن تكون واضحة ومحددة وأن تتطلب إجابات قصيرة . ويستحسن أن تكون الإجابة " بنعم " أو " لا " ما لم تكن طبيعة السؤال تتطلب شرحا من أفراد العينة بما يكشف عن اتجاههم بحـــرية ، وتجمع البيانات عادة وتحلل إحصائيا بما يكشف عن اتجاه الرأى العام فى هذا المجتمع نحو موضوع معين .

٢ـ طريقة المقابلة :

وتعتمد هذه الطريقة على المقابلة الشخصية لكل فرد من أفراد العينة ، إذ يقوم أولئك الذين يجرون قياس الرأى العام ، وهم أناس مدربون فى الغالب على فن المقابلة ، بالاتصال بأفراد العينة وتوجيه الأسئلة إليهم وجمع البيانات والإجابات منهم ، وتتاح الفرصة بهذه الطريقة لتسجيل الملاحظات عن انفعالات أفراد العينة عند الإجابة أو تحمسهم الشديد لاتجاه معين وهكذا .

٣ـ طريقة تحليل المحتوى :

ويقصد بها تحليل الآراء التى تكتب فى الصحف والمجلات والكتب ، أو التى تتداول فى برامج الإذاعة والتليفزيون عن طريق الندوات أو الأحاديث حول بعض الموضوعات ، فلاشك أنها خير تعبير عن اتجاه الرأى العام فى موضوع ما ، ولكن يجب أن يكون التحليل علمياً أى بعيداً عن الأهواء والميول الذاتية .

٤ـ دراسة الاشاعات :

تدور الإشاعات عادة حول بعض الأمور التى تهم الجماعة ، وقد تكون الاشاعة مغرضة بمعنى أن يكون الغرض منها الإساءة أو بلبلة الأفكار ، وقد تكون الاشاعة لغرض نشر الذعر والخوف فى نفوس الناس ، كما أن هناك من الإشاعات ما تعبر عن حاجة فى نفوس أفراد المجتمع ولاشك أن هذه الاشاعات لها خطرها لأنها فى أغلب الأحيان تكون بعيدة عن الواقع ولكن فى مضمونها اتجاه للرأى العام يمكن للمحلل الدقيق أن يكشف عنه وأن يقف على مضمونه .

النظريات التى قيلت فى تفسير الرأى العام :

أولاً : يفسر العلامة " تارد " الرأى العام بأنه محض تقليد ،فيوجد فى كل مجتمع من المجتمعات أفراد يمتازون بمواهب خاصة وقدرة على التجديد والابتكار ، فتسرى موجة بين أفراد المجتمع الآخرين نحو تقليد هؤلاء الأفراد ، وهكذا يتكون الرأى العام ، ويؤخذ على هذه النظرية :

١ - أن الــرأى العام لا يعتمد فى تكوينه على التقليد فحسب بل على التعليم وعلى وسائل أخرى هى مكونات الرأى العام كالخطابة والصحافة والإذاعة .

٢ - الظاهــرات الاجتماعــية يفســر بعضــها الــبعض الآخر ، أى تفسر بظواهر اجتماعــية أخرى ، ولا يجوز تفسيرها بقوانين نفسية صرفة ، وعلى هذا فلا يجب أن تفسر الرأى العام بتفسيرات نفسية كالتقليد وخلافه .

ثانــيا : ويفســر العلامــة " جنزبــرج " الرأى العام بأنه رغبة مبهمة تسود المجــتمع وتهــدف إلــى المحافظة على كيان المجتمع ، فهو ظاهرة اجتماعية تنتج تلقائياً من تفاعل مجموعة الآراء المختلفة التى تسود بين أفراد المجتمع وتتبلور فى شكل موضوعات معينة .

ومــن هــنا نلاحظ أن النظرية الأولى وهى نظرية العلامة " تارد " ترى الرأى العام بأنه عبارة عن رأى أفراد قلائل فى المجتمع يقلدهم بقية أفراد المجتمع ، وعلى هذا الأساس يتكون الرأى العام ، أما النظرية الثانية وهى نظرية العلامة " جنزبرج " فهى تصبغ الرأى العام بصبغة اجتماعية .

والواقــع أن دور التعليم دورا رئيسيا ومؤثرا ، لأنه هو الذى يعمل على تعبئة الطاقــات البشــرية وإعــدادها . وتنمية قدراتها . وهو الذى يعمل على نشر الوعى العلمى والعملى المبنى على إدراك الفرد للظروف المحيطة به ، وقدرته على تحسين تلــك الظروف ، وهو الذى يحدد الأساس الأمثل للعمل الوطنى ، والمفهوم المشترك لأهداف التنمية ووسائلها وطرائقها ، وهذا يعطى مضموناً جديداً للتعليم ، لا باعتباره أداة أساســية للــتطور الاقتصــادى فى المجتمع ، ولنقل عناصر الثقافة عبر الأجيال المختلفة للمجتمع .

التربية والبناء الاجتماعي :

يساعد الفكر الإبداعي الصادر عن المنشطات الاجتماعية على العمل في المجتمع ، حيث يرتبط ذلك بالمبدأ الغائي ، ومن هنا ترسم سياسات للإنماء لمقابلة حاجات المجتمع الجديدة ، ومتطلبات أفراده المتعددة من التعليم والصحة وغيرهما من خدمات التنمية الاجتماعية ، وهي وإن كانت – في ظاهرها – متطلبات لمقابلة حاجات حيوية لأفراد المجتمع من تعليم أو صحة أو ثقافة أو أمن أو عدالة أو خدمات اجتماعية أو دينية أو غيرها من مختلف الخدمات الأساسية ، إلا أنها في الواقع انماء للمناشط الاجتماعية التي تتولى إحداث التساند الوظيفي للأنساق ، بما يحقق توازن البناء وتسانده وتكامله وظيفياً ، ومن هنا يقوم عامل التنظيم والتنشيط الذي يجعل أفراد المجتمع ينعمون بما يحققه لهم المجتمع من وسائل الرفاهية الاجتماعية .

فسياسات الإنماء لا تبنى بغرض إنماء المناشط الاجتماعية للأفراد فحسب ، بل ترمي أيضاً إلى تطوير النظم وتطويع الموارد والإمكانات لخدمة أهداف التخطيط الاجتماعي الذي يقوم على سياسة محددة للسير بالمجتمع في طريق مرسوم ، ومن هنا تكون سياسة الإنماء عاملاً من عوامل التطوير لأنساق المجتمع ، حيث تنشأ وضعيات اجتماعية جديدة تنبثق عنها وظائف ونظم جديدة ، بما يؤدي إلى نمو العلاقات الوظيفية في هيئات المجتمع ومنظماته ، كنتيجة طبيعية لما يقوم في المجتمع من سياسات إنمائية توضع على شكل خطط اجتماعية ، حيث يكون المحتوى الهدفي أكثر وضوحاً في حالة الخطة عنه في حالة السياسة ، فالسياسة تقوم عادة على هدف عام يستند إلى نظرية معينة ، بينما تقوم الخطة على هدف خاص ترمي إلى تحقيقه ، ويمكن تحديده كماً وكيفاً بحسب نوعية الخطة الموضوعة .

وإذا كانت خطط الإنماء تعمل على دعم كيان البناء بمقابلة حاجات أفراده ، فإنه لا يمكن إغفال حقيقة هامة ، ألا وهي أن لكل فرد في المجتمع وضعا إجتماعيا خاصا به ، بحيث لا يحل الواحد محل الآخر ، وكذلك الحال بالنسبة للوحدات الاجتماعية التي يتكون منها المجتمع أيضاً ، فلا يمكن أن تحل واحدة منها محل الأخرى ، فلا

يمكـن مـثلاً أن تحـل وحـدة من الوحدات التى تقدم خدمات صحية محل وحدة من الـوحدات التـى تقدم خدمات تعليمية وهكذا . ونجد كذلك أن كل فرد فى أى وحدة له مركـزه ودوره الاجتماعى ووظيفته ، التى ترتبط ارتباطاً تكاملياً وكلياً ببناء المجتمع فـى كلياته وفى جزئياته . فحدوث تفكك أو انحلال فى العلاقات والترابطات البنائية ، يـؤدى إلى خلق عناصر التفرقة والشقاق ، مما يخلق مظاهر مختلفة للصراع ، تهدد الترابطات البنائية والوظيفية فى المجتمع بالانهيار .

حاجة المجتمع إلى عمليات وعلاقات اجتماعية جديدة :

ومـن هـنا يكون الاهتمام بالعمليات والعلاقات الاجتماعية الناتجة عن سياسات الإنماء الاجتماعى ، بما يتولد عنها من وضعيات جديدة تؤثر على العمليات والعلاقات التـى تمـثل نماذج سلوكية ، تتولد عن شعور الأفراد باعتماد بعضهم على البعض ، وحاجـتهم إلـى تـبادل المشاعر ، وترابط الأفكار والنشاط ، ولعل دور التعليم دور واضح فى هذا الاتجاه من حيث كونه الأداة الرئيسية للتغير الاجتماعى .

وإذا كانـت عملية الإنماء الاجتماعى فى حد ذاتها تتجه أصلاً إلى إنماء مناشط المجـتمع ، فـإن ذلك لا يتأتى إلا عن طريق إيجاد علاقات وعمليات تقوم على أسس جديـدة تهـدف إلى ترابط البناء وتدعيمه . وإذا كانت العلاقات والعمليات الاجتماعية تمـثل حقائـق اجتماعية تنشأ بصفة غير مباشرة أو بطريقة لاشعورية ، بحيث تمثل شعوراً جماعياً يرتفع فوق مشاعر الأفراد الخاصة ـ كما ذهب المفكر " دوبربيل " ـ فـإن هذه العمليات يمكن التحكم فيها ـ إلى حد كبير ـ بوسائل الضبط الاجتماعى ، وما تشتمل عليه من محتوى يتطلب من أفراد المجتمع أن يمارسوا أدوارهم الوظيفية فـى المجـتمع وفـق المعايير والقيم والنظم المقررة . ولكن الاستجابة الفردية تتأثر عـادة بمـا تأتـى بـه سياسات الإنماء من تيارات اجتماعية جديدة ومن مستحدثات تكنولوجـية لم يكن للأفراد عهد بها من قبل ، بما يؤثر فى تطوير العادات الاجتماعية التقلـيدية ، حـيث تـتحول من أداة تنظيمية ضابطة إلى أداة مرنة ، لكى تتكيف مع الوضعية الجديدة فتسترد قوتها التنظيمية :

وقــد يحــدث تعــارض بين النزعات الشخصية الفردية وبين مقتضيات العادات الجمعــية ، إلا أن مجــالات هذا التعارض تتناسب تناسباً طردياً مع حضارة المجتمع وتعقــد بنيته ومورفولوجيته ، حيث يصطدم الفرد فى المجتمعات الكثيفة ديموجرافيا بسلســلة مــتلاحقة من القواعد الضابطة نتيجة تعدد أنسجتها وأجهزتها ومؤسساتها ومــنظماتها الاجتماعية ، مما ينتج عنه تعقد فى علاقات أفرادها الوظيفية . ومن هنا فــإن سياسات الإنماء الاجتماعى تتطلب مراعاة كاملة لطبيعة البناء الاجتماعى الذى ترسم له هذه السياسة أو تلك .

ومــن هنا نجد مثلاً أن الخطط التعليمية تراعى عادة طبيعة البيئة الاجتماعية ، ومــا يكتــنفها من علاقات وعمليات اجتماعية بغرض تدعيم الصالح منها وإحداث ما تتطلبه الحياة السوية من تغييرات أساسية فى أشكالها وأدوارها بين أفراد المجتمع .

وإذا كانــت وســائل الضــبط الاجتماعــى تهدف إلى تحقيق التكامل فى النظام الاجتماعى ، حتى يؤدى الأفراد أدوارهم وفق ما تقضيه مطالب البناء . فإن كثيراً من مظاهر انحلال البنيان الوظيفى للمجتمع يرجع إلى العمليات الاجتماعية التى تقوم بين الأفــراد ، والتــى تظهر فى صورة علاقات تنافر أو تفكك أو أنانية ، والتى كثيرا ما تكــون عملية التنشئة الاجتماعية غير السليمة هى الأساس فيما يعانيه بناء المجتمع مــن اعــتلال وظيفــى ، أو عدم توازن بين أنساقه المختلفة ، إذ نلاحظ أن سياسات الإنمــاء الاجتماعــى ، وهى حركة ديناميكية تغيرية فى المجتمع تتطلب تكيف الأفراد ومــرونتهم وحراكهم الاجتماعى ، وهذا ما يعجز عنه أفراد كانت تنشئتهم الاجتماعية ملتــزمة بــثقافة معيــنة أو اتجاهــات خاصة مما يغلق تفكيرهم على أوضاع معينة وأيديولوجــيات خاصة ، وهكذا نجدهم يقفون جامدين أمام كل تغيير لمجرى حياتهم ، حتى ولو كان فيه خير لمجتمعهم ، أو لمصلحتهم .

العلاقات الاجتماعية الإيجابية والسلبية :

وإذا كانــت هناك علاقات إيجابية تؤدى إلى التضامن الجماعى وإلى الوفاق بين الرغبات ، بما يقوى من مظاهر الترابطات البنائية ويدعم كيان المجتمع ويحافظ عليه

مــن كل تقويض يعرضه للتفكك أو الانحلال ، فهذه العلاقات لابد وأن تكون متكاملة ، بمعنـــى أن يكمل بعضها البعض ، فى سبيل تحقيق الاستقرار الاجتماعى . وقد تكون هـناك أيضـا علاقــات سلبية ، وهى تمثل علاقات التفرقة التى تؤدى إلى النفور أو الانعــزال أو المنافســة غيــر الشــريفة ، مما يعرض البناء الاجتماعى ف علاقاته الوظيفية للتقويض والتفكك والانحلال .

وتحاول سياسة الإنماء الاجتماعى بالنسبة لهذين النوعين من العلاقات أن تعمل بجديـــة علـــى زيـــادة فعاليات المناشط الإجتماعية ، بما يجعلها أهلا لأن تقيم التساند والــتعاون بـــين أنســـاق المجتمع ، وبما يؤدى إلى تدعيم العلاقات الإيجابية وزوال العلاقات السلبية ، من أجل إحداث الترابطات البنائية والوظيفية للبناء الاجتماعى .

وإذا كانـــت هناك مطالبة بقيام سياسات للإنماء الاجتماعى ، فما ذلك إلا بغرض زيـــادة فعالـــيات المناشط الاجتماعية التى لا يمكن أن تؤدى دورها بنجاح فى إحداث تـــوازن الأنســـاق وتطويـــرها إلـــى خير البناء ، إلا بالعمل على التماسك والتعاطف الاجتماعـــى ، بما يضيق من الهوات الطبقية فى المجتمع ، ويقلل من حدة الصراع . فمـــثلا يـــرى " فون فيز " أن المجتمع ما هو إلا تنظيم لعلاقات التقارب والتباعد بين الأفـــراد ، فكل فرد يتأثر بغيره من الأفراد ويؤثر فيهم ، وينتج عن هذا التأثر والتأثير " مســـافة اجتماعـــية " ، تعبر عن مدى التقارب والتلاؤم الاجتماعى بين الأفراد ، أو عـــن مـــدى التباعد والنفور بينهم . ومن هنا نرى أن المجتمع لا ينتظم إلا إذا عملت سياســـات الإنماء على تضييق المسافة الاجتماعية بين الأفراد وبعضهم ، حتى يمكن للمنشـــطات الاجتماعية أن تؤدى دورها فى زيادة عملية التنشيط الاجتماعى لمناشط المجـــتمع المختلفة ، من أجل إحداث الترابطات البنائية اللازمة لتقدم المجتمع وتدعيم كيانه ، وللسير بعملياته فى خطها المرسوم .

ومـــن الملاحظ أن هناك تفاعلا ديناميكيا بين فعاليات العمليات المجمعة ، وهى تلـــك العملـــيات التى تؤدى إلى ترابطات بنائية فى العلاقات الوظيفية ، أو تؤدى إلى انحـــلال فى البنيان الوظيفى للمجتمع ، كما تدل عليه الحركة الاجتماعية التى يتحرك

فــى نطاقهــا أفراد المجتمع ، فتؤدى إما إلى التوازن بين العمليات الاجتماعية داخل نظــام معــين لأحد أنساق البناء الاجتماعى ، وإما إلى " الحراك الاجتماعى " ، عندما يحــدث تغيــر ف مراكز الأفراد وأوضاعهم الاجتماعية صعوداً أو هبوطاً ، بما يترتب على ذلك من تغير فى العلاقات المتبادلة بين أفراد المجتمع .

أثر العمليات المفرقة على المناشط الاجتماعية :

ولعملــيات المفرقة أثر على المناشط الاجتماعية التى تنتج عن ممارسة الأفراد والجماعــات لــدورهم فى منظماتهم الاجتماعية ، حيث أنها تؤدى إلى تفكك فى بناء العلاقــات ، مما يضعف من قدرة هذه المنشطات عل أداء وظيفتها فى إحداث التكامل والتســاند الوظيفــى لأنســاق المجتمع ، فالعمليات المفرقة إذا سادت أدت إلى تخلف جزئــى وإلى مشكلات معينة ، لو استفحل أمرها لأدت بالمجتمع إلى تخلف اجتماعى كلــى يظهــر فــى صورة انحلال لأنساقه ، ويؤدى بالترابطات البنائية إلى الانهيار ، ويخلــق صــراعات فكــرية ومادية تتضح آثارها بين جماعات المجتمع ومؤسساته وهيئاته المختلفة ، حيث تضعف عمليات التعاون والتكيف والتواصل البناء بين أفراد المجتمع ، لتحل محلها عمليات تنافر وصراع وتصادم ، تؤثر على كيان المجتمع .

ومــن هــنا كــان الاهتمام الشديد ــ عند وضع سياسات الإنماء الاجتماعى ــ بدراســة أنمــاط العلاقــات المتبادلة بين الأفراد والجماعات الوظيفية فى المجتمع ، دراســة علمية تساعد على وضع الخطط البناءة لهذه العلاقات . ولئن كانت المناشط الاجتماعية تأتى عن طريق الدور الوظيفى للفرد فى المجتمع ، إلا أن هذا الدور يتأثر بعضــوية الفرد فى الجماعات الوظيفية للمجتمع ، وبالمواقف المختلفة التى يتعرض لهــا أثناء قيامه بهذا الدور ، هذا بالإضافة إلى مجموعة العلاقات الوظيفية والقرابية وغيرها من العلاقات التى تقوم بينه وبين غيره .

وإذا كانــت أفــراد المجــتمع تنــتظمهم هيــئات مختلفة وينتمون إلى عدد من الجماعــات ، إلا أن هــؤلاء الأفراد يتقاسمون للعمل ويتخصصون فيه ، بحيث يؤدى

تضافرهم وتضامنهم إلى أداء وظائفهم الاجتماعية بالصورة التى تساعد المجتمع على تحقـيق أهدافه ، والتغير إلى ما يقابل حاجات الأفراد المتطورة بتطور الزمن والحياة ذاتهـا ، وكلمـا كـان بين أفراد المجتمع تماثل وتجانس وتعاون ، كلما أدى ذلك إلى تـرابطهم وظيفـياً فى الجماعات التى ينتمون إليها ، وبالتالى إلى بنائهم الاجتماعى الشـامل ، ولهـذا فـإن سياسـات الإنماء الاجتماعى يجب أن تتجه أولاً إلى إحداث التـرابطات البنائية والوظيفية اللازمة لبناء المجتمع ، وهذا بدوره يصبح عاملاً هاماً فى زيادة فعاليات المناشط الاجتماعية داخل الأنساق المختلفة للمجتمع .

ومـن الضـرورى كـذلك لسياسات الإنماء الاجتماعى — تحقيقاً لمبدأ الترابط البنائى والوظيفى لأدوار الأفراد الوظيفية داخل منظمات المجتمع المختلفة — أن تعمل علـى التمهـيد لقبول أفراد المجتمع للتغيرات الجديدة والتطورات المختلفة التى تطرأ علـى البناء الاجتماعى ، وذلك عن طريق عمليات التكيف التى تحول دون المنازعات التـى قـد تقـوم بين أفراد المجتمع حول القديم والجديد وهكذا يمكن تفادى التيارات والاتجاهـات التى تقف ضد صالح المجتمع وضد تماسك أنساقه وتعاونها . ولهذا فإن سياسـات الإنماء الاجتماعى — لكى تنجح فى أداء وظائفها وأهدافها — يجب أن تأتى وفـق أيديولوجيات تستمد أسسها من واقع المجتمع ذاته حتى تكون مقبولة من أفراد المجـتمع ، ذلك لأن التمسك الشديد بقيم ومعايير وأنماط معينة تؤدى إلى تصادم بين الجديد والقديم ، ينشأ عنه انحلال بنيانى لا يؤدى إلى الترابطات البنائية التى يجب أن تقـوم بـين أفـراد المجـتمع الواحد أو داخل هيئاته النظامية ، من أجل قوة البنيان الاجتماعى ، وقوة الجماعات النظامية الداخلة فى إطار الهيكل العام للمجتمع .

كـذلك فإن التمسك الشديد بقيم ومعايير الأنماط المختلفة لهيئة نظامية معينة ، يـؤدى أحياناً إلى سيادة روح التعصب بين الأفراد ، بما يؤدى إلى أنماط من السلوك العدائى ضد قيم ومعايير الهيئات الأخرى. ومن هنا يجب مراعاة التكامل والترابط بين مخـتلف خطـط وسياسات الإنماء الاجتماعى ، حتى تحقق التساند الوظيفى المطلوب بين المنظمات والهيئات المختلفة فى المجتمع . وقد تتطلب بعض التغيرات التى تأتى

بها السياسات الإنمائية تغيرات فى بعض جوانب ثقافة الأفراد وأساليب حياتهم وأنماط سلوكهم ، وعدم حدوث هذا التغير يؤدى إلى وجود أنماط لا تكون منسجمة مع الأوضاع الجديدة للحياة الاجتماعية، مما قد ينتج عنه صراع بين الأنظمة الحضارية، يؤدى بالتالى إلى مظاهر انحلالية فى العلاقات الوظيفية للبنيان الاجتماعى .

وتتفاعل المنظمات كنتيجة لما يحدث بينها من ترابط وتداخل فى العلاقات التركيبية ، وبالتالى من تحول وانتقال فى الوظائف النوعية ، يؤدى إلى تغيرات فى النظم ، وذلك بتجدد المعايير وتغير القيم والأهداف . وهكذا يمر النظام نفسه بدورة تغير ، تبدأ بمرحلة الظهور أو الاعتراف بالمعايير الجديدة والصراع من أجلها ... فمرحلة التدعيم وتثبيت المبادئ والأيديولوجيات ... فمرحلة التفكك نتيجة عدم التوافق مع ظروف التغير أو فشل الوسائل فى تحقيق الأهداف ... وأخيراً مرحلة الإحياء أو إعادة التنظيم بمراجعة المعايير الخاصة بالأهداف والوسائل والإجراءات والقيادات ، وملاءمتها لظروف التغير المطلوبة .

ومن هنا فإن زيادة فعاليات المناشط الاجتماعية عن طريق إنمائها اجتماعياً لا يمكن أن تؤدى دورها فى إحداث التناسق والتوازن والتساند الوظيفى لأنساق المجتمع، إلا إذا كانت العلاقات فى البناء الاجتماعى علاقات ترابط وتآلف وتضامن بين وحدات البنية الاجتماعية ، حتى لا يهدد نسيج المجتمع المتماسك بالانهيار أو التمزق ، نتيجة مظاهر طبقية تتعطل معها عملية الحراك الاجتماعى ، أو نتيجة عدم التكامل بين مقومات الحياة الاجتماعية . ومن هنا يكون التوجيه لازماً لعمليات التغير والتطور التى تأتى بها سياسات الإنماء ــ وبخاصة التعليم ــ لتحقيق التكامل فى الحياة .

وللتنشئة الاجتماعية ، والتمثيل الاجتماعى ، والضبط الاجتماعى آثارها فى إتمام عمليات التكيف والانسجام ، اللازم لتوافق الأفراد والجماعات مع هذه التطورات والتغيرات الجديدة . ونلاحظ أن مرونة التكيف لدى أفراد المجتمع ومنظماته لها أثر كبير فى مدى نجاح السياسة الإنمائية فى تحقيق أهدافها. ويرى " بنيت " و " تيومن"

أن التكيـف عملـية ديناميكـية ، تـنمو وتتغيـر لـدى الأفراد بحسب ما يطرأ على مجـتمعاتهم مـن تطورات وتغيرات مختلفة ، وتنشأ مشكلة عدم التكيف عن اختلاف الأفراد فى طريقة تنمية علاقاتهم مع الآخرين ، ومع المجتمع عامة .

ومـن الأهمـية ملاحظة الدور الرئيسى الذى يمكن للتعليم أن يؤديه فى إحداث مرونة التكيف لدى الفرد المتعلم، بما يساعده على التغيير المطلوب نفسياً واجتماعياً. وبمـا يؤدى إلى تقدمه وزيادة فاعليته فى الأدوار التى يؤديها ، بما يؤدى بالتالى إلى تقدم المجتمع .

التربية وفعاليات المناشط الاجتماعية :

إن زيـادة فعاليات المناشط الاجتماعية يكشف عنها نمو وارتقاء الفكر التحليلى والتركيبـى ، حيث يؤدى الفكر التحليلى إلى الكشف عن طبيعة خلايا وأنسجة البنيان الاجتماعى ، وما يجرى من عمليات اجتماعية وعلاقات وظيفية على مستوى الوحدة الاجتماعـية داخـل بـناء المجـتمع . وفى مقابلة هذا الفهم التحليلى تقوم المناشط الاجتماعـية بالوظـيفة التـركيبية ، يساعدها على ذلك ارتقاء الفكر التركيبى ، حتى يتسـنى لأنسـاق المجـتمع أن تسير متواكبة ومتساندة ، حسبما تقتضيه الترابطات البنائـية لأنسـاق المجتمع المختلفة ، ذلك لأن الإنسان لا يستطيع أن يكيف أنشطته وفـق متطلبات المورفولوجيا والبيئة الاجتماعية ، إلا إذا قامت هذه الأنشطة متعاونة ومتساندة مع أنشطة غيرها ، وإلا إذا كانت هذه الأنشطة تجمعها منظمة من منظمات المجـتمع المخـتلفة ، ومعنـى ذلك أن زيادة فعاليات المناشط الاجتماعية عن طريق عملـية الإنمـاء ، تزيد من فعاليات البناء المتكامل لهذه المناشط بكل ما يحويه هذا البناء من مبادئ عقائدية أو مضامين أخلاقية أو مسلمات عقلية أو خبرات عملية أو قوانين علمية ... إلخ .

وهكـذا نلاحـظ أن المؤشـرات الحقيقـية لزيادة فعاليات المناشط الاجتماعية المـنماة، تتمثل فى العمل على زيادة الإنتاج للقوى البشرية فى المجتمع ، بما يجعلها

أداة فعالة فى إحداث التطوير اللازم لأنساق المجتمع ، من أجل دعم بنيانه وتماسكه ، بمـا يـؤدى إلـى مقابلـة حاجات الأفراد ومطالبهم ، وتطويع أنساقه لخدمة بعضها البعض .

ويمكـن أن نعتبـر أن وظـيفة البـناء الاجتماعـى فى هذه الحالة تكاد تكون محصـورة أساسـاً فى الإبقاء على الهدف الذى يسعى إليه النظام الاجتماعى ، وهو محاولة تحقيق حالة من التوازن بين أنساقه المختلفة ن معتمداً فى ذلك على وحداته وخلايـاه العاملـة ، بحيث تقوم كل وحدة بمدى ما تسهم به فى تحقيق ودعم النظام العـام لهـذا البـناء ، وبمـدى الجهد الذى تبذله فى تطوير أنساقه . ومن هنا تأتى ضـرورة العمـل علـى صـب المضامين العقلية للأفراد والجماعات داخل التدرجات الطبقـية فـى المجـتمع ، وفـى القالب العام للمجتمع ، حتى يتسنى تحقيق قدر من الاتسـاق والانسـجام بـين الأفـراد من جانب ، وإحداث التكامل الوظيفى بين أفراد الـتدرجات الطبقـية فـى مجموعها من جانب آخر ، بحيث يمكنها أن تؤدى دورها بالصورة التى تخدم البناء الاجتماعى ، وتساعد على حركية التدرج داخله .

دور التربية فى النظام الاجتماعى المفتوح :

إذا كانت التدرجات الطبقية سمة من سمات البناء الاجتماعى ، فإن وجود نظام اجتماعـى مفـتوح يسمح بالانتقال والحركة فى مستويات التدرجات الطبقية المختلفة يعتبـر من الأهمية بمكان ، وهذا ما يجب أن تراعيه سياسات الإنماء الاجتماعى التى ترمـى أساسـاً إلى إنماء المناشط الاجتماعية ، حيث أن النظام المفتوح الذى تتيحه سياسـات الإنمـاء يحقـق للأفـراد محفـزات للعمل البناء ، وبذل الجهد ، حتى تتم انتقالاتهم خلال مستويات التدرجات الطبقية وفق الجهد الذى يبذلونه من خلال أدائهم لأدوارهـم الوظيفـية المخـتلفة ، وفـى هذا ما يضمن بقاء البناء ، وتطويره بصفة مسـتمرة ، وتطويعه لخدمة حاجات الأفراد . فالبناء لا يتسنى بقاؤه واستمراره دون سـند مـن الوظائف والأعمال المتعددة ، وهذه الوظائف والأعمال لا يمكن أن تؤدى

بالصورة التى يرجوها البناء ، إلا إذا قامت على مناشط اجتماعية كان الأساس فى إنمائها هو تيسير مختلف الخدمات ، من تعليم وتدريب وصحة وثقافة وأمن وعدالة ، وتأمينها ضد غوائل الزمن .

وإذا كانت ظاهرة التدرجات الطبقية حقيقة قائمة فى كل بناء ، وكانت ظاهرة الحراك الاجتماعى بديناميانها ومحركاتها تخضع للمدى الذى يتيحه التنظيم الاجتماعى لأفراد المجتمع ، فيما يتصل بالمساواة أو عدم المساواة ، وكذلك بالمدى الذى يتيحه المجتمع لأفراده من فرص لتحسين مراكزهم .. فإن سياسات الإنماء يجب أن تكون فى خدمة جميع الأفراد على السواء ، وأن تتيح الفرص لإنماء مواهبهم وقدراتهم المختلفة ، حتى يجتهدوا فى أداء وظائفهم بما يسمح لهم بالتدرج ، وهذا هو خير ما يؤدى بأفراد المجتمع ومنظماته المختلفة إلى الترابط البنائى والوظيفى المطلوب .

ونحن نرى أن إنماء المناشط الاجتماعية يساعد إلى حد كبير عل إنماء القدرات العقلية التى تقوم بالوظائف التركيبية فى المجتمع ، بحيث يشعر الفرد وهو يقوم بدوره بتقدير المجتمع له ، وهذا الاعتبار له مكانه الاجتماعى ودوره الوظيفى ، حيث أن صفاء الأفكار ونمو القدرات ، مع الشعور بالرضا والتقدير ، له أثره الطيب فى تحديد العلاقات على أسس من الترابط المحكم الذى يؤدى بالبناء إلى التماسك ، فبقدر ما ترتبط مكانة الأفراد الاجتماعية باعتبارات التقدير التى تتحدد بفلسفة البناء وبطبيعة القيم الاجتماعية السائدة ، بقدر ما يؤدى الأفراد أدوارهم بنجاح . ومن هنا يكون لسياسات الإنماء وضعها الهام فى إحداث الترابطات البنائية اللازمة لتقدم المجتمع ، ذلك لأن مسألة التقدم قد تختلف باختلاف الزمان والمكان ، إلا أن لكل مجتمع أهدافاً يسعى لتحقيقها ، والسير فى طريق التحقيق هو ما ينظر إليه المجتمع على أنه تقدم .

والواقع أن البيئة الحضارية هى بيئة المجتمع الإنسانى ، ذلك لأنه من الواضح أن اجتماع الناس وتواصلهم وتفاعلهم اجتماعياً ، عن طريق ما يقوم بينهم من عمليات اجتماعية ، تظهر على شكل علاقات وظيفية ، تعكسها مؤسسات المجتمع

وهيـــئاته إنمـــا تـــنمو وتنمو معها العلاقات الاجتماعية بنمو الأفراد اجتماعياً ، وهنا يكـــون التعليم وسيلة للتغير ، حيث أنه يساعد على التدريب ، وعلى التجريب العلمى الذى يؤدى غالباً إلى الاختراع والاكتشاف .

ونمـــو المناشـــط الاجتماعـــية بصورة تقدمية وبطريقة استمرارية ، يؤدى إلى تطلعـــات بعيدة المدى ، ولقد كان " أوجبرن " على حق حين تساءل عن المدى الذى يمكن به أن يرضى التعليم فى نموه كافة الاحتياجات لدى أفراد المجتمع ، فنمو ثقافة المناشـــط الاجتماعـــية يؤدى إلى مزيد من الابتكار والاختراع ، وإلى قدرات تركيبية أقـــوى ــ ومـــع أن هناك علاقة بين التعليم واحتياجات الإنسان . إلا أنه من الصعب تحديد هذه العلاقة ، إذا سار التعليم فى طريق النمو والتكامل ، فكثير من الاختراعات الماديـــة مـــثلاً قد استعملها الإنسان لأنها تلى رغبة أو حاجة معينة لديه ، وقد تكون الفائـــدة البعيدة المدى أكثر من الفائدة الملموسة حالياً ، فالبحار مثلاً قد استعمل لأنه يوفر الكثير من الجهد الإنسانى ، ولكن التغيرات الثقافية أثبتت أن للبخار فوائد أخرى غيـــر توفير الجهد الإنسانى ، فتأثير البخار أبعد مدى ، ولكن ربما يمون من الصعب التنـــبؤ بكـــل نتائجه الاجتماعية ، ذلك لأن هذه النتائج أكبر من مجرد تلبية حاجة أو حاجـــات معيـــنة لـــدى أفراد المجتمع . وإذا كان من الصعوبة بمكان تحديد التوقيت الزمنى لظهور الاختراع طبقاً للحالة الثقافية ، إلا أن كل حادث يبدو مفاجئاً لابد وأنه يـــرتد إلى أصول مهدت إليه . ومع ذلك فإن المتتبع لتاريخ ظهور الاختراعات يمكنه أن يســـتدل علـــى أثـــر التعليم فى تحديد المجال لاختراعات معينة فى محيط معين ، فـــتاريخ الاختـــراعات كمـــا يقـــول " كروبـــر " يشبه سلسلة لا نهاية لها من الأمثلة المتشـــابهة . فالانقلاب الصناعى تميز باستخدام الآلة فى الإنتاج على نطاق واسع ، نتـــيجة لمجمـــوعة مـــتلاحقة من البحوث التى تمت فى ميدان الطاقة البخارية بوجه خاص ، مما أدى إلى إحلال الصناعة الآلية محل الصناعة اليدوية أو الزراعة .

وإذا كانت المرحلة الصناعية الحديثة تتميز بتحكم الإنسان فى الطبيعة ، وقدرته علـــى تشـــكيل مادتها على نحو جديد يلائمه ، فإن هذه الصفات جاءت نتيجة مراحل

تطــورية سابقة . فقد كانت الطاقة الرئيسية التى تستخدم فى الصناعة والزراعة فى العصــور الوسطى هى الطاقة المائية والهوائية ، والمادة الأساسية التى كانت تصنع مــنها الآلات والأدوات هى الخشب ، والأمر قد تغير فى منتصف القرن الثامن عشر إلــى نــوع جديــد من الطاقة هى الطاقة البخارية ، مما أدى إلى زيادة أهمية الفحم والحديد فى الصناعة ، وأصبح ازدهار الإنتاج الصناعى متوقفاً على وجودهما .

ولا شــك أن تغيــر النســق الاقتصادى ، فى نظمه وفى علاقاته بتطور الإنتاج الصــناعى ، وانــتقاله من مجال " الورش " الصغيرة التى يعمل فيها عدد محدود من العمال إلى نظام المصانع بشكلها المركز ... هذه الأوضاع الجديدة قد أدت إلى ظاهرة التخصــص ، وتقســيم العمل ، تلك الظاهرة التى أصبحت تأخذ مجراها فى العلاقات المهنــية المخــتلفة . وقــد استلزم ذلك بدوره تغيراً كبيراً فى نسق العلاقات الأسرية والتــربوية والضبط الاجتماعى والسياسى ، مما أوجد حالة من الوضعيات الاجتماعية الجديــدة التى تتطلب من مناشط المجتمع أن تعمل على توازنها وتساندها وتكاملها ، بحيث لا يحدث أى خلل فى بناء المجتمع .

وإذا كان العنصر البشرى هو أهم عناصر الانتشار الحضارى ، إلا أن التغيرات المــتلاحقة التى تؤدى إليها المخترعات الحديثة والنظم التكنولوجية ، تساعد إلى حد كبيــر علــى الالتقاء الأفقى للأفكار ، كذلك أصبح الالتقاء الرأسى بين أفكار التدرجات الطبقــية المخــتلفة أمــراً واضــحا فى مختلف المجتمعات . ويؤدى الالتقاء الأفقى والرأســى لمخــتلف الأفكار إلى وقوع أفراد المجتمع تحت تأثير التضارب ،أو التنوع مما يخلق ألواناً من الصراع تختلف شدةً أو لينا بحسب تأثير هذا التضارب أو التنوع فى الأفكار .

وحيث يخضع الانتشار الحضارى الداخلى لمدى مناسبة النمط الحضارى الجديد لاتجاهــات الــرأى العام السائدة ، ولمدى قابلية الأفراد للنمط الذى ينتقل إليهم ، كما يخضــع لمقــدار فائدة النمط الجديد للحياة الاجتماعية ، ولمقدار سد النقص فى حياة

الأفـــراد ، وللقوى التى تسانده ... فإن سياسة الإنماء الاجتماعى للمناشط الاجتماعية تــؤدى دوراً فعــالاً فـــى توحيد الثقافة بين أفراد المجتمع الواحد ، بوحداته المختلفة ومـــنظماته المتــنوعة ، مما يقلل إلى حد كبير من حدة الصراع ، ويقوى من عوامل الانتشـــار الحضارى داخل المجتمع ، بحيث لا تكون هناك " هوة ثقافية " تحد من هذا الانتشار أو تعوقه .

مـــن هـــذا العرض يبدو أن الانطباعات التى تحققها المناشط الاجتماعية المنماة فى الأنماط الحضارية متسعة وكبيرة ، بسبب الدور الذى تلعبه زيادة فعاليات المناشط الاجتماعــية ، نتــيجة لإنمائهـــا ولإحــداث الترابطات البنائية اللازمة لإيجاد التوازن والتســـاند الوظيفى بين أنساق المجتمع ، بما يؤدى إلى تدعيم الكيان الوظيفى للبناء الاجتماعـــى وتكاملـــه ن بمعنـــى تآلف واشتراك وتضامن مجموعة الوحدات ، بحيث يحــدث تعـــاون وتماسك فى الوظائف الطبيعية والحيوية والنفسية والاجتماعية التى تـــؤديها ، فـــى ســـبيل الإبقاء على وحدة البنية الاجتماعية ككل ، وضمان فعالياتها بطـــريقة متناسقة . ولعل التكامل لا يأتى من مجرد تجميع أو تكتيل العناصر المكونة للبـــناء ، إذ أن الفعالية الوظيفية هى الخاصية الجوهرية لتحقيق هذا التكامل . بمعنى أن يكون للتكامل هدف أو غاية تتبلور فى استكمال أسباب التآزر فى القيام بالوظائف التـــى تـــؤديها الوحدات التى يتألف منها البناء الاجتماعى ، ومن هنا نلمس مدى أثر سياسات الإنماء الاجتماعى للمناشط الاجتماعية فى إحداث هذا التكامل الوظيفى .

الفصل الخامس

التربية والتغير الاجتماعى

التغيــر فــى ذاته ظاهرة طبيعية تخضع لها جميع مظاهر الكون وشئون الحياة بالإجمــال ، وقــديماً قال الفيلسوف اليونان « هير قليطس » : التغير قانون الوجود والاســتقرار مــوت وعدم » . كما عبر عن التغير فى قوله الشهير : « إنك لا تنزل البحر مرتين فإن مياها جديدة تجرى من حولك أبداً » .

وظاهرة التغير أوضح ما تكون فى كل مظاهر الحياة الاجتماعية ، وهذا ما أدى بــبعض المفكــرين إلــى القــول بأنه ليس هناك مجتمعات ، ولكن الموجود تفاعلات وعمليات اجتماعية فى تغير دائم وتفاعل مستمر .

ويمكنــنا أن نعــرف التغير الاجتماعى بأنه كل تحول يحدث فى النظم والانساق والأجهــزة الاجتماعــية ، ســواء كان ذلك فى البناء أو الوظيفة خلال فترة زمنيــة محددة ، ولما كانت النظم فى المجتمع مترابطة ومتداخلة ومتكاملة بنائياً ووظيفياً فإن أى تغيــر يحــدث فــى ظاهرة لابد وأن يؤدى إلى سلسلة من التغيرات الفرعية التى تصيب معظم جوانب الحياة بدرجات متفاوتة .

ويــتطلب التغيــر فى ميدان الحياة الاجتماعية ضرورة تكيف الأفراد لمنتضباته ووفقا لما يتطلبه من مستحدثات ، لأنهم إذا وقفوا جادين غلبوا على أمرهم والتمسوا القــرار مــن ضــغوط البيئة موضوع التغير ، ومعنى هذا أن الأفراد يجب أن يكونوا أدوات حــية تســتجيب فى مرونة لدواعى التغير حتى يمكنهم مسايرة ركب الحضارة وعجلة الارتقاء .

ومجمــل القول أن التغير الاجتماع يقصد به أنواع التطور التى تحدث تأثيرا فى الــنظام الاجــتماع ، أى التى تؤثر فى بناء المجتمع ووظائفه وعلى ذلك فليس التغير الاجــتماع إلا جــزءا من عملية أكبر وأوسع من عمليات التطور فى المجتمع ، وهى تلك التى يطلق عليها اسم التغير الثقافى ويشمل التغير الثقافى كل تطور أو تحول فى عنصــر من عناصر الثقافة سواء كان ذلك فى الفن أو العلم أو فى التكنولوجيا أو فى الفلســفة أو فى الأدب كما يشمل فوق ذلك كل التغيرات التى تحدث فى أشكال وقواعد

الـنظام الاجتماعـي والتغيـر سمة من سمات الإنسان والمجتمع ، وثمة عوامل عدة تتظافـر لتحدث عملية التغير . ويبدو أن المجتمعات الإنسانية جميعها ، حتى البسيط مـنها ، فى حالة تغير مستمرة ، ولم تقتصر السجلات الاثنوجرافية على تأكيد مظاهر هذا التغير، بل تشير تقارير العديد من الباحثين للقبائل البدائية أيضاً إلى هذه الحقيقة، وسـمة التغير هى صفة أساسية للعلاقة بين الوحدات والعناصر المختلفة التى تتكون منها المجتمعات ، غذ تمتاز هذه العلاقة بالحركة والتغيير ، فيؤثر كل عنصر من هذه العناصـر علـى غيـره بمـا لديه من طاقة وديناميـة كما يتأثر هو بدوره بغيره من العناصر وذلك باستجابته له . ويؤكد جورج لوندبرج أن مفهوم التغير إنما يشير إلى معنى الاختلاف فى أى شىء ممكن ملاحظته فى فترة زمنية محددة .

وبالتالـى يـنعكس تأثيره على المجتمع وأنماطه المختلفة . وإذا كان عدد كبير مـن العلمـاء قد تطرق لمفهوم التغير بهذه الصورة ، فإن مصطلح التغير الاجتماعى يثيـر عدداً من الأفكار ، كالتفاعل والحركة والنمو وغيرها من المفاهيم التى لا صلة وثيقة بالتفاعل الاجتماعى والتغير فى الشخصية ومظاهر التحول فى البناء الاجتماعى أو الأشـكال المتغيرة للنظم الاجتماعية المتباينة ومن خلال هذا المفهوم فسر عدد من العلماء الاجتماعيين " مثل ميريل ومن شابهه " طبيعة التغير الاجتماعى ، على أساس أن التغيـر الاجتماعـى يعبر فى أوضح معانيه عن أن عدداً من الأفراد يشتركون فى مظاهر من الأنشطة تختلف عن تلك التى كانوا هم أنفسهم أو ـ آباؤهم ـ يزاولونها مـن قبل فى وقت ما . وتبدو مظاهر التغير الاجتماعى فى طرق عمل الأفراد ، وفى تـربية الأسرة وتنشئتها لأطفالها وفى سعى الأفراد نحو اتجاه جديد فى الحياة ، كما يـبدو للتغيـر أيضاً دلائل أخرى فى البناء الاجتماعى ، فعندما يأخذ هذا التغير مكانه يشـغل الأفراد مكانات اجتماعية متباينة ، كما يؤدى كل منهم دورا مختلفا عن الآخر خلال فترة من الزمن .

ولقـد نادى علماء الأنثروبولوجيا والاجتماع بنظريات متعددة عن التغير وليس هـنا مجال ذكرها أو مناقشتها إلا أنه من الواضح أن جميع المجتمعات الإنسانية على

السـواء تتميـز بظاهـر فى الاستمرار والتغير . ومن العوامل التى تدعم الاستمرار وسـائل الضـبط الاجتماعى ، وكذلك التعليم الرسمى وغير الرسمى الذى يتميز بنقل الإرث المتـراكم إلـى الأجيال الجديدة . وهناك بعض الظروف العامة التى تؤدى إلى التغيـر الاجتماعى فى العصر الحديث . وتغير عملية الصراع بين الأجيال والتى تبرز فـى المجـتمع من خلال نقل التراث الاجتماعى إلى الأجيال الجديدة عن طريق عملية التطبيع الاجتماعى عاملاً حاسماً أيضاً فى التغير الاجتماعى .

ومـن المعـروف أن عمليـة التطبيع الاجتماعى لا تكون كاملة إلى الحد الذى تعـيش فـيه الأجيال مرة ثانية نفس حياة أسلافهم بنمطها الاجتماعى إذ هناك دائماً بعـض النقد الذى يوجهونه بل الرفض لبعض التقاليد أحياناً ، وهذه صورة أيضاً من صور التغير التى تبدو فيها عملية التجديد واضحة ومستمرة .

دور التربية فى عملية التغير الاجتماعى :

تعـد التـربية واحدة من أهم النظم الاجتماعية ، حيث تمد جميع النظم الأخرى بالقـوى البشرية المختلفة كى تستطيع أن تؤدى دورها ووظيفتها فى الحياة . وعلى كـل يـتفق عـدد لا بأس به من علماء الأنثروبولوجيا والتربية على أهمية استخدام التربية للمساهمة فى عمليات التغير الاجتماعى والثقافى ، علماً بأن التربية يمكن أن تـؤدى إلى تغيرات إجتماعية وثقافية عميقة وواسعة المدى ولكن فى ظل نظم تتمتع بالسلطة المكلفة .

وإذا نظـرنا إلـى تركيب أو بنية النظام الاجتماعى ، نجد أن هناك عناصر عدة يـتكون مـنها . ومـن بين هذه العناصر البشر ، والعنصر المادى ثم عنصر التنظيم والإدارة ، ثـم مجمـوعة المعاييـر والقـيم ، وأخيـراً اهتمامات واتجاهات النظام الاجتماعـى ووظائفه وأهدافه التى يسعى لتخفيفها من خلال تلك العناصر التى تساهم بـدور كبيـر فى عملية تغير المجتمع ومن هنا تبرز لنا حقيقة علاقة النظام التربوى بهـذه الـنظم الموجودة فى كل مجتمع ويظهر لنا هذا فيما تقوم به التربية من خلق

وتنشئة للعنصر البشرى الذى عليه أن يؤدى دوره فى النظم الاجتماعية فى المجتمع. وفى المجتمع الحديث يظهر بوضوح اعتماد العنصر المادى فى كثير من جوانبه على تطبيق النظريات العلمية فى المبانى والمنشئات والأجهزة المختلفة وهو بطريقة مباشرة أو غير مباشرة حصيلة النظام التربوى المتمثل فى معاهده ومؤسساته ومراكز تدريبه المختلفة . أما التنظيم والإدارة فأيضاً يعتمدان فى تأسيسهما على محصلة النظام التعليمى سواء عن طريق المناهج التعليمية المختلفة أو عن طريق التدريب فى أثناء المهنة ، أو معاهد وكليات الإدارة المختلفة ، وأخيراً يرتكز ميثاق النظام الاجتماعى أيضاً وقوانينه على التربية وذلك فى تدعيمه وبنائه وتثقيفه والمحافظة عليه بواسطة ما تقدمه التربية من وسائل الحوار والنقاش والاقتناع والتنشئة عليه واحترامه ، وهذا لا يتم من خلال برامج محددة أو مناهج بعينها وإنما يتم من خلال ما يخطط من برامج ومناهج .

ويبرز لنا هذه الآثار المتبادلة بين التربية والنظم الاجتماعية ، أن الأولى تشتق كل أهدافها من أهداف المجتمع التى هى نتاج أهداف هذه النظم جميعاً . وبذلك تشاركه أو تساهم إسهاماً فعالاً فى إعداد الأجيال المختلفة على فهم أهداف الأدوار المهنية التى يقومون بها فى مجتمعاتهم .

هذه العلاقة لا تقف عند هذا الحد ، بل تتعداها إلى السلوك الاجتماعى وهو جوهر كل نظام اجتماعى . فالتربية مسئولة بقدر كبير عن تكوين السلوك وما يرتبط به من قيم خلقية واجتماعية ذلك أن نوع السلوك وما يقوم عليه من التزام خلقى يمثل الدورة الدموية التى تغذى النظم جميعها .

ويعتقد معظم التربويين أن المدرسة تلى البنية كوسيلة من أهم وسائل التأثير فى مجرى الثقافة من خلال تعديل نماذج الشخصية . إلا أنه لو أراد التربويون الأخذ بهذه النظرة واستخدام المدرسة وسيلة لتحقيق تأثير ملموس ومحسوس فى الثقافة الأم ، يلزم أن يتكون لديهم فكرة واضحة عن العلاقة المتبادلة بين الشخصية والثقافة وهذا أكثر ما يتوفر لعلماء الأنثروبولوجيا حتى الآن . وإذا ما تم لهم ذلك فقد يمكن

للتـربية أن تلعـب دوراً أكثر فعالية وإيجابية ودور المدرسة يصبح هنا بارزاً أنهما كنسـق اجتماعى فرعى " نظام اجتماعى " تحتضن ثقافة المجتمع وتنقلها وتسهم فى تطويرها .

وتسـاهم التربية فى توسيع مجالات المشاركة فى الحياة الاجتماعية وتقيمها ، وهـى مسـئولية هامـة فـى المجتمع الجديد للدول النامية . ولا شك أن المشاركة إحساس بالمصير المشترك والنفع لجميع أفراد المجتمع . وقد تكون المشاركة بالفكر والتوجـيه وإبـداء الرأى ، وقد تكون بالعمل أو بذل الجهد وقد تكون بهما جميعاً . وهـذه المشـاركة من أهم مشكلات التربية فى المجتمع الحديث ولا يمكن للتربية أن تـؤدى دورهـا فى عملية التغير الاجتماعى . على ما تقول مارجريت ميد دون إتمام عملـية الـتفاعل بـين الفـرد من ناحية ، والبيئة الاجتماعية والظروف الاجتماعية والتراث الإنسانى من ناحية أخرى ، فالفرد تحيطه بيئة اجتماعية من شأنها أن تعمل علـى تشـكيله وهى ضرورية ليقوم بدوره فى وسط هذه البيئة والعملية التربوية لا يمكـن لها أن تتم إلا فى ظل مناخ مناسب تهيئه تلك البيئة . ومن هنا وجب أن تتمتع البيـئة الاجتماعـية بقدر كبير من المرونة يتيح لها التعامل مع الجماعات الإنسانية وكمـا تشكل الشخصية ويعاد تشكيلها على الدوام فى مراحل نموها المختلفة . كذلك وجـب أن تشكل البيئة الاجتماعية وأن يعاد تشكيلها دائماً بالمنظمات الاجتماعية التى ترتكز عليها البيئة ، وأن تتصف بالمرونة لكى تقابل مطالب الحياة المختلفة المتجددة وقد نادى كثير من المربيين بأن على التربية أن ترتبط ارتباطاً وثيقاً بالقوى المختلفة التـى تؤثـر فى التغير الاجتماعى وبالحاجات التى تكون وليدة هذا التغير . فالتربية المدرسـية بوسـائلها الفنية الخاصة تقوى المهارات وتذكى روح الابتكار والتجديد . ومـن هـذه الزاوية تعتبر عاملا له وزنه فى عملية التغير الاجتماعى ، ومن هنا بأن المـدارس مطالـبة بإعـداد أعضاء المجتمع للتعامل مع بيئتهم بنجاح من الناحيتين المادية والاجتماعية، وتزويدهم بالمهارات الضرورية للإسهام مع المواطنين الآخرين فى حل المشكلات المعقدة السريعة التغير التى تواجه جماعتهم وشعبهم وعالمهم .

والتـــربية ذات أثر واضح فى عملية الحراك الاجتماعى بدءاً بالشخصية وانتهاء بالمجـــتمع . فهـــى العملية الدينامية التى يتأثر بها الفرد والمجتمع . وفى هذا يعتقد "أيزنشـــتات " أن التعليم يحل كثيراً من مشكلات التكامل ، وهو فى نفس الوقت يعتبر مـــن أهم وسائل الحراك بالنسبة للمجتمعات التقليدية ، إذ ينقلها ، إذا ما اهتمت هذه المجـــتمعات بالتربية إلى مجتمعات حديثة ، ولهذا يكون تخطيط وتوجيه التعليم ونموه يواجه فى تلك المجتمعات بمشكلتين رئيسيتين :

أولاهمـــا : عـــدم التجانس وتنوع النسق التعليمى والافتقار إلى الالتزام الصارم بمـــنهج مدرسى أكاديمى محدد مع عدم إدخال أنواع أخرى من التعليم " تعليم فنى — تجارى — مهنى " وهذا بلا شك يؤدى إلى عدم مرونة فى النظام الاجتماعى العام .

وثانـــيهما : يخـــتص بطبيعة العلاقات المتبادلة بين التوسع فى المجال التعليمى واتجاهات وسرعة التنمية الاجتماعية والاقتصادية . وتتيجة لهذا فكثيراً ما يسود تلك المجتمعات نسقان تعليميان متناقضان : أحدهما نسق تعليمى محافظ ، ويكون موجهاً أساســـاً إلـــى الصـــفوة الـــذين يشكلون عدداً محدوداً من أفراد المجتمع . أما النسق التعليمـــى الثانـــى فـــيؤدى إلـــى التوســـع الكبير فى التعليم الذى يفوق إمكانيات تلك المجتمعات وهذا النسق الأخير يصيبه الكثير من الاضطراب ، وتبدو مشكلته واضحة، إذ الحاجـــة للمـــال لازمة لمثل هذا النسق التعليمى ، وكذلك الحاجة للمعلمين . ناهيك عـــن المشـــكلات التى تنجم عن التوسع فى التعليم خاصة فيما يتعلق بالاهتمام بالكم دون الكـــيف . وتـــبدو آثار التربية فى الرقم الاجتماعى واضحة جداً فى المجتمعات النامية فى الوقت الحاضر . فعلة عدد المثقفين فى تلك المجتمعات " الصفوة " تجعلهم يحصـــلون علـــى امتيازات خاصة وعلى ارتقاء اجتماعى سريع ، هذا من ناحية ومن ناحـــية أخـــرى تعمل التربية على تحسين أوضاع الطبقات الفقيرة من السكان بحيث يظهـــر لنا أقل تفوق فى التعليم لدى بعض أفراد هذه المجتمعات ، يؤدى إلى الارتقاء الاجتماعـــى الواضـــح ، وتتجاوز آثار التربية فى واقع الأمر مجرد الرقى الاجتماعى لتشـــمل ظاهـــرة الحـــراك الاجتماعى بأسرها ، ويعنى هذا التحرك المهنى ز وتيسير

فــرص العمــل للأفــراد ورفع مستوى معيشتهم ، ومن هنا وجب العمل على تحطيم احتكار المعرفة بمعنى أن يصبح التعليم حقاً وملكية عامة لكل فرد بلا استثناء ز وهذا مــا يطلــق علــيه " ديمقــراطية التعـليم " ، من أجل القضاء على الأمية والتخلف الاقتصادى والاجتماعى وغيرها من مقومات التغيير الاجتماعى .

ومــن الواضح أنه كلما تغير المجتمع تكنولوجياً كلما اضطر النظام التربوى إلى مجاراة خطاه فلا يتعين على المدرسة إنتاج أشخاص قادرين على العناية بالآلات التى يعــتمد المجــتمع علــى دورانها وحسب ، بل إن الأهم من هذا أن تمد بقية السكان بالمعــرفة والمهــارات والــثقافة الرفيعة الضرورية للتكيف بالعديد من التغيرات من حــولهم تكيفاً ناجحاً وحل أى مشكلات جديدة تنشأ من التجديدات التكنولوجية الجارية فهــذا ضــرورى إذا كــنا نــريد المحافظة على أنفسنا ، فإذا رأينا كما يقول " ديفيد جوســلين " أن الــتطور والتغيــر المستمرين مرغوبان ، فيجب على المدارس القيام بمســئوليتها الإضافية وهى إعداد أعضاء معينين من المجتمع للقيام بدور أكثر فعالية فــى عملية التغيير وإحداث تغيرات جبرية مستمرة فيما يدرس ، ولو على مستويات تعليمية أساسية إلى حد ما .

ومــن الجديــر بالذكــر أن نذكــر فى الخاتمة أنه يمكن من خلال نظرة تكاملية ووظيفــية للمدرســة والتــربية أن ننتهــى إلى بعض الأسس الهامة التى تعكس أثر التــربية فى عملية التغير الاجتماعى فى البناء الاجتماعى الأوسع للمجتمع فالمدرسة شــبيهة بالمجتمع المحلى ، ومجتمع المدرسة يعتبر بمثابة بيئة اجتماعية لها نظامها وقــواعدها وأهــدافها المبنية على أسس تربوية فنية نابعة من واقع المجتمع ذاته . كمــا أنهــا تعتبر بوتقة لعملية انصهار كل التفاعلات الاجتماعية فى سلوك الطلاب ، وهــى أقرب ما تكون إلى وعاء التقارب الذى يهدف إلى ضبط هذا السلوك والارتقاء بمستوى التفاعل الاجتماعى والتعامل الجماعى داخل وخارج البيئة المدرسية المحلية.

ومعنــى هذا أن دور التربية لا يجب أن يقف عند حد احتواء النظام الاجتماعى الماثــل والحفــاظ علــى هذا النظام فى حالة استمرار ، بل ينبغى أن يكون مداها هو

كيفية قيامها بعملية تحديد وتطوير هذا النظام فى ضوء مطالب وتطلبات قوة التوجيه الاجتماعى والترشيد العلمى والرغبة فى الإصلاح والإنماء والتغيير الاجتماعى .

الفصل السابع

الأمن الثقافى

لقد عرفنا أن الفرد ينشأ فى مجتمع ، وينمو فيه على نحو تتشكل فيه شخصيته الفردية والاجتماعية من خلال تفاعله الاجتماعى فى إطار ثقافة مجتمعه . كما عرفنا أن عملية التنشئة الاجتماعية كعملية تربوية تعنى اكتساب الفرد ثقافة مجتمعه وتشربها والعمل على الإبقاء عليها وتطويرها . ولكننا إذا تأملنا هذه العملية نجدها واحدة فى جميع المجتمعات ، إلا أن الفرد الإنسانى الذى يكون نتاج تلك العملية يختلف من مجتمع لآخر . ونلحظ هذا الاختلاف فى نمط شخصيته وسلوكه ، وفى طريقة تفكيره ، وفى اللغة التى يتكلمها ، إن هذا الاختلاف يبين أفراد المجتمعات الإنسانية يرجع إلى الثقافة التى تشكل العنصر الأساسى فى التنشئة الاجتماعية للأفراد .

معنى الثقافة :

لا نعنى بالثقافة تلك الصفات أو الميول التى تميز الفرد المتعلم عن غيره من أفراد المجتمع . كما لا نعنى بها السلوك الحميد والذوق الرفيع لشخص يحسن التصرف مع الآخرين ، أو ذلك النتاج التعليمى أو التخصصى فى ميدان من ميادين العلم والمعرفة الذى بلغ فيه فرد ما أو مجتمع شأناً عظيما ، فقد اعتاد الناس أن يصفوا فرداً بثقافته العالية ، أو مجتمعاً بثقافته الأدبية أو الفنية ، كالثقافة الإغريقية أو المصرية القديمة مثلاً ، ولكننا نعنى بالثقافة كل عضوى يتمثل فى طريقة الحياة فى المجتمع ، ذلك الكل الذى تتشابك عناصره وتتداخل ، ويؤثر بعضها فى بعض ، ويتغير أو يتطور بتغير الزمان والمكان .

وتختلف تعاريف الثقافة وتتباين مضامينها باختلاف مجالات الدراسة التاريخية والفلسفية والنفسية والاجتماعية والأنثروبولوجية واهتماماتها وهانحن أولاً نعرض لبعض تعاريفها بقصد الوصول إلى مفهوم شامل لها .

فهناك من يؤكد فى تعريفه للثقافة على الإنتاج الفكرى والمعنوى المنبثق من التفاعل الاجتماعى للأفراد والجماعات الذى ينعكس بصورة ما فى بعض العناصر

المادية والعلاقات الاجتماعية ، فيعرفها تايلور E. B. taylor عالم الأنثروبولوجيا الإنجليزى بأنها : " الكل المركب الذى يشتمل على المعرفة والمعتقدات والأخلاق والفنون والقانون والتقاليد والإمكانيات والعادات التى يكتسبها الإنسان كعضو فى مجتمع " .

وهناك من يؤكد على الجوانب الرمزية للثقافة وخاصية انتقالها عبر الأجيال فيعرفها سثرلاند و ود وارد Suther land and Wood ward كما يلى : " الثقافة تشمل أى شىء ينتقل من جيل إلى جيل . إن ثقافة شعب هى تراثه الاجتماعى ، هى كل مركب يشمل القصائد والفن والقيم والقانون وأساليب طهو الطعام وفائدته وطرق الاتصال .

وهناك من يبرز صفتها العقلية فيؤكد على الفكر المكتسب عند الأفراد فى المجتمع والذى يتمثل فى المثل والمعانى العقلية والاجتماعية والنظم والعقائد عند الأفراد . فالثقافة مكتسبة من خلال التفاعل الاجتماعى ومن خلال السيطرة على العناصر الطبيعية . ومن ثم فهى تشتمل على جوانب مادية ، وعلى جوانب معنوية فيعرفها تشارلز إلدود Charles Elwood كما يلى . الثقافة تنتقل اجتماعياً بالاتصال وتتجسد تدريجياً فى تقاليد الجماعة بواسطة اللغة فثقافة الجماعة هى عادات التفكير والعمل المكتسبة من خلال تفاعل أعضاء الجماعة والثقافة تشمل كل قوى الإنسان المكتسبة فى سيطرته على الطبيعة وعلى نفسه . وهكذا تشمل من ناحية كل حضارته المادية كالأدوات والأسلحة والمأكل والملبس والمسكن والآلات . ومن ناحية أخرى كل حضارته عبر المادية أو الروحية كاللغة والأدب والفن والدين والخلق والقانون والحكومة .

ويفرق ميرل وإيلد ريدج Merril and Eldridge فى تحليلهما للثقافة ، بين جوانبها المادية وغير المادية ، ويؤكدان على أن أساسها يوجد فى عقول الأفراد وأفكارهم ، وتشمل الجوانب المادية للثقافة ، المنتجات الإنسانية التى يمكن أن

تخبـرها بالحـواس ، وتشـمل الجوانب غير المادية ، آمال الجماعة وآدابها العامة وقـيمها وتقالـيدها ، والمظاهـر النفسـية التى تظهر فى الحياة الاجتماعية فأساس الـثقافة يـوجد فـى عقـول الأفراد وليس فى مظاهر خارجية فالأفكار هى الأساس الحقيقى للثقافة .

المفهوم الشامل للثقافة :

لقـد وضح فى التعاريف السابقة تأكيد كل منها على جانب معين للثقافة أو على صفة معينة من صفاتها ، كذلك وضح ما بينها من تداخل أو تشابه . لذلك فإننا نجمع بينها فى تعريف متكامل على النحو التالى .

الـثقافة هـى طـريقة الحياة فى المجتمع بجوانبها المادية كالآلات والإنشاءات والأزيـاء وغيـرها ، والمعنوية كاللغة والأدب والفن والدين وغيره ، وهى من صنع الإنسـان فـى سعيه للتكيف مع البيئة الطبيعية والاجتماعية لإشباع حاجاته العضوية والعقلـية والنفسية والاجتماعية والسياسية والاقتصادية والفنية . كما أنها تتمثل فى قـيم الحـياة واتجاهاتها ومعاييرها الحاكمة ، وفى طرق التفكير وأنماط الفكر ، وفى المعتقدات والتوقعات والعلاقات التى تنظم تعامل الناس فى حياتهم وفى أنماط السلوك ومصـطلحاته بين الناس فى المجتمع ونظمه وأجهزته ومؤسساته . والثقافة تتناقلها الأجـيال المتعاقـبة عـن طريق الاتصال والتفاعل الأجتماعى لا عن طريق الاتصال اللغوى والخبرة بشئون الحياة والممارسة لها ، وعن طريق الإشارة والرموز .

فـثقافة الإنسان من صنعه . فهو الذى يسيطر على البيئة الطبيعية ويبحث فى وسـائل استغلالها والتكيف معها لتحقيق مطالبه . إن ذلك يعنى أن الثقافة أمر متصل بالإنسان وليست خارجية عن قوانين المادة والطاقة وإنما هى نتاج النشاط الإنسانى ، وانطلاقـاً من علامة الإنسان بالطبيعة وبالمحيط الذى يعيش فيه ، تنبثق موضوعات النشـاط الاقتصادى وتدق حول محور المنفعة والاستفادة ، كما تتحدد وسائل الإنتاج والاسـتهلاك والاسـتثمار والـتوزيع ، وينبـثق من هذا النشاط الاقتصادى كثير من

العلاقات التى تنظمه والقيم والمعايير التى تحكمه . والأجهزة والمؤسسات التى تحققه ويتم ذلك كله فى إطار الثقافة .

والثقافة هى التى تميز المجتمع الإنسانى بلغته وذكائه وإنتاجه عن المجتمعات الحيوانية ، فلبعض الحيوانات كالنحل والنمل والطيور وغيرها من الكائنات مجتمعات، ولكن ليس لها ثقافة . ذلك أنها تعيش حياتها على أساس سلوكها الفطرى ، وتكوينها الجسمانى المعد من قبل . ومن ثم فهى لا تحتاج عند ولادتها أن تتعلم من الكبار إلا قليلاً ، لأنها تكون قد اكتملت عندها إمكانيات تكيفها مع البيئة التى تعيش فيها ، لذلك تقتصر طفولة الحيوان عن الإنسان .

إن بعض الحيوانات كالقردة تأخذ فوراً من التعلم . إلا أن ذلك يتم عن طريق التقليد والمحاكاة والخبرة المباشرة ، وليس على أساس اكتساب الخبرة عن طريق الاتصال اللغوى أو الاتصال بالإشارة والرموز فتعليم الكبير للصغير يكون بطريقة فردية وفى موقف معين وفى جيل واحد . فتعلم الحيوان يعتمد إذن على الخبرة الفردية ، والمحاولة والخطأ ، ولا يعتمد على تراكم الخبرات وانتقالها .

ويتميز المجتمع الإنسانى بقدرته على انتقاء الخبرة من رصيدها المتراكم عبر الأجيال ، مكوناً بها رأس المال الذى يتعامل به الإنسان فى انتقاله من مرحلة الطفولة إلى مرحلة الرجولة الاجتماعية ، فالإنسان يستطيع عن طريق اللغة أن ينقل أفكاره وخبراته فى المواقف المختلفة إلى غيره ، كما يستطيع أن يعبر عن اتجاهاته ومشاعره إزاء أحداث أو مواقف تعرض لها ، فيعرفها غيره دون أن يتعرض لها ، ويكون فكرة عنها ويحس بعض ما تستلزمه من مشاعر وانفعالات .

وينجم عن تراكم التراث الثقافى سرعة فى عملية التعلم عند الإنسان نتيجة استفادته بخبرات الأجيال السابقة عن طريق المحادثة أو الكتب والاستعانة بالتراث الفكرى القديم . فقد تكون الأفكار والمعانى مسجلة فى الكتب وقد تكون متضمنة فى الحكم والأمثال الشائعة التى يتناقلها الناس وفى الأدب الشعبى والفلكلور . كذلك

بالنســبة لصــناعة الأدوات والآلات التى يحتاج إليها الإنسان فى بناء مسكنه ونسج ملبسه وإعداد غذائه ، وغير ذلك من جوانب الحياة المادية . فالإنسان يعتمد على ما يــوجد مــنها فـــى المجتمع ، وعلى ما يكتسبه من مهارات فنية تتصل باستعمالها ن فيستفيد منها ويطورها من خلال مخترعاته الجديدة ، ولقد ساعد اختراع الطباعة فى تراكم التراث الثقافى من حيث الكم والكيف .

إن المخترعات والصناعات والبناء والكساء وغير ذلك من الإنتاج المادى الذى توصل إليه الإنسان لإشباع حاجاته ، إنما يتحدد استعمالها بالأفكار والاتجاهات والقيم التـــى تتمـــثل فى حياة الناس . ومستواهم الفكرى والاجتماعى والاقتصادى . لذلك لا ينبغـــى فصـــل الجوانب المادية فى الثقافة عن الجوانب المعنوية ، لأن كلاً منها يؤثر فـــى الأخـــرى . كـــذلك تتكامل الثقافة حين يكون هناك توازن بين كل من الإنتاجين المـــادى والمعـــنوى فـــيها . فلا يجوز أن يكون هناك تقدم ملحوظ فى بناء المساكن ورصف الطرق مثلاً بينما يكون هناك تخلف ملحوظ فى التعليم، وارتفاع نسبة الأمية. وقـــد يكثـــر اســـتخدام الآلات الحديـــثة فى مجالات الحياة دون أن يصاحبه تغيير فى العادات والتقاليد والمفاهيم التى تتصل بتقبل الجماعة لها وتنظم حياتها على أساسها. ويرتبط بهذه الحقيقة ظهور مشكلات التغير الثقافى والتوجيه الاجتماعى .

والـــثقافة ـــ كمصـــطلح اجتماعى ـــ تشمل أنماط السلوك الإنسانى ومصطلحاته ومعاييره الحاكمة كما تشمل أنواع العلاقات التى قبلها المجتمع لتنظيم حياته وتحقيق غاياتـــه ، فالأفـــراد لابـــد لهم من تنظيم حياتها تنظيماً وظيفياً ، بمعنى تنظيمهم فى جماعـــات وطوائف وطبقات ينتمى إليها الأفراد ويشعرون بالولاء لها ، فيتقدم البناء الاجتماعـــى ويتماسك . كذلك تشمل الثقافة كمصطلح اجتماعى ، تحديد مكانة الأفراد ونفـــوذهم ، فشـــغل المراكـــز الاجتماعية وممارسة الأدوار المرتبطة بها ، يتم على أساس توقعات المجتمع لوظائفها ، وأثرها فى تماسك المجتمع أو تفككه .

كمـــا تعنـــى الناحية الاجتماعية للفرد أهمية كبرى فى تحديد مكانته ونفوذه فى المجـــتمع . فاستعمال التاكسى فى تنقلات الفرد أوفر له من اقتناء السيارة كرمز من

رمــوز المكانة الاجتماعية . إن كثيراً من مظاهر الترف والإنفاق والاستهلاك المتزايد فــى بعــض المناسبات كالأفراح والمآتم أو التكلف فى الملبس واختيار الزى ، وغير ذلــك مــن أنــواع الســلوك المظهــرى ، إنمــا يرجع إلى الرغبة فى تحديد المكانة الاجتماعــية وتعنــى الناحــية النفســية فــى الثقافة بالقوى المحركة لسلوك الأفراد والجماعــات والعوامل المكونة لعواطف ومثيرات واستجابات معينة لديهم كذلك تعنى بمصــادر الطمأنيــنة النفســية وإشــباع الحاجة للأمن والتقدير بالانتماء للجماعات والهيــئات التــى تعطــى للفرد ثقته بنفسه . إن تشجيع المجتمع لأنواع من السلوك ورفضــه لأنــواع أخــرى ، إنما يكون متمشياً مع الاتجاهات والقيم الهادفة للسعادة النفســية للفــرد وللجماعــة . وكثيراً ما ينفق المجتمع أموالا طائلة فى المهرجانات والمناســبات القومية والأعياد لتأكيد الذات وشحن العواطف نحو أفكار وقيم معينة ، فى جو من الانطلاق والبهجة والتنفيس عن الطاقات المكبوتة وغير الموجهة .

وللقــيم الــروحية فى الثقافة أثر بالغ فى حياة الأفراد . فهى التى تحدد علاقة الإنســان فــى هــذا الكون بالقوة المسيطرة عليه والمحركة له وتحدد القيم الروحية العلاقات بين الإنسان وهذه القوة ، وما يترتب عليها من التزامات وطقوس وعبادات، كــذلك تشــكل القيم الروحية أساساً حاكماً فى تفسير كثير من السلوك وتقويم الأفراد والرضــا عــنهم أو الغضب عليهم ، وهكذا تصبح هذه القيم معيارا هاما فى تصنيف الأفراد ووصفهم فى مراتب ومنازل اجتماعية مرموقة أو غير مرموقة .

كمــا تقــدم القيم الروحية من خلال تصورها للعلاقات بين الفرد والقوة الإلهية تســهيلات فــى حياة المجتمع وعلاقاته ، وتفسيرات جاهزة وأحكاماً أكيدة لكثير من أنــواع الســلوك ، تساعد على ترابط المجتمع وتماسكه ، كذلك تقوم العقيدة الدينية بغرس الطمأنينة الجماعية والأمل فى المستقبل .

ونخلــص من هذا كله إلى أن مفهوم الثقافة يتمثل فى تلك الكل العضوى الذى تتشــابك فــيه عناصره وتتداخل ويؤثر بعضها فى بعض تأثيراً متبادلاً . وإذا جاز لنا تشــبيه تلــك العناصر الثقافية بالخيوط ، فإننا نجد كل هذه الخيوط متجمعة متداخلة

بحــيث تــتكون من سداها ولحمتها نسيج متماسك له لونه وقوامه وملمسه وفوائده التى تنبثق من جميع هذه العناصر ومقوماتها .

المدنية أو الحضارة Civilization :

ويصــل بنا المفهوم الشامل للثقافة Culture إلى توضيح مفهوم " المدنية " أو الحضــارة Civilization يتميــز بعــض العلماء بين الثقافة والحضارة بقدر ما بين الاثنــين من اختلاف كمى فى المحتوى ومن تعقيد فى النمط ، مع عدم اختلافهما فى الــنوع . لا يســتطيع عــالم أنثروبولوجــى حديث أن يعتبر الحضارة Civilization مخــتلفة مــن حــيث النوع عن الثقافة Culture كما لا يستطيع التمييز بين ما هو متحضــر وبين ما هو غير متحضر وذلك يعنى أن كل الحضارات حديثها وقديمها إنما هى حالات خاصة من الثقافة تتميز بمقدار ما تحتويه كما تتميز بنمطها المعقد .

والمدنــية أو الحضارة هى عناصر أساسية فى الثقافة ، أخذت عناية خاصة من الإنســان فقام بالتفكير فيها وبتهذيبها وتحويلها إلى وسائل لتحقيق غايات واضحة . وهــى تشــمل التكنولوجــيا بصــورها المادية والاجتماعية ، فصورها المادية تعنى الأدوات والوســائل المعــدة علميا للسيطرة عل المصادر الطبيعية للنهوض بمستوى الحــياة فــى جوانــبها الماديــة كتطوير الإنتاج الصناعى والزراعى ووسائل الانتقال والاتصــال وصورها الاجتماعية تعنى الاستفادة العلمية فى تنظيم العلاقات الاقتصادية والسياســية والاجتماعــية وأســاليب الإدارة . وعلى هذا الأساس ، فإن المدنية أو الحضــارة بهــذه الســمات تخضع لمعيار الكفاية . إذ نقارن بين مدنية وأخرى على أســاس تقــدم إحــداهما على الأخرى . ويكون ذلك انطلاقا من اهتمامنا بها كوسائل تحقــق غايتــنا وتعمــل على رفاهية حياتنا . لذلك نقول إن المدنية أو الحضارة هى الرقى فى معطيات الثقافة ، ويكون الرقى والتطور أسرع فى الجوانب المادية عنه فى الجــوانب الاجتماعية ، إلا أن الأخيرة تتأثر بالأولى فترقى هى الأخرى ، ويساعد فى ذلك مدى استعداد ثقافة المجتمع .

ويسهل التمييز بين الثقافة وما يسمى بالمدنية أو الحضارة حين نقارن بينهما على أساس التكنولوجي المادى ، في حين يصعب ذلك على أساس التكنولوجي الاجتماعي الذى يعتمد بدرجة كبيرة على الاتجاهات والقيم السائدة في المجتمع . ذلك أن عمليات النهوض الاجتماعي وما تستلزمه من تنظيمات وبرامج وخدمات اجتماعية، إنما تتحدد على أساس الظروف الثقافية للمجتمع . لذلك لا يفضل أخذ تنظيم اجتماعى معين أو برنامج خدمة اجتماعية معين من مجتمع إلى مجتمع آخر ، إلا إذا كانت الثقافة للمجتمع الأخير قد بلغت مستوى واستعداداً يسمح بذلك كما إنه إذا أريد الأخذ بالنظام الديمقراطى فى مجتمع ما ، فإنه يجب على هذا المجتمع أن يكون قد وصل فى مستواه الثقافى حداً يسمح له بتقبل الديموقراطية والأخذ بها كأسلوب وطريقة تفكير .

عموميات الثقافة وخصوصياتها :

لقد ذكر رالف لينتون Ralph Linton فى كتابه " دراسة الإنسان The Study of Main " أن محتوى الثقافة يمكن تقسيمه إلى ثلاثة أقسام هى العموميات والخصوصيات ، والمتغيرات :

١- **العموميات Universals :**

وهى المكونات الثقافية التى يشترك فيها جميع أفراد المجتمع الناضجين وتشمل الأفكار والعادات والتقاليد وأنماط السلوك ومصطلحاته واللغة التى يتكلمها ويكتبها الناس ، وطرق وأنواع التحية لبعضهم البعض ، وأنواع المأكولات والملابس والمنازل ، والأنماط الأساسية للعلاقات الاجتماعية ، ونوع الولاء والطاعة والاحترام والتوقعات السلوكية المتبادلة بين الصغار والكبار ، وبين الرجال والنساء ، والقيم والاتجاهات الحاكمة لسلوكهم واختلاطهم واتصالهم .

وعموميات الثقافة تشكل الأساس العام لها ، الذى يميزها على غيرها من الثقافات . ذلك أنها تؤدى إلى وجود نمط مشترك من القيم والاتجاهات يتميز بها

أفراد ثقافة عن غيرهم فى ثقافة أخرى ، بحيث يتمكن الفرد المتعرف على عموميات ثقافته من تمييز الفرد الذى ينتمى إليها . كذلك تؤدى هذه العموميات إلى وجود اهتمامات مشتركة بين أفراد المجتمع تعمل على تماسك الجماعة ووحدة أهدافها ، كما تعمل على إكسابها الشعور بالانتماء والتضامن والتعاون ، وتجنبها الصراع والتمزق . إن اشتراك أفراد المجتمع فى هذه العموميات ، وبصفة خاصة فى الجوانب الفكرية والأيديولوجية ، هو الأساس في اكتساب الأفراد لروح الجماعة والعمل على بقائها .

وتعنى التربية بعموميات الثقافة عناية بالغة ترجع إلى أهمية دورها فى توحيد المجتمع وتماسكه الاجتماعى ، ذلك أنها تكسب أفراد المجتمع القيم والاتجاهات والمعايير المتشابهة ، فتظهر أنماط شخصياتهم وبينها عوامل كثيرة مشتركة . إن الوظيفة الأساسية للتربية فى المرحلة التعليمية الأولى ـــ مرحلة التعليم المشترك ـــ هى نقل هذا القدر المشترك الذى يتمثل ف المحور الثقافى لعموميات الثقافة . وهو يتضمن المستويات والمعارف التى تعين الأفراد على تمييز الصحيح عن الخطأ ، والخير عن الشر ، والجميل عن القبيح ، والحق من الباطل . كما يتضمن المعارف والمهارات التى تؤدى إلى ضبط وتحسين السلوك العام . وتعينهم على فهم مجتمعهم ومعرفة سماته وجذورها . فاللغة القومية والتربية الوطنية وتاريخ مجتمعهم وجغرافيته وفنونه والعلوم التى تفسر مظاهر الطبيعة التى تحيط بالمجتمع وأفراده ، وغير ذلك مما يشكل المحتوى التعليمى والمضمون التربوى العام الذى يهدف إلى تجميع الأفراد حول محور ثقافى واحد ، كما يهيئ لهم الاشتراك فى الخبرات والاتجاهات والأهداف قبل أن يتفرقوا فى تخصصاتهم المختلفة .

ثم أن هناك حقيقة أخرى تتصل باكتساب العموميات الثقافية ، تلك هى صعوبة دخولها فى المنهاج التعليمى وفى الكيان التربوى داخل المدرسة بل هناك من هذه العموميات ما يكتسبها الأفراد من خلال التفاعل الاجتماعى فى التنشئة الاجتماعية خارج المدرسة .

ونظـراً لأهمية التربية فى نقل هذا القدر المشترك من عموميات الثقافة لأفراد المجـتمع ، فقد أصبح التعليم الإلزامى مجانياً فى غالبية الدول كى يتمكن جميع أفراد المجـتمع الصـغار علـى اخـتلاف مستوياتهم الاقتصادية والاجتماعية من الالتقاء والـتقارب والـتفاعل داخل إطار ثقافة مشتركة . وبذلك تقل المسافة الاجتماعية التى تفصـل بين الطبقات الاجتماعية ، وتتكسر الحواجز وتذوب الفوارق الطبقية ، فيشعر كـل فـرد بعضـويته وانـتمائه للمجـتمع الكبير ، كما يشعر بأن له نفس الحقوق والواجبات التى لغيره فيتدعم الكيان الاجتماعى ويزداد تماسكه .

وإذا تأملـنا دور المـدارس الخاصـة فى المرحلة الأولى نجد أنه يتنافى ودور التربية المشترك . فالمدارس الخاصة بأوضاعها ونظمها واتجاهاتها . إنما تعمل على تأكـيد القـيم والاتجاهات الطبقية من خلال تربيتها الخاصة التى يكتسب فيها التلاميذ أنماطـاً سلوكية خاصة بطبقتهم كذلك كان الحال فى المدارس الأجنبية فى الجمهورية المصـرية قـبل عـام ١٩٥٦ حين كان يدخلها أبناء المصريين ابتداء من المرحلة الأولى . فكانوا يتشربون الثقافة الأجنبية الإنجليزية أو الفرنسية من خلال نموهم فى ذلك الوسط الثقافى الغريب عن ثقافة بلدهم . ذلك الوسط الثقافى الذى يتمثل فى نظام التعليم واتجاهاته ومناهجه ، وفى كل البيئة المدرسية التى يعيش فيها التلميذ ويتكيف معهـا ، فيصـبح فرداً أجنبياً فى لغته واتجاهاته وسلوكه . وهو بهذا يكون قد انعزل فكرياً واجتماعياً عن ثقافة بلده . لذلك كان إخضاع هذه المدارس للإشراف الحكومى، خطـوة ضـرورية لتوحـيد المرحلة التعليمية الأولى لجميع أفراد المجتمع وإكسابهم القدر المشترك من عموميات الثقافة .

٢- الخصوصيات Specialties :

هـى عناصر الثقافة التى يشترك فيها مجموعة معينة من أفراد المجتمع بمعنى أنهـا العناصـر التى تحكم سلوك أفراد معينين دون غيرهم من المجتمع فهى العادات والتقالـيد والأنمـاط السـلوكية المختلفة المتصلة بمناشط اجتماعية حددها المجتمع لفئاته فى تقسيمه للعمل بين الأفراد وتنقسم هذه الخصوصيات إلى قسمين :

أ- خصوصيات مهنية :

وهى التى تستلزم لممارستها خبرات ومهارات فنية ومصطلحات سلوكية خاصة دون اعتبار لأصحاب هذه المهارات من الأفراد . فهى ليست وقفاً عليهم ، بل تسمح بدخول أفراد الفئات الأخرى للعمل فيها. فالعمل الصناعى والزراعى والاشتغال بالطب والمحاماة والتدريس ليس قاصراً على فئة بعينها من الناس . بل هو عمل مسموح به لمن يشاء من أفراد المجتمع فمثلا يتعلم ابن الفلاح ليعمل طبيبا أو محاميا ، وعندئذ يكون قد انتقل إلى نوعية متخصصة أخرى غير التى يعمل فيها والده .

نخلص من ذلك إلى أن فئات الناس فى هذا القسم ليست ثابتة وإلى أن كل نوعية عمل تخصصية تكسب المشتغلين بها نمط شخصيته ومصطلحات سلوكية تختلف عن مثيلاتها فى نوعيات عمل أخرى . وبازدياد العلم وتقدمه ، وتطور الحياة وخاصة فى جانبها الصناعى ، نجد زيادة فى تقسيم العمل وتعمقا فى تخصصاته المتشعبة ومن ثم فإن هذه التخصصات الفنية تزداد ، وتزداد معها خصوصيات الثقافة .

ب- خصوصيات طبقية :

وهى التى توجد بين افراد طبقة اجتماعية معينة . فهناك الطبقة الراقية والطبقة المتوسطة . وطبقة الدهماء ، وكل واحدة من هذه لها قيمها واتجاهاتها ومصطلحات سلوكها وآدابها ومعاييرها الخاصة المنظمة لحياتها ، والمتحكمة فى علاقاتها بغيرها من الطبقات فالاهتمامات الخاصة بالطبقة الراقية مثلا تنعكس فى اختيارها لأساليب وأدوات وأماكن شغل وقت فراغها ، وفى متابعة الموضات فى الأزياء وموديلات السيارات . وفى تفضيل أنواع من المأكولات والمشروبات . والالتزام بمواسيم وشكليات حضور الحفلات والسهرات وغير ذلك مما لا تقدر عليه الطبقات الاجتماعية الأخرى . كذلك فإن أساليب الاستعلاء فى الحديث ، والاستخفاف فى القول تبدو سمة ظاهرة فى تعامل أفراد الطبقة الراقية مع أفراد طبقة الدهماء .

والفرق بين الخصوصيات الطبقية والخصوصيات المهنية إنما يكمن فى إمكانية الدخــول فــى هذه الخصوصيات ومعايشتها . فبينما يكون الدخول فى الخصوصيات المهنــية مــباحاً لجمــيع فــئات المجتمع طالما توفرت لديهم الاستعدادات والرغبات والمــؤهلات العلمــية المناســبة ، نجــد أن ذلــك أمــر عسير بالنسبة للدخول فى الخصوصــيات الطبقــية نظراً لتحكم الصفة الطبقية فى المجتمع وانعدام الديمقراطية الصــحيحة بمعــناها الاقتصادى والاجتماعى والسياسى والعلمى . تلك الديموقراطية التــى تمكــن أفــراد المجــتمع من الحركة الاجتماعية السهلة وصعود درجات السلم الاجتماعى .

إن ذلــك يــتحقق بــتكافؤ الفرصــة التعليمية ن وبإزالة المعوقات الاقتصادية والاجتماعية والسياسية .

إن القضــاء علــى ثنائــية التعلــيم التى تمثلت فى التعليم عن طريق المدارس الابتدائــية وانفــتاح طــريق التعلــيم أمام خريجيها . وعن طريق المدارس الأولية الإلــزامية وانسداد طريق التعليم أمام خريجيها ، إن القضاء على هذه الثنائية . كان عمــلا ديموقــراطياً أتــاح الفرصة للجميع فى التحرك والصعود الاجتماعى بعد إذابة الفوارق الطبقية .

كــذلك عملت الديموقراطية الاشتراكية على إتاحة الفرصة لتخصص أفراد لديهم قــدرات معيــنة فى تخصصات مهنية معينة تتفق مع قدراتهم من ناحية وتسد حاجة المجتمع إليها من ناحية أخرى ، فانتشر التعليم الفنى وزادت عدد المدارس الصناعية والزراعية والتجارية كذلك كثر عدد المعاهد الفنية العالية . وهكذا عمل المجتمع على إكســاب أفراده ، الخصوصيات الثقافية المهنية ليشتغلوا مراكزها فى المجتمع تمشيا مع تقدمه وتطوره التكنولوجى .

وتتسم الخصوصيات الثقافية بنوعيها بأنها ليست قدراً مشتركا بين جميع أفراد المجتمع ، ومع ذلك فإن كل فرد فى المجتمع يعرف عنها بقدر فالناس يعرفون أهمية

الطــب فــى حياتهم ، ويقدرون دور الطبيب ويتفهمون بعض اتجاهاته ومقاصده فى عــلاج مرضــاهم . ولكنهم لا يعرفون دقائق عمله الفنى ولغته العلمية لأنها قاصرة على أفراد مهنته . إننا كثيراً ما نسمع فى هذا الخصوص وما يماثله عبارة " هذا سر المهنة " .

كــذلك يعرف أفراد المجتمع أن هناك " إتيكيتاً " خاصاً بالطبقة الراقية ويعرفون بعــض ســماته . ولكــنهم لا يدركون مدى فعاليته وتأثيره فى أفراد الطبقة الراقية ، فكثيــراً مــا تغضب " سيدة صالون " إذا لم يبادر بطلبها للرقص أحد الرجال فى حفل راقــص يضــم غيــرها من سيدات الصالون لأنها تعتبر ذلك إهانة لها تتمثل فى عدم تقديرها أو الإعجاب بها .

وإذا كــان لأفــراد المهــنة الــواحدة ، ولأفــراد الطــبقة الاجتماعية الواحدة خصوصــياتهم الثقافــية ، فــإنهم إلــى جانــب ذلك يشتركون مع أفراد المجتمع فى عموميات الثقافة .

٣- المتغيرات Alternatives :

هــى العناصــر الثقافــية التى لا تنتمى إلى العموميات ، فلا تكون مشتركة بين جمــيع الأفــراد ، ولا تنتمــى إلى الخصوصيات ، فلا تكون مشتركة بين أفراد مهنة واحــدة أو طبقة اجتماعية واحدة ، ولكنها عناصر تظهر حديثة وتجرب لأول مرة فى ثقافة المجتمع . وهى بذلك يمكن الاختيار من بينها ، وتشمل الأفكار والعادات وأنماط الســلوك وأســاليب العمل وطرق التفكير . كما أنها تتمثل فى أنواع الاستجابات غير المألــوفة بالنســبة للمواقــف المعــروفة . وبمعنى آخر هى تمثل استجابات مختلفة لمواقف متشابهة أو وسائل مختلفة لتحقيق أهداف متشابهة .

مــثال ذلــك ظهــور موضة جديدة فى الملبس لم تكن معرفة من قبل أو ظهور طــريقة لإعداد طعام لم يعرفها الناس من قبل . أو التجديد فى أساليب وأشكال حفلات الــزواج ، أو ظهــور قيم اجتماعية واتجاهات جديدة ف المجتمع نتيجة تغير النظام

الاجتماعى ، حيث نجد احترام العمل وتقديسه ، والحفاظ على الملكية العامة كقيم فى النظام الاشتراكى لم تكن موجودة فى النظام الرأسمالى .

وتتسم هذه المتغيرات أو البديلات الثقافية بالقلق والاضطراب إلى أن تستقر على وضع تتحول فيه إلى الخصوصيات أو إلى العموميات الثقافية . ذلك أنها تمثل العنصر النامى من الثقافة . فهى قد تكون وليدة حاجة أو مشكلة، أو أن تكون مقتبسة من ثقافة مجتمع آخر أو نتيجة اتصال بين ثقافة المجتمع وثقافات أخرى أو نتيجة غزو ثقافى من ثقافة قوية إلى أخرى ضعيفة أو نتيجة إشعاع ثقافى من ثقافة متقدمة إلى أخرى بدائية . وهى بأى من هذه الأوضاع تأتى بقدر بسيط ويمارسها بعض الأفراد إلى أن يكتب لها البقاء فى الخصوصيات أو العموميات أو أن يكتب لها الانزواء والاندثار .

ويتحكم فى مدى بقائها وانتشارها أو اندثارها ، مقدار قيامها بوظائفها بدرجة أكثر دقة وكفاءة من مثيلاتها المنافسة لها التى تقوم مثلاً بهذه الوظائف فى الثقافة ، حيث تصبح جميعها وسائل مختلفة لتحقيق هدف واحد وبمرور الوقت وظهور كفاءتها يزداد الإيمان بها ويشيع استعمالها أو تقل كفاءتها فيقل استعمالها وتأخذ فى الاندثار ، كما هو الحال مثلاً فى استعمال " العربة الحنطور " فى مدينة القاهرة إلى جانب وسائل المواصلات الحديثة أو فى استعمال المحراث البلدى فى بعض القرى إلى جانب الجرار الزراعى .

وانطلاقاً من فهمنا للتكامل بين عناصر الثقافة وترابطها وتكيفها المتبادل ، فإننا نستطيع أن ندرك مدى الاضطراب الذى يحدثه ظهور عناصر المتغيرات فى الثقافة . فدرجة الاضطراب أو الصراع تعتمد على ما تحدثه هذه المتغيرات بكمها ونوعها ، من تغيير فى العلاقات بين العوامل والمكونات الثقافية ، فكلما ازداد عدد المتغيرات . ازداد التغير الثقافى ، وظهرت الحاجة إلى التكامل الثقافى بدلاً من انحلالها ، وكلما كانت المتغيرات متصلة بأساليب كسب العيش وما يتصل بها من اختراعات واكتشافات ، كان التغيير الثقافى شديداً أيضاً .

كــذلك نجد أن المتغيرات المتصلة بالجوانب المادية فى الثقافة يسهل استقرارها نتيجة سرعة تقبلها من أفراد المجتمع نظرا لفعالية وطبقتها وظهور أثرها سريعا .

بينما نجد العكس فى استقرار المتغيرات المتصلة بالجوانب المعنوية فى الثقافة كالقــيم والاتجاهــات الفكرية والخلقية ، والعادات والتقاليد الاجتماعية نظراً لصعوبة تكــيف الأفــراد معها واستبدال العلاقات القائمة فعلاً بعلاقات أخرى . وهكذا نجد أن المتغيرات قد تستقر سريعاً ، أو قد تبقى مترددة حائرة متنافسة ، أو قد تنزوى ليقوم مقامها أخرى تمر بنفس الدور وهكذا . لذلك كانت كثرة المتغيرات فى المجتمع دلالة واضحة على اتجاهه نحو التطور .

ويتمــثل دور التــربية الصحيح في العمل على استقرار المتغيرات الثقافية على أساس كفاءة وظيفتها وانسجامها مع النمط الثقافى للمجتمع . ويكون ذلك عن طريق مســايرة الاتجاهــات التــربوية والمحــتويات التعليمية لروح العصر وتقدمه العلمى والتكنولوجى . إن تهيئة الأذهان فكرياً ، مع غرس اتجاهات البحث والتجريب العلمى والعملــى والفنى لدى التلاميذ يساعدان على تفهم عوامل التغير المادى والمعنوى فى ثقافة المجتمع كما يساعد على سرعة تقبله والتجاوب معه .

إن ذلــك هــو الــدور الفعــال للمدرسة كمؤسسة متخصصة قادرة على انتقاء الخبــرات الصــحيحة والمهارات الفنية السليمة فى التراث الثقافى وقادرة على إجادة اختيار الأفضل من الخبرات النافعة فى المتغيرات الثقافية . لتصل بذلك إلى تزاوج فى الخبرة الثقافية ينهض بثقافة المجتمع ويطور حياته ، ويقلل من حدة الصراع الثقافى فيه .

الفصل السادس

الثقافة والتربية

مقدمة :

يعـد العصـر الحديث عصر المعلومات ، وقد أثر بخصائصه تأثيرا كبيراً على وظائف التربية ، فتغيرت تلك الوظائف من مجرد نقل التراث الثقافى والمحافظة عليه إلـى وظائـف جديدة تمثلت فى قيادة التغيير والتجديد ف المجتمع ، مع التأكيد على نوعـية هـذا التغيـر من خلال الاختيار الذكى لهذا التغيير قبل تطبيقه ، خاصة وأن التغييـر السـريع الذى نشهده فى هذا العصر ما هو إلا مقدمة لتطور أسرع وأشمل تبعاً لتغير كم المعلومات وتبعاً لزيادة معدل التراكم المعلومات فى المستقبل القريب .

والـتجديد التـربوى لم يعد مجرد إدخال بعض المتغيرات الروتينية على نظم وأسـاليب التعليم ، وإنما أصبح ضرورة تقتضيها متغيرات العصر والعلاقات الجديدة فى عالم يتغير بسرعة أكبر من أى زمن مضى .

لهـذا أصـبح من أهداف التربية ، تنمية الفرد على معالجة المشكلات الجديدة واسـتحداث أسـاليب جديـدة لمواجهـتها ، والمشـاركة الفعالة فى حل المشكلات المجتمعية .

الإعلام والثقافة الجماهيرية :

وسـط المتغيـرات العالمية التى تجتاح عالمنا المعاصر ، أصبح التقدم العلمى والتكنولوجى يشكل إحدى الركائز الثابتة فى التقدم الاقتصادى والاجتماعى فى الدول المـتقدمة ، بـل أصـبح الحاضر والمستقبل يعتمد إلى حد كبير على السبق العلمى والتكنولوجـى ، لذلك أصبح من الضرورى الاهتمام بتنمية مواهب أفراد المجتمع إلى أقصـى مـا تؤهله لهم قدراتهم الطبيعية واكتشاف ذوو المواهب المتميزة لرعايتها اجتماعـياً ونفسيا وتعليميا على أسس علمية سليمة . وهو ما دعى الولايات المتحدة الأمـريكية إلـى رفـع شـعار « أمة معرضة للخطر Nation at Risk » ، عندما استشـعرت أن رعايـة المتفوقـين مصدراً من مصادر الخطر ، ومما دعى إلى تبنى المؤسسات التعليمية استراتيجية من أهم ركائزها العمل على إعداد جيل من العلماء .

يكفــل الــتقدم التكنولوجى وتحقيق التنمية الشاملة والتقدم الاجتماعى ورفع مستوى المعيشة ، فالعلم والديموقراطية لا ينفصل أحدهما عن الثانى ، وكلاهما يحرك الآخر، فالديمقراطية تحرك العلم والعلم يحرك الديمقراطية .

ومــن ثــم حظيت عمليات إصلاح المدرسة باهتمام كبير فى معظم دول العالم وحظيت الجودة بجانب كبير من هذا الاهتمام ، ففى الولايات المتحدة الأمريكية تزايد الاهتمام من قبل المؤسسات الصناعية والخدمية وجماعات رجال الأعمال Business Group مــثل زيروكس Xerox ، IBM ومتورولا Motorola بزيادة جودة التعليم فــى المــدارس ، وذلك باعتبار أن الوظائف أو الأعمال أصبحت أكثر إلحاحا وتعقيدا بيــنما منــتجات المدرسة School Product (الطلاب) أقل أعداداً وتأهيلاً ، فصدر الإعلان السابق عبر كل وسائل الإعلام والاتصال على الشعب الأمريكى .

فمــن الواضــح أن إصــلاح التعلــيم أو تجويده يتطلب مشاركة الجماهير فى مناقشــة هــذا الــتجديد أو الإصلاح ، وذلك عن طريق المؤتمرات العلمية والندوات والمحاضــرات وتأليف اللجان ووسائل الإعلام والاتصال المختلفة واستغلال خصائص الإعلام الحديث فى هذا الجانب .

حــيث لابد أن يتم فهم متطلبات الرأى العام من التجديد التربوى ، اذ أن دعم الرأى العام لهذا التجديد أمر ضرورى لنجاحه . ومن ثم فإن هناك أهمية للإعلام فى أى خطــة تعليمــية أو تجديد تربوى ، حيث يعد الدعامة الأساسية التى تقوم بتجميع المعلــومات الواقعــية عــن الواقع الفعلى لمجال التطبيق التجديدى أو المستحدثات التربوية مما يعطى معلومات ذات أهمية لمتخذى القرار التربوى .

وعلــى جانــب آخر توجد الثقافة الجماهيرية . التى تمثل عناصر الثقافة التى تــنمو فــى مجتمع غير متجانس كنتيجة للتعرض لوسائل الاتصال الجماهيرية والتى تعتبــر جزء من عملية التوحيد المشترك للقيم والاتجاهات الثقافية بين أعداد السكان فــى الــوحدات الاجتماعية القومية . كما أنها الثقافة التى تميز المجتمع الجماهيرى

الذى يصاحب المدنية الحضرية والصناعية الحديثة . ويتخذ وصف الثقافة الجماهيرية وتفسيرها صور متعددة ، ولكن المهم الجماهير التى تستهلك وتستمتع بثقافة تختلف اختلافا جوهريا عن الثقافة التى كانت محل استمتاع (فى الحاضر والمستقبل) الصفوة فى البناء الاجتماعى ، والاختلاف هنا يمتد إلى المضمون والكيف معا لأن عناصر « موضوعات » الثقافة الجماهيرية تنتقل وتنتشر من خلال وسائل الاتصال الجماهيرية الحديثة ، كما أنها تتأثر فى جوانب هامة منها بالقدرة على تسويقها وكذلك حجم السوق الذى يستهلكها ويستمتع بها .

فالثقافة الجماهيرية كرسالة هى سمة العصر ، تكتسب طابعها الجماهيرى عندما تشع ثقافة قومية شاملة بين المواطنين جميعا تتمثل فى الوحدة الوجدانية والفكرية للجماهير فتحقق إنسانية الإنسان ، أى تحقق تحريره وتنويره وتطويره ، فهى الوسيلة لجعل التطور الفكرى والوجدانى لجماهير الشعب مسايرا للتطور المادى الذى تستحدثه الثورة العلمية .

الإعلام ، الثقافة ، التربية :

إن بناء الإنسان فى أى مجتمع من المجتمعات وإن كان وظيفة معاصرة ، إلا أن هناك روافد عديدة تشاركه فى عملية البناء هذه، والتى تبدأ من السرة وما يتلقاه الطفل من قيم وسلوك ، وبالميراث الحضارى للأمة التى ينتمى إليها الفرد، وبالتربية التى تقدم له نمطاً من التعليم والسلوك ، ثم حركة المجتمع الثقافية وأهمها تأثيراً هو الدين والتنظيمات السياسية القائمة فى المجتمع ، ولكن نظراً للتأثير اليومى والحركة المتجددة والصوت الأعلى لوسائل الإعلام فى حياتنا المعاصرة ، والتى تحمل وسائل الإعلام والاتصال مسئولية بناء الإنسان العصرى فى المجتمعات الحديثة .

ومن ثم يمكن رصد مجموعة من الوظائف للإعلام المعاصر فيما يلى :

١- وظيفة الخدمات العامة : والتى تتمثل فى النشرات الجوية وأحوال الطقس ومواقيت الصلاة ، والاستشارات القانونية والطبية والتعاون .

٢- وظيفة إخبارية : حيث يمثل الخبر العمود الفقرى فى الخدمة الإعلامية ، وبدون الأخبار لا نستطيع أن نفهم ما يجرى من حولنا فى عالمنا المعاصر .

٣- وظيفة تسويقية : لم يعد خافياً على أحد أهمية هذه الوظيفة للبائع والمنتج وهم أطراف السوق .

٤- وظيفة تربوية : حيث تقوم وسائل الإعلام بدور تعليمى وتثقيفى مباشر عن طريق البرامج التعليمية ، أما الدور التربوى الرئيسى والمستمر لوسائل الإعلام فيتمثل فى أنها تمثل جامعة للذين تركوا الدراسة وأن التعليم فيها مستمر طوال الحياة ، وأصبح رجال الإعلام فى المجتمع يقومون بدور المعلم فى المدرسة وبالتالى تتمثل الوظيفة التربوية لوسائل الإعلام بالمعنى الشامل لمفهوم التربية .

لقد أصبحت وسائل الإعلام والاتصال تقوم بالدور التربوى من تعليم وتهذيب وحماية للتراث الثقافى للأمة ونقله من جيل إلى جيل ، وساعدت العملية الإعلامية فى ذاتها على تحقيق ذلك .

ومن ثم تقوم وسائل الإعلام بدور الرقيب الاجتماعى ، ورغم اختلاف وسائل الإعلام عن وسائل التربية فإن هناك تقارباً فى معظم الوجوه بين أهداف التربية وأهداف الإعلام .

٥- وظيفة التثقيف : وهى وظيفة تقوم بها جميع وسائل الإعلام حيث تعبر الثقافة عن الفكر الإنسانى وتنمية هذا الفكر بمختلف الوسائل المتاحة فى المجتمع .

وبالتالى أصبح من الضرورى الجمع بين الإعلام والتربية والثقافة والتنسيق والتكامل بين مؤسسات كل منهم لتحقيق الأهداف التى من أجلها أوجد المجتمع هذه المؤسسات ، ويؤكد على ذلك مجموعة من الاعتبارات هى :

١- أن التعليم والإعلام فى الأصل عملية تفاهم واتصال .

٢- يهدف التعليم الإعلامى إلى :

أ- مساعدة الفرد على التكيف مع ظروف الحياة .

ب- تغيير سلوك الأفراد .

ج- تحقيق وظيفة رئيسية لهما وهى التربية الثقافية وتنشئة المواطنين لشتى مجالات الحياة فى المجتمع .

٣- للإعلام قيم تربوية وتأثير فى التكوين الفكرى للأفراد .

٤- أن الاتصال الشامل فى المجتمع الحديث يولد الانطباع بأن الوصول إلى المعرفة أصبح الآن ميسورا وأن من السهل القضاء على العوائق الاجتماعية التى تحول دون الوصول إلى هذه المعرفة .

٥- من مظاهر الترابط بين الاتصال والتربية ، التدريب على حسن استخدام الاتصال ويجعل نظام التربية قادرا على تحرير المعرفة من سيطرة بعض الأفراد أو الهيئات أو المجتمعات وتبرير اختيارات الأفراد لمختلف طرق الاتصال .

٦- أن للإعلام دور فعال فى التربية البيئية بين جمهور المتلقين مع الأخذ فى الاعتبار وضوح المشكلات البيئية فى أذهان المخططين والمنفذين للبرامج من حيث مضامينها التربوية (العلمية والاجتماعية والاقتصادية ، محليا وعالميا) .

وفى مجال استخدام التكنولوجيات الجديدة للمعلومات فى التربية ـ عقد مؤتمر دولى بمقر اليونسكو بباريس فى الفترة بين ١٢ ـ ٢١ أبريل ١٩٨٩ تحت عنوان التربية والمعلوماتية ـ نحو تعزيز التعاون الدولى حضره (٤٠٠) فردا ممثلين (٩٣٠) بلداً و (٢٩) منظمة ، وأسفرت عن :

١- القناعة الوطيدة بأن المعلوماتية مدعوة لاحتلال مكان دائم لها فى إعداد الأدوات القادرة على تحسين الفاعلية الداخلية والخارجية للنظم التربوية مع

الإدراك العميق مما قد ينطوى عليه إدخال التكنولوجيا الجديدة للمعلومات فى التربية من خطر تعميق حالت التفاوت فى هذا المجال داخل البلدان وفيما بينها ما لم نبادر بتبنى تدابير كفيلة بتدارك واقع الحال على المستويين الوطنى والدولى .

٢- توجيه الانتباه نحو الدور المهم الذى تلعبه التكنولوجيا الجديدة للمعلومات فى التنمية الاجتماعية والاقتصادية والثقافية المتاحة لعامة الشعب .

٣- الإقرار بتعددية الأدوار التى تلعبها التكنولوجيا الجديدة للمعلومات لا على أنها أداة تعليمية فحسب ، بل بوصفها أيضاً نهجاً وثقافة جديدين يتيحان حواراً محسوساً فى إطار التعليم والتعلم وإدارة المعلومات والتنمية المسرعة للمجتمع .

٤- إعلان اتفاق مشترك عن الالتزام بإجراء حصر لمجالات التعليم التى تكون فيها التكنولوجيا الجديدة للمعلومات أقدر على زيادة عائد التعليم وتأويج ثمراته .

٥- تشجيع التدفق الدولى للمعلومات بواسطة شبكات إلكترونية دولية ووسائل اتصال أخرى .

٦- يمكن تعزيز التعاون الدولى باستخدام هذه التكنولوجيا عن طريق :

أ- صيانة الذاتيات والثقافات واللغات القومية .

ب- تبادل المعلومات فى إطار اجتماعات وندوات ودروس وزيارات ومؤتمرات وغيرها من وسائل الاتصال .

ج- القيام بمشروعات وأعمال بحث مشتركة ترمى إلى تحديد استراتيجيات لاستعمال التكنولوجيات الجديدة فى التربية مع إجراء الدراسات الضرورية لكشف وتطوير الوسائل الكفيلة بتأمين قابلية النقل والتكامل وقابلية التركيب والمواءمة للبرمجيات والمعدات والنظم وشبكات الاتصال الإلكترونية المستعملة فى التربية .

الأمن الثقافى القومى :

إذا كان الأمر كذلك ، فالملاحظات الظاهرية تؤكد أن هناك خطراً يهدد الثقافات الوطنـيـة . حيث دقت أوروبا ناقوس الخطر من الغزو الثقافى الأمريكى . فما أحرانا نحن بلاد العالم النامى أن نحمى هويتنا الثقافية ، بالتأكيد على الجوانب الأصولية فى المـناهج التعليمية وزيادة جرعاتها باختلاف المراحل العمرية كنوع من أنواع الأمن الثقافـى القومـى ، ولكـى تتحقق المواجهة ينبغى أن تتعاون أجهزة الإعلام بالدول العـربية لوضـع اسـتراتيجية عربية إعلامية إسلامية ، والتعاون فى إنتاج برامج إعلامية جذابة وبثها عبر القنوات الفضائية .

إن قضـية الاستيعاب الثقافى للتكنولوجيا الحديثة وتأثيرها على الثقافة تحتاج إلى دراسات كيفية على المدى الطويل ، للتوصل إلى فهم قريب عن تأثيرها فى القيم والمعايير والقوانين ، والأخلاق فى المجتمعات المختلفة . وهى عملية صعبة للغاية . وذلك لتشابك عناصرها وتداخلها مع الكثير من فروع العلم وأيضا للطبيعة الديناميكية للنظم الاجتماعية والثقافات المحلية .

الديمقراطية وتربية الإنسان بين النزعتين الفردية والجماعية :

إن الديمقـراطية هـى الإطـار الطبيعى لممارسة حقوق الإنسان ، لا الإنسان المجـرد الفرد فحسب ، بل الإنسان المتضامن المنصهر فى الواقع الاجتماعى والعمل اليومـى ، وبهـذا المعنى فإن التربية من أجل الديمقراطية تشمل أهداف التربية فى مجـال الإنسان مع التركيز ت فضلا عن ذلك – على تعلمه سلوكيات التعايش والعمل المشترك بين الأفراد وبين الجماعات وبين الدول .

وممـا يميـز سـلوك الـتعايش الديمقراطى على المستوى المحلى والوطنى والدولى ما يلى : –

١ – الاعتـراف بالآخرين كأفراد : أى عدم الاكتفاء بإبداء ذلك النوع من التسامح المتعالـى إزاء الآخـرين (أفـراد وجماعـات ومعتقدات وثقافات) الذى يشبه

اللامــبالاة ، بــل الاعتراف بدلاً عن ذلك بتساوى الجميع فى الكرامة وبشرعية الآراء التــى لا نعتنقها ، فالتسامح الفعال يفترض بذل جهد لمعرفة الآخر وفهم اختلافه واحترام هذا الاختلاف .

٢- الانفتاح : وذلك بتوسيع نطاق اهتمامات الإنسان إلى ما وراء محيطه المباشر ، الأسرة ، الحى ، المجتمع المحلى ، وتفهم كل فرد ما يمس بلده أو العالم إجمالاً، يمس أيضاً الحياة الشخصية لكل إنسان .

٣- الإرادة : القــدرة فــيما يتعلق بالمشاركة النشيطة والواعية والمسئولة فى حياة مجــتمع يدرك فى ظل الأفراد والجماعات على حد سواء أنهم يمتلكون جزءاً من الســيادة . هــذا بجانــب قدرة الفرد على أن تكون له انتماءات متعددة يختارها بحــرية ، وذلك دون اعتبار أن قاعدة الأغلبية تسمح بإنكار مصالح الأقليات أو علــى نقيض ذلك ، إن تأكيد الذاتيات الخاصة ينبغى أن يعلو على أوجه التضامن الجماعى أو التطلعات المشتركة .

ولكــن كــيف يمكــن أن تــتحقق هذه المتطلبات ، على الرغم من الاختلافات الاقتصــادية والاجتماعية والثقافية ، حيث يستند كل مواطن إلى نزعة ذات شقين أو إلى نزعتين ، أى إلى الانتماء إلى الجماعة أو الذاتية الفردية .

فالكائــنات الحــية تتــباين فــيما بيــنها بميلها نحو السلوك ف الجماعات ، فــثمة كائــنات حــية يــتعاون أفــرادها لأداء الوظائف وتكاد تكون متطابقة ، وذلك بفضــل التشــابه والــتطابق الشــديدين فــى تكويــنها ومقوماتها مما يدفع أفرادها إلــى انــتهاج نفــس النشــاط فــإذا مــا لاحظنا واحداً منها فيما ينحو ويتطلع إليه فإنــك تلاحــظ وتــراقب جمــيع أفــراد الجماعــة ، فالكل منها والواحد منها يمثل الكل .

وحــيث أن الإنســان يمــثل قمة التطور فى كل شىء ، فهو ذروة التطور فى جانــبه الفردى وكذلك جانبه الاجتماعى ، ومن هنا فإن الإنسان شديد الفردية وقابل

للجماعية فى نفس الوقت ن فبقدر إحساسه الشديد بنفسه ككائن حى فردى قائم بذاته بقدر إحساسه بالمجموعة التى ينتمى إليها .

وثمة فرق واحد بين شيئين هما إمكانية التحقق والتحقق بالفعل أو بين القوة والفعل ، وكما قال أرسطو فالبذرة شجرة بالقوة والشجرة شجرة بالفعل ، الخشب نار مشتعلة بالقوة والخشب المشتعل بالفعل ، وعلى نفس النحو نستطيع أن نقول أن التربية يمكن أن تكون علما بالقوة وأن تكون علما بالفعل تجاه الأزمة النزعية الفردية والنزعة الجماعية ، وهو ما تسع لاستقرائه هذه الدراسة النظرية الفلسفية .

وهنا نتساءل :

- هل تربية الإنسان تنحو إلى النزعة الفردية أم النزعة الجماعية ؟
- وما حدود الأزمة بين النزعتين ؟
- وما السبيل للخروج من الأزمة ؟
- وما واقع المدرسة المصرية للخروج من الأزمة ؟

أولاً : الأزمة بين النزعتين :

(١) التربية والأزمة بين النزعتين :

التربية والإنسان شيئان متلازمان . فوجود الإنسان هو وجود للتربية بمعنى أنه لا وجود للتربية من غير وجود ذلك الانسان ، عن طريق التربية يمكن أن يزداد تحقيق عملية التربية أو علمية التربية فالإنسان بما هو كائن عليه الآن هل استطاعت التربية أن تصنع منه هدفا لتحقيق أمانى لرفعة هذا الفرد الإنسان أم لا ؟ أو نجد الإنسان عن طريق التربية إنسانا فرديا أو إنساناً جماعيا ؟ أى إنسان ينتمى إلى الفردية أو ينتمى إلى الجماعية .

وما نريد تأكيده هنا أن القائمين عل التربية (المربين) لا يستطيعون زرع شىء فى الإنسان ما لم تتوافر لديه الاستعدادات لهذا الشىء ، وكأن التربية هى

مجـرد إخـراج مـا فى طيات هذا الإنسان إلى حيز الوجود ، وحتى على المستوى البيولوجـى ، فإن علماء الوراثة يقولون أن كل ما يظهر لدى الإنسان من خصائص جسمية فى أى مرحلة من مراحل النمو ، إنما يكون له إرثات فى المقومات الوراثية لدى الفرد التى تظهر لديه تلك الخصائص .

وعلى نفس النحو فإن النزعتين الفردية والجماعية لا تخلقان خلقاً تحت تأثير الضـغوط الاجتماعـية المحـيطة به فى بيئة ، وإنما هى استعدادات قائمة فى داخل الإنسـان ولا تكـون مهمـة المؤثـرات البيئية والتربوية إلا العمل على إخراج تلك الاستعدادات من حيز الواقع ، وبقدر توافر المؤثرات البيئية المناسبة لكل من الفردية والجماعية بقدر ما يتسنى تلبس الفرد بالفردية والجماعية فى حياته وعلاقاته .

ونزيد على ما سبق ذكره بأن الأفراد ــ وحتى الشعوب ــ تتباين فيما بينها من حـيث الاسـتعدادات المـوروثة فـى جملـتها من حيث انتمائها إلى كل من الفردية والجماعـية، فـثمة أفراد وأيضاً ثمة شعوب ، أكثر ميلاً بالفطرة إلى الفردية من أفراد شـعوب أخـرى ، وعلـى العكـس فإن هناك أفراداً وشعوباً أكثر ميلاً بالفطرة إلى الجماعية .

إذن مـا هو موقف التربية من فطرة هذه الشعوب ؟ ولكن ينبغى ألا ننسى فى نفـس الوقت ما للعلاقات الاجتماعية السائدة والظروف الحضارية واحتكاك الشعوب بعضـها بـبعض ووسائل الاتصال الحديثة السائدة وتأثير التعليم والإعلام فى كل من هاتين النزعتين الفردية والجماعية .

ولا ننسـى أيضـاً تأثيـر الفلسفة التى يأخذ بها المجتمع نفسه والقيم الدينية السائدة به ، وما يؤثر فى التأكيد على أحد هذين الاتجاهين أو عليهما معا مما يكون لـه بالـغ الأثر فى إخراج الكثير أو القليل من الاستعدادات المورثة إلى ساحة الواقع الاجتماع .

فكـل مجتمع فلسفة معينة ينتهجها لتأكيد الفردية والجماعية أو الاثنين معاً ، فهـناك الفلسـفات المثالـية والواقعية البراجماتية ، ولكل فلسفة من هذه الفلسفات تأكيدات معينة على دراسة الإنسان من حيث فرديته وجماعيته .

والاتجاهـات السياسية هى الأخرى لها تأثير فى تعضيد أحد هذين الاتجاهين ، بـل نقـول أنـه فـى ظـل أحد الأنظمة السياسية فإن الفردية والجماعية مرتبطان بالديمقـراطية والديكتاتورية ، فالديمقراطية تنحو إلى النزعة الفردية وقيمة الفرد ، والديكـتاتورية تشـجع الجماعـية . بـيد أنـنا نستطيع القول أيضاً أن الديمقراطية ديمقراطيات والديكتاتورية ديكتاتوريات .

وبعض نظم الحكم الديمقراطية أكثر تشجيعاً من نظم ديمقراطية أخرى ، ومن جهـة أخـرى فـإن بعـض نظم حكم الديكتاتورية أكثر ميلاً إلى الجماعية من نظم ديكـتاتورية أخـرى ، على أننا نستطيع القول بأن الديمقراطية فى أوجها ترجح كفة الفـرد علـى الجماعة لدرجة أنها تحارب تدخل المجتمع فى الشئون الفردية وتشجع الأفـراد على أن يتخففوا من الضغوط الاجتماعية بقدر الإمكان ، أو من جهة مقابلة فإنـنا نجد أن الديكتاتورية فى أشد حالاتها تنحاز تماماً إلى المجتمع وتجعل له قواماً مقدسـاً يفوق تماماً قوام الأفراد بل أنها تطحن الأفراد وتحضهم وتحملهم على نقص شخصـية المجتمع . وهذا وهم يدعونه ، أنهم ينحازون إلى « الحزب » أو الحاكم ، وفرق بين هذا وذاك وبين المجتمع .

وتأكـيداً لفكـر فرويد وتعبيراً عن رأيه فإن الديكتاتورية تشجع النحن وتعمل علـى محـق الأنا فى شخصية الفرد ، على عكس الديمقراطية التى تعمد إلى تشجيع الأنـا وتمحـق النحن فى الكيان النفسى للفرد ، وهاتان السياستان هما ما نراه على الصـعيد العالمـى . مهمـا كانت اتجاهات الفكر فـى أى من دول العالم المتقدم أو النامـى . وإن كان هناك ما يؤكد وجود النزعة الفردية والجماعية معاً . إذن ما نوع التربية المناسب للوصول إلى الحل الوسط ؟

ونجد فى مجال التربية نفسه المتحمسين للفردية ويقولون أن مراعاة الفروق الفـردية بـين التلامـيذ واجـب وفرض على العملية التعليمية أن تراعيه ، بل أنهم يجعلون التربية بمثابة توفير مثيرات بيئية منتقاه وغزيرة بحيث لا يكون يعن فرضها على الأطفال ولا تكون مهمة المربى هى قسر الطفل على أن يتطبع بطابع معين معد من قبل ، بل توفر فرص التفاعل المستمر حتى يخرج ما هو بالقوة إلى حيز الفعل ، وحتـى تتوافـر للطفل فرص تحقيق ذاتيته بما يتراكم فيها من استعدادات موروثة . وعلـى نقـيض ذلـك نجد أن التربية تتحيز للجماعية وقد أخذت بالأحذية التى تقوم بصـب جمـيع التلاميذ الواقعين فى مرحلة عمرية واحدة أو الذين ينتمون فى صف دراسى واحد فى قالب واحد أعد لهم من قبل .

ومجـال التـربية يعطيـنا نوعـين من التربية لما سبق ذكره عن الاتجاهين السـابقين ، هـنا التربية الميكانيكية والتربية الديناميكية . والنوع الأول من التربية يعمـد إلى تحريك الطفل من الخارج وطبعه بما يريد الكبار من مثل وقيم ومعايير أو قـوالب مجهـزة من قبل يريدونه أن يصب فيها نفسه ويصوغ وفقها سلوكه ، وهذا الـنوع مـن يميل إلى الجماعية . والنوع الثانى من التربية وهى التربية الديناميكية تسـتهدف تحـريك الطفـل من الداخل وليس من الخارج ، والواقع أن هذا يمكن أن يفسـر بطريقة أخرى بأن التربية الميكانيكية تربية تحمل الطفل على أن يكون سلبياً متقـبلاً لما يقدم إليه من مقومات خبرية ، كما يمكن تفسير التربية الديناميكية بأنها تربية تشجع إيجابية الطفل وتحمله على المشاركة بإيجابية فى كل المناشط التى يراد الانخراط فيها .

والـواجب علـى التربية أن تحقق توازناً بين النزعتين الفردية والجماعية ، فالـتكامل النفسـى والتوافق الاجتماعى لا يمكن أن تتحققا بالشخصية إلا إذا توافرت لهـا النـزعتان الفـردية والجماعية معاً ، وبالقدر المناسب فى المواقف والظروف المتبايـنة علـى أنـه من واجب التربية أن تضع فى حسبانها ما توفر لكل طفل من

اســتعدادات فردية وجماعية . وأن تقدم إليه المؤثرات التربوية المناسبة لاستعداداته الفطــرية . والخطــأ كــل الخطأ أن نطلب من طفل ما نشاطا ليس لديه رصيد فطرى للــنهوض بــه وممارســته والخطــأ أن نهمل إمكانية فطرية عند الطفل وأن نوجه اهتمامــنا لمــا ليس عنده . فما ليس موجوداً لدى الطفل لا نطلبه وما هو موجود لا نهمله .

وعلــى هذا فإن المسئولين عن تربية الطفل يجب أن يعمدوا إلى متابعة الطفل والوقــوف علــى حقيقــته ، وحقيقة الطفل معناها المعرفة بإمكاناته فى كل مرحلة عمــرية وبلــوغ نوع التربية المناسب هل تربية ميكانيكية أم تربية ديناميكية ؟ فكل مــرحلة عمــرية لهــا الفردية والجماعية فى نفس الوقت ، ولكن تغلب إحداها على الأخــرى ويكــون هنا الدور للتربية والعملية التربوية التى تقدم للطفل لعمل التوازن بين هاتين النزعتين .

ولــو أن كل طفل نال التربية التى تتناسب وإمكاناته واستعداداته إذن لاستطاع أن يــتفوق وأن يثــبت وجوده سواء بالمبادرات الفردية وشق طرق جديدة لم يسبقه أحــد إلــيها ، أم عــن طــريق العلاقــات الاجتماعية واتخاذ موقعا ممتازاً فى نطاق المجموعات التى يلتحق بها وينجح بشكل منقطع النظير فى تحقيق التواؤم بينه وبين الجماعة التى يلتحق بها أو يصير عضوا فيها .

(٢) المدرسة والأزمة بين النزعتين :

والســؤال هــنا هل للجماعة التى يلتحق بها الطفل فعلاً توائمه ــ أم أنه نظام معمــول بــه يدخله التمييز دون أن يحدد نوع الجماعة التى يتلاءم ويتواءم معها ؟ والمدرســة علــى أيــة حــال هى التى تحدد نوع الجماعة التى ينبت فيها الطفل ــ المدرســة بجمــيع أشكالها ومراحلها ــ وعليها أن توفر الفرص والمثيرات الخصبة والمناشط التى تحقق الفردية من جهة والجماعية من جهة أخرى ــ فهل هذا يتحقق أم لا ؟

وواقــع مدارســنا أنهــا لا تتعرف ما تقوم به ، فلا هى توفر الفرص الفردية للبزوغ والظهور والتبلور ، ولا هى توفر الفرص للجماعية لكى تتبدى ولكى يتقمص الطفــل شخصــيته الجماعــية . فنظامنا المدرسى يعمد إلى رصد التلاميذ فى فصول بحــيث يحــتل كل تلميذ مكانا على مقعد حيث يجاوره تلاميذ آخرون . كما أنه نظاما يحــول فــى نفس الوقت دون إقامة علاقات ديناميكية منظمة بين كل تلميذ والتلاميذ الآخــرون الموجــودين بالفصل الواحد ، فعلى كل تلميذ أن يقاطع جميع الزملاء فى فصله وأن يلتفت لشرح المدرس أثناء الحصة .

وأكثــر مــن هــذا فليس هناك عمل دراسى مشترك يضطلع به أكثر من تلميذ واحد فى وقت واحد ، فكل تلميذ يعمل وحده . بل أن الكراهية تمتد إلى قلوب التلاميذ بعضهم ببعض ، وذلك لأن تفوق الواحد منهم معناه الطعن فى قدرة الآخرين والحكم علــيهم بأنهم متخلفون بالنسبة للطفل والتلميذ المتفوق ، ومن جهة أخرى فإن هذه النــزعة الأنانية يحكمها إطار جماعى على جميع التلاميذ والمدرس نفسه أن يصبوا أنفســهم فــيها ، ونعن بهذا المنهج أو المقرر المتمثل فى الكتاب المدرسى والذى لا يعطى أية فرصة للفردية الابتكارية .

وحتــى أولــئك التلامــيذ الذين يحصلون على معلومات خارجية يقرؤونها فى المجــلات والكتب والقصص لا يستطيعون الإفادة منها فى الامتحانات أو فى المناشط الدراســية المتباينة . ذلك لأن تقييم التلاميذ مرهون بما يتواجد بالكتاب المقرر بغير زيــادة . فالــزيادة التــى يــوردها التلميذ على ما ورد بالكتاب المقرر بغير زيادة . فالزيادة التى يوردها التلميذ على ما ورد بالكتاب المقرر لا تحسب له ولا تضيف إليه شــرفاً ، أما النقص عنا ورد به يحاسب عليه وينتقص من درجاته ، ولا اعتبار لما يمكــن أن يمــتاز بــه طفل عن طفل آخر فيما يتعلق بتنظيم كراس الإجابة أو تنظيم الأفكــار أو الــتأنق فى الكتابة أو اختفاء روح الفن على ما يقوم بكتابته ، المهم هو الالتزام بالإطار الذى يصب فيه التلاميذ جميعاً وهو المنهج والكتاب .

والمعلــم هــو الآخــر الــذى أعد إعداداً واحداً وجامداً ، فالدفعة الواحدة من المعلمــين لا تمايــز بيــنهم إلا القلــيل ، ومن هنا يكون إعداد التلاميذ إعداداً واحداً وبالتالــى إعداد المجتمع إعدادا واحدا . وهذا لا يتوقف على سمة الإعداد لتلاميذ من قــبل المعلــم ــ لكــن المعلــم يستطيــع أن يحدث عند التلاميذ ما يسمى « بصدمة المدرسة » ــ فالمعلم يعتبر أحد العوامل التى تؤدى إلى « صحة المدرسة » بالنسبة للطفــل ، بالإضــافة إلى بعض العوامل والتى تعتمد على حرمان الطفل من بعض ما تعــود علــيه . وحــدوث المرة الأولى لأن يترك الطفل المنزل ، والمرة الأولى التى يتعامل فيها مع معلم أو معلمة لا يعرفان اسمه .

وحتــى إذا زعمــت المدرسة أنها تدرك الفروق الفردية بين تلاميذها فهى لا تــدرك الفــروق الثقافية والاجتماعية والاقتصادية والبيئية بينهم ، لذلك تقدم منهجاً بطــريقة واحــدة ومســتوى واحد للملايين المنتظمين داخلها دون إدراك للتمايزات الاجتماعية والفروق الفردية بينهم . ومعظم مدارس العالم تعكس وجهة نظر الطبقة المتوســطة فــى السلوك والأخلاق والتصرفات والتفسيرات ، وقد لا تتناسب مطالب المدرســة ومواعــيدها مع البعض ، فتلاميذ الفئات المحرومة مطالبون بالبحث عن لقمــة العــيش قــبل المدرسة وبعدها ومن ثم لا يتوافر لهم الوقت والجهد الكافيين للدرس والتفوق .

وتلامــيذ الأحــياء الفقيــرة تطالبهم المدرسة بواجبات وأنشطة يعجز أولياء أمــورهم عــن أدائهــا ، والــذى يــزيد الأمر تعقيداً أن بعض المعلمين ينظر لأبناء المحــرومين بحــذر وشك وإهمال وعدم ثقة . وأحياناً يتعامل معهم بخشونة وغلظة باعتــبار أن هــذا الأســلوب هــو الوحيد الصالح للتعامل معهم وبذلك يتعرض أبناء المحــرومين لضغط من الجانبين . أولهما ضغط وحرمان خارج المدرسة مع واجبات ثقــيلة وعقــاب صــارم داخلهــا يــؤدى إلى عجز عن المنافسة فى التحصيل وأداء الواجــبات ، ومن ثم تعرضه لمزيد من العقاب مما يؤدى إلى الحرمان والصد وبذلك تزداد فرص انصرافه عن المدرسة وتسربه منها .

وفـــى بعض المجتمعات التى تمارس التفرقة العنصرية ــ الدينية واللغوية ــ قــد يجد الطفل نفسه وسط مجموعة معادية له ، استجابتها تتسم بالنفور والعدوان ، ومن هنا تصبح المدرسة ليست مجرد صدمة نفسية بل فرصة لإظهار مشاعر التمييز العنصـــرى والدينـــى ، والصدمة لا تقف عند التفرقة بين التلاميذ من الجنس والدين ولكن يحدث نوع من التفرقة والتمييز الطبقى داخل المدرسة وداخل الفصل الواحد .

فعــند توزيـــع الطلاب على الفصول يكون المعيار الترتيب الأبجدى لأسمائهم دون النظــر إلـــى تقارب المستويات الاجتماعية والثقافية وكذلك هنا نوع من التعليم يلــتحق به القادرون وهو التعليم الخاص ، إلا أن وزارة التربية والتعليم أعطت هذا الـــنوع اهــتماماً خاصاً وأنشأت مدارس « اللغات التجريبية » وهذا النوع من التعليم يعطى تمايزا طبقياً واجتماعياً .

فالتـــربية إذن لم تأخذ فى اعتبارها ما يمكن أن يصدر عن الطفولة من سمات خاصـــة فـــردية ، كمـــا أنها لم تضع فى حسبانها أيضاً تشجيع المناشط الجماعية ، ونتيجة لذلك فإنك تجد أنه على المستوى الشعبى باعتبار أن الكبار وعامة الناس هم ثمـــار التـــربية التى يتلقونها . إن الأنانية والغش حتى فى الامتحانات قد تفشت من جهـــة أخـــرى . وأن روح الـــتكافل والتضامن قد تزايدت وأن التسبب وعدم الشعور بالتضـــامن الاجتماعـــى من جهة تشكل السمات الشائعة التى تثمر ثماراً رديئة على المستوى الفردى والجمعى فى نفس الوقت .

وبالنســـبة للأنشـــطة الاجتماعـــية التـــى تشجع روح الجماعة فإنها آخذة فى التلاشـــى بســـبب انكمـــاش الأفنية واختفاء الملاعب تدريجيا بالمدارس بما فى ذلك المـــدارس الخاصـــة والتـــى كانت أمثلة واضحة للنظام المدرسى المثالى . فقد لهثت وراء الكسب السريع من وراء العملية التعليمية وذلك بإنشاء حجرات دراسية فى كل مكان بالمدرسة وذلك بسبب التزاحم عليها والإقبال الزائد على التعليم بها ، وبذا فإن روح الجماعة التى كان يجب توافرها للطفولة لم تعد متوافرة بسبب المضمار ناهيك

عن عدم إيمان كثير من المعلمين وأولياء الأمور إلا بالمواد لدراسية وبما تسفر عنه الامتحانات من نتائج . لأن نتائج الامتحان هو عنق الزجاجة للعملية التعليمية فى كل مرحلة من مراحل التعليم المختلفة .

وكمـا أن المجـتمع المدرسـى ليس سوى مجتمع صغير تنطبق عليه جميع الصفات والخصائص التى يتصف بها المجتمع الأم وهو المجتمع الكبير . فيمكننا أن نتخـيل إمكان قيام مجتمع مدرسى لا يعتمد اعتماداً كبيراً على الناحية الاقتصادية أو يكـون للاقتصاد نصيب ذو بال فى علاقات القائمة بين أفراده . لأن المدرسة مصنع يتخـرج منه التلاميذ . وإذا لم تتوافر لدى هذا المصنع الإمكانات اللازمة لإقامة نوع مـن النظام التعليمى الذى يريده المجتمع فلا داعى لهذا المصنع ، أى لا داعى لإقامة المـدارس . والمدرسـة كإحـدى مؤسسات المجتمع لابد أن تتوافر لديها الإمكانات المادية والبشرية لأنها السبيل الوحيد لإقامة مجتمع على درجة معينة من الثقافة .

وإن كـان هـدف المدرسـة واضحا وبينا حتى أزمة النزعتين ــ أى النزعة الفردية والنزعة الجماعية ــ إلا أنه لا تتحقق إمكانية حل الأزمة عن طريق المدرسة إلا إذا توافـرت لديها المدخلات التعليمية التى تساعدها على أداء وظائفها ومنها حل هـذه الأزمـة . ولا يجـدر بـنا إلا أن نقول أن المدرسة وعلاقاتها بالنزعة الفردية والنـزعة الجماعـية هـى « البذرة شجرة بالقوة » كما قال أرسطو فإننا نطلب من المدرسة أكثر من طاقتها . ولذا فإن المدرسة تكون على وفاق لحل هذه الأزمة .

ثانياً : الخروج من الأزمة :

أ) **التربية والخروج من الأزمة :**

تمـثل الطفولة مرحلة حرجة فى حياة الإنسان ، لذا تقف المجتمعات إزاء هذه المـرحلة موقف الحرص ورسم السياسة التى تنحو الطفولة إلى بر الأمان . بل أنهم يرسـمون أهـدافاً سيأخذونها فى تربية الأطفال ، فهو يرسمون أهدافا أو غايات فى

تربيتهم للطفولة زاعمين أن الأهداف والغايات هى التى تصل بالناشئين إلى ما يرونه مناسباً لهم . وكأن الناس من حول الطفل قد شكلوا فى أذهانهم صورة مكتملة لما ينبغى أن يصير إليه الطفل فى المستقبل القريب والبعيد على السواء وعلى التربية أن تراعى جوانب النمو المختلفة للطفولة .

(أ) **الجانب الروحى :**

والمجتمعات تختلف فيما بينها بما يتعلق بالأهداف التى ترسمها التربية فى تنشئة أطفالها ، وطبيعى أن أهداف المجتمع فى التربية وفى تنشئة الأطفال ترتكز أساساً على ما يؤمن به المجتمع من قيم ، فإذا كان المجتمع آخذاً بصفة أساسية بالقيم الدينية وأخذ يعطى هذه القيم أوزاناً فى رسم سياسة تنشئة الأطفال فإن غاية التربية هنا هى روحية . ويتبع هذا التأكيد تفسير طبيعة الطفولة وطبيعة النمو فى ضوء القيم والمعايير ، ومن هنا فإن الأزمة بين النزعة الفردية والنزعة الجماعية يكون المخرج منها هو وضع القيم والمعايير الدينية وسطاً لحل هذه الأزمة . ولهذا فإن الجانب الروحى جانب ذو شقين فردى وجماعى .

(ب) **الجانب الجسمى :**

ولقد ننظر إلى طبيعة الطفولة من الناحية الجسمية فيكون التركيز على صحة الطفل وتنشئة بدنه التنشئة السليمة . ففى هذه الحالة تكون التربية أكثر نجاحاً وفاعلية إذا ما استطاعت أن تخلص الناشئة من الأمراض وإزالة الضعف فى أجسامهم وتزويدهم بمقومات القوة ومتانة الجسم واتساق الحركات والتمتع بجميع مقومات الصحة ، فالاهتمام فى مثل هذه الحالة يكون بالجانب البيولوجى من كيان الإنسان وتكون بؤرة الاهتمام فى تنشئة الطفولة بؤرة صحية بيولوجية . وعلى الفرد أن يعرف جيداً أن الصحة العامة له متوقفة على صحة المجتمع ككل . فالمجتمع صحيح الأبدان يعطى أطفالاً أصحاء والعكس صحيح ، ومن هنا نجد أن الجانب الجسمى يتطلب النزعة الجماعية ثم النزعة الفردية .

(ج) **الجانب الوجداني :**

تتسم المشاركة الوجدانية بجانب التعقل والتفكير والترتيب فى أمور الحياة وما يتعلق بمراعاة شئون الآخرين والحث على مشاركتهم فى أفراحهم وأحزانهم ، وهى تظهر كناحية وظيفية مواقف الحياة الاجتماعية .

والمشاركة الوجدانية تعد من مسئوليات التربية والرعاية الاجتماعية التى تكفل للطفولة . فالتربية توفر الجو المناسب لنمو الجانب الوجدانى ، ولكن إن كانت التربية تغفل هذا الجانب فعليها أن تعيد النظر مرة أخرى فى هذا الجانب والذى يعد من أهم جوانب الشخصية وتكوين شخصيات أطفالنا فى البحث عن السبل المتباينة التى تعمل على تحقيق تلك التربية والمسارعة إلى الاستقامة وتطبيقها من الأهمية بمكان توفير التربية السليمة الفعالة . ومن هنا نجد أن الأزمة بين النزعتين الفردية والجماعية من الجانب الوجدانى هى جماعية بالدرجة الأولى ثم الفردية .

(د) **الجانب الاجتماعي :**

أو ما نطلق عليه التوافق الاجتماعى ونعنى به التكامل فى المواقف الاجتماعية المتباينة من جانب الفرد ولا يمكن تحقيق التكامل الاجتماعى للأطفال إلا إذا حققنا لهم أولاً تربية جسمية وتربية نفسية سليمة وتربية اجتماعية مناسبة لفرد والمجتمع الذى يوجد فيه أيضاً .

ومن أهم المقومات التى يجب أن تتوافر بالتربية الاجتماعية التى نصبوا إليها أن تكون تربية متنوعة . ليس بكاف أن نصب حياة الأطفال فى مجموعة محدودة وضيقة النطاق من المواقف والمناشط الاجتماعية بل يجب أن تستهدف التربية الاجتماعية السليمة الغزارة فيما يتوافر للأطفال من مناشط ومواقف اجتماعية . وكما سبق ذكره والملاحظ على التربية أنها تصب الأطفال فى إطارات اجتماعية ضيقة النطاق إلى أقصى حد .

وهـو مـا نشـاهده اليوم لدى كثير من شبابنا عن الانخراط فى ركب الحياة بشىء من الخوف والهيبة فى مواجهة المواقف المتباينة .

ومـن هـنا كـان الجانـب الاجتماعى من أهم الجوانب التى تعمل التربية فى إكسـابها للفـرد ، فـتوافق الفرد اجتماعياً من مقوماته المجتمع المتوافق اجتماعيًا وكذلك المجتمع المتوافق اجتماعياً من مقوماته الفرد المتوافق اجتماعياً .

(٥) الجانب الثقافى :

الطفـل بطبيعـته يـنمو من خلال تفاعله مع أفراد المجتمع ، ولذا ما يكتسبه الطفـل حتـى يشب ويبح مكوناً شخصياً يكون قد اكتسب الكثير من ثقافة مجتمعه . وجمـيع الخبـرات التـى تقدم للطفل هى مكونات المجتمع الثقافية من قيم وعادات وتقالـيد وسلوكيات ، والخط التربوى السليم أو الفلسفة التربوية الحقيقية هى فلسفة الخبـرات المهضومة وليست فلسفة المعرفة المحفوظة. والسبيل إلى ذلك يتأتى أولا بإيمـان المـربين واستنارتهم بهذه الحقيقة أو بهذا الهدف أو بهذه الفلسفة التربوية وإقـبالهم علـيها وعدم التنازل عنها ، وإذا كنا نعتقد أن الخبرات تبدأ بميلاد الطفل فإننا نستطيع إذن أن نقول أن إحاطة الطفل بالخبرات الكثيرة والمناسبة لمرحلة نموه يكـون هـو السبيل الآمن لإمكان حدوث التفاعلات واكتساب الأطفال لثقافة مجتمعهم هـى انتماء هذا الفرد للجماعة ، أى تكون التربية من أجل ثقافة المجتمع أى الاتجاه إلـى النـزعة الجماعية والمرحلة التالية بعد الاكتساب والتشبع هى التفاعل مع هذه المكونات بالحذف والإضافة أى إضفاء النزعة الفردية عليها .

ب) المدرسة والخروج من الأزمة :

من الواضح أن عملية التربية كنشاط اجتماعى متخصص أو كنوع من التعليم الرسـمى لـم يكـن لهـا وجود فى المجتمعات البسيطة ، وكانت تقوم على تقديمها للأجـيال الجديـدة ، كما تتم أيضاً من خلال مشاركة الفرد الفعلية فى الحياة اليومية

للمجتمع . ولكل مجتمع سواء كان مجتمعاً صغيراً أو مجتمعاً كبيرا طابع اجتماعى عام يتصف به ، والواقع أن المجتمع المدرسى ليس سوى مجتمع تنتسب عليه جميع الصفات والخصائص التى يتصف ويختص بها المجتمع الكبير .

والمدارس والمعاهد المختلفة هى وسائط النظام التربوى فى المجتمعات الحديثة ، وأساليب التربية المطبقة فيها من أهم أساليب الضبط الاجتماعى . والنظام التربوى هو (مجموعة منسقة من القواعد أو المبادئ والمعايير والأهداف التى تحكم النشاط فى ميدان التعليم الرسمى وتحدد الأساليب المتبعة فيه وتحكم العلاقات بين المشتركين فى العملية التربوية) ، والنظام التربوى لا يوجد فى فراغ ولكنه يوجد فى مجتمع له بناء محدد ، وبالتالى فإن ما يشتمل عليه من قواعد ومبادئ ومعايير وما يتضمنه من أهداف يختلف باختلاف الأبنية الاجتماعية .

كما أن النظام التربوى يرتبط ارتباطا وثيقا غيره من النظم الاجتماعية وبخاصة النظامين السياسى والاقتصادى ، ولا يجب أن تغفل حقيقة وسائط الضبط الاجتماعى التربوية وعلى قمتها « المدرسة » فأكثر هذه الوسائط تكون ملكاً للدولة وتعمل تحت إشرافها ، حتى المدارس الخاصة تكون ملكاً لأفراد أو مؤسسات وتعمل وفقا لتوجيهات ومبادئ معينة يحددها لها أصحابها وذوو النفوذ والرأى فى المجتمع. كما تخضع أيضاً لنوع من الإشراف الحكومى ، وينظم ذلك كله قوانين رسمية ولوائح مكتوبة وأعراف متبعة .

وتتفق النظم التربوية فى مختلف المجتمعات ذات النظم الاقتصادية والسياسية المختلفة ، فى أنها تهدف جميعاً إلى تشكيل المواطنين طبقا للمثل السائدة ، ومن هنا تظهر أهمية الدور الذى تقوم به المدرسة كمؤسسة اجتماعية .

فعندما يبدأ الطفل فى الذهاب إلى المدرسة فإنه عادة ما يصبح لأول مرة تحت إشراف أفراد ليسوا من أقاربه ، وبالتالى فهو يتحرك من وسط تسوده الروابط الشخصية إلى وسط خر غير شخصى، وتلعب المدرسة دورا أساسيا فى تقليل اعتماد

الطفل عاطفياً على أسرته عن طريق إتاحة فرص الاتصال مع المدرسين فى الفصل ، ومــع زملائــه من التلاميذ أيضاً ، وعلى ذلك فالمدرسة هى التى تربط الطفل بنظام اجتماعــى أوسع ، وهى المنظمة الرئيسية التى يوكلها المجتمع من أجل تقليل روابط الطفــل بــوالديــه والوصــول بــه إلــى ممارسة النزعة الفردية فى وسط المجتمع المدرسي .

وتأخــذ المدرســة على عاتقها حالياً فى المجتمع الحديث تهيئة الصغار تهيئة اجتماعية ، ونقل ثقافة المجتمع إليهم ، ورغم أن الأسرة لا تفقد أهميتها بالطفل حتى يــبلغ سن الدراسة ، ففى معظم الأحوال يستمر الوالدان والأخوة والأخوات والأقارب فى إحداث تأثيرات قوية للتهيئة الاجتماعية إبان تربية الطفل تربية مدرسية ، ثم إلى مدى أقل بعد ذلك .

إلا أن المدرســة تعلب ولاشك دوراً مؤثراً ومستقبلاً فى التهيئة الاجتماعية ، وربمــا يمكن فهم هذه العلاقة القائمة بين الأسرة والمدرسة فى ضوء أن الأسرة هى التــى تعتبر عادة مسئولة عن التهيئة الاجتماعية الخاطئة . وكن هذا لا يجعل واجب المدرســة أكثر سهولة ، فقد بلغت الحال بالمجتمع الحديث أن يتوقع من المدرسة أن تــنقل إلــى الطفــل ثقافة معقدة تعقيداً شديداً تشتمل على الأسس الأيدلوجية لتراث المجتمع الثقافى .

وللمدرســة الدور الهام فى اكتساب الاتجاهات والمفاهيم والمعتقدات المتعلقة بعملــيات الــنظام السياســى بينما قد يفهم البعض أن الأسرة تسهم كثيرا فى عمنية التنشــئة الاجتماعــية ، حيث تبدأ أو تشرع فى بث الولاء الأساسى نحو البلاد ، فإن المدرســة تعطــى المحتوى والمعلومات والمفاهيم التى من شأنها توسيع وصقل تلك المشــاعر المبكــرة المتعلقة بالارتباط بالوطن ، كما تضع المدرسة تأكيداً أعظم على الامتــثال لكل من القانون والسلطة ولوائح المدرسة . ومن هنا نستطيع أن نقول أن الدور متكامل بين الأسرة والمدرسة .

والمدرسة كمكون اجتماعى يحوى الفصول المدرسية التى يقضى بها الطفل طول فترة بقائه بالمدرسة والفصل الدراسى يشكل موقفا اجتماعيا لا نظير له ، ويعتبر تكوين الفصل المدرسى بالنسبة للطفل ذا أهمية بالغة ، حجرة الدراسة كأية مجموعة يمكن أن نتوقع أنها تضم مجموعة معقدة إلى حد كبير من المكونات الاجتماعية Social Statuses ذات أدوار Ranks ومراتب Roles اجتماعية مميزة وتتولد هذه المكانات بواسطة التلاميذ أنفسهم ، مع أن المعلم قد يؤثر فى بناء النظام الاجتماعى بطرق عدة . مثلا عن طريق تنظيم مقاعد الجلوس . واختيار مجموعات العمل ، وتوزيع الامتيازات توزيعا غير متساو . وهناك مجموعات وأفراد خارج غرفة الدراسة بالمدرسة أو بالمجتمع الخارجى يمكن أيضاً أن ينتظر منهم التأثير فيما يجرى داخل حجرة الدراسة .

وأن سلوك المعلمين وتصرفاتهم أمام التلاميذ ومعهم ، يقود التلاميذ إلى الوجهة الصالحة فى الحياة . فالمعلم الذى يقدم نموذجا لشخصية المطلعة على أحدث ما توصل إليه العلماء والباحثون فى المادة التى يقوم بتدريسها والذى يتردد على المكتبة وبدأت على البحث أو الذى يجعل من حجرة الدراسة مجالاً للبحث ، أو الذى يتناقش مع التلاميذ فى حاضرهم ومستقبلهم على السواء ، ثم أن العلاقات المتبادلة بين المعلمين وإدارة المدرسة ثم بين المدرسة كمؤسسة تربوية وبين أولياء الأمور، تؤثر فى تربية الطفل وتجعله مستعدا للتوافق الاجتماعى السليم . بل ويجعله ناشئا على الصحة النفسية التى تجعل منه شخصية متكاملة الانسجام بين نفسه وبين البيئة الاجتماعية من حوله .

وللجدول الدراسى الذى يحدد أنشطة الفصل تأثير آخر على الطفل وليس بالضرورة أن تكون بدايات الأنشطة ومهاياتها مناظرة لاهتمامات الطفل بها . وهكذا يتعلم الطفل بعض أوجه التكيف داخل الفصل المدرسى المزدحم . إذ يتعلم تأخير الرغبات أو كبح جماحها ، وهذه الأخيرة تعبر جزءا لما يشار إليه على أنه " المنهج

الخفـى Hidden Curriculum للفصـل المدرسى ، ويكتسب هذا المصطلح شعبية لجـذب الانتباه إلى الأشياء غير الرسمية وغير النظامية التى تعلم على أنها أشياء لا يلاحظها عموماً أولئك الأشخاص المنوط بهم مسئوليات تدريس المنهج الرسمى .

وأخيـراً يمكـن فحص للبنيان الاجتماعى لحجرة الدراسة وهى المجتمع الذى يعـيش فـيه الطفـل يومه المدرسى . على أساس أنها مركبة من ثلاث مجموعات مختلفة من الوظائف وهى تشمل كما يرى ديفيد جوسلين David Goslin :

(أ) أنماط الحب والكراهية والتى تخلق مجموعات الصداقة .

(ب) نظام الوظائف الذى يتصل بإنجاز المجموعة لوظيفتها الأساسية وهى التعلم .

(ج) تلك الوظائف الخاصة أو مجموعات الوظائف التى تخدم وظائف المجموعة ولا تـدخل فـى نطاق النوعين السابقين مثل التحكم فى حالة التوتر فى المجموعة ككل .

وتشـبه هذه الأوجه الثلاثة من البناء الاجتماعى فى حجرة الدراسة أى نظام اجتماعـى غيـر رسمى وتتميز فى أغلب الظن بتغيير دائم – كبير أو صغير – فيما يـتعلق بمن يشغلون معظم الوظائف نفسها وبعلاقاتها المتبادلة بالوظائف الأخرى فى النظام ومن ثم فإن المعلم يجب أن يتعامل مع نظام اجتماعى دائم التغيير .

ومما سـبق يتضـح أن الأزمـة فـى تربية الإنسان بين النزعتين الفردية والجماعـية تتمثل فى تبنى مفهوم للتربية تكون على أساسه نمط العملية التعليمية ، وبالتالـى الذى تقوم به المدرسة – فالأزمة أزمة تربية وأزمة مدرسية ن والخروج من هذه الأزمة هو – التحديد – والتحديد الدقيق لمفهوم تربوى شامل يحقق أقصى إنتاجية لتربية الفرد من خلال العمل المدرسى .

مـن المعلـوم أن الأسـرة ترسـل أبـنائها إلـى المدارس لتلقى نمطاً يتفق وأيديولوجـية المجـتمع وإلى أى اتجاه تنحو التربية بهذا الطفل وهؤلاء الأبناء إلى

النـــزعة الفـــردية أم الجماعة ؟ أول ما أنشئت لرعاية الطفولة بدلاً من تركهم بالبيت خـــلال انشغال الأم تربوياً ، وهذه هى بداية الأزمة عندما نحتاج إلى التربية لا نجدها وعندما لا نحتاجها نجدها ومغايرة .

والواقـــع أن التعليم فى أصله هو الاحتكاك المباشر بالأشياء ذاتها بغير وسيط بـــين الإنســـان وبـــين الأشياء ذاتها ، فالقراءة تشكل الوسيط بين الإنسان والأشياء نفســـها ، ويمكـــن القول بأن وقوف الطفل على الأشياء ذاتها لا يختلف جوهرياً عن القراءة .

وكقاعدة تربوية عامة فإننا نستطيع أن نقرر أن قراءة الأشياء ذاتها يجب أن يســـبق قـــراءة الأشـــياء برموزها ، والعلاقة بين القراءة والأشياء علاقة تبادلية ، فـــيمكن أن يعرف الإنسان هذا الشيء دون أن يعرف الشيء نفسه ويغيب عن خبرته وأيضـــاً هذه هى الأزمة التى تقع فيها التربية ، وضع الإنسان فى اتجاه الجماعية أو اتجاه الفردية .

والـــواجب علـــى التربية أن نحقق توازنا بين النزعتين الفردية والجماعية ، فالتكامل النفسى والتوافق الاجتماعى لا يمكن أن تحققا بالشخصية إلا إذا توافرت لها النزعتان الفردية والجماعية معا وبالقدر المناسب فى المواقف والظروف المتباينة . علـــى أســـاس أنـــه مـــن واجب التربية أن تضع فى حسبانها ما توافر لكل طفل من اســـتعدادات فـــردية وجماعية وأن تقدم إليه المؤثرات التربوية المناسبة لاستعداداته الفطرية .

والخطـــأ كـــل الخطـــأ أن نطلـــب من طفل ما نشاطاً ليس لديه رصيد فطرى للنهوض به وممارسته ، والخطأ أيضا أن يهمل إمكانية فطرية عند الطفل وأن نوجه اهتمامـــنا لمـــا ليس عنده، فما ليس موجودا لدى الطفل لا نطلبه وما هو موجود لا نهمله .

والمدرسة هى الأخرى ليست سوى مجتمع صغير تنطبق عليه جميع الصفات والخصــائص التــى يتصف بها المجتمع الأم وهو المجتمع الكبير ، فيمكننا أن نتخيل إمكــان قــيام مجتمع مدرسى لا يعتمد اعتمادا كبيرا على الناحية الاقتصادية أو يكن للاقتصــاد نصيبا ذو بال فى العلاقات القائمة بين أفراده ، لأن المدرسة مصنع يتخرج مــنه التلامــيذ ، وإذا لــم تتوافر لدى هذا المصنع الإمكانات اللازمة لإقامة نوع من الــنظام التعليمــى الــذى يريده المجتمع فلا داعى لهذا المصنع ، أى لا داعى لإقامة المــدارس ، والمدرســة كإحــدى مؤسسات المجتمع لابد أن تتوافر لديها الإمكانات المادية والبشرية لأنها السبيل الوحيد لإقامة مجتمع على درجة معينة من الثقافة .

والأزمــة بين النزعتين الفردية والجماعية لا تتحقق إمكانية حلها عن طريق المدرســة إلا إذا توافرت لديها المدخلات التعليمية التى تساعدها على أداء وظائفها ، حيث أن المدرسة ما هى إلا حقل لتطبيق نوع من العمل التربوى الذى يراده المجتمع مناسبا له ، إذن ليست بالمدخلات فقط تستطيع المدرسة حل الأزمة ولكن يتبنى نوع التربية الذى يوافق حل الأزمة بين النزعتين الفردية والجماعية .

إن المعــتقدات الدينــية والفلســفية بصورة خاصة يمكن أن تشكل سندا قويا لنشوء مواطنين مسئولين ، فكيف يمكن دمج هذه المعتقدات فى استراتيجية التربية ، من أجل الديمقراطية مع احترام مبدأ تساوى المعتقدات الأخرى فى الكرامة .

وتشــارك وســائل الإعــلام كــل مــن المدرسة والأسرة فى التربية من أجل الديمقــراطية ، حــيث تلعــب دورا كبيــرا اليوم فى الحياة الاجتماعية والاقتصادية والثقافــية والمؤسســية . ومصــدرا مــرجعيا لأنماط السلوك . فالحرية التامة فى مجــال الإعــلام والتعبيــر هــى وحــدها التــى تكفــل الشفافية التى لابد منها لكى يمــارس المواطــنون خــياراتهم ومســئولياتهم ، ويمكــن للمدرسة أيضا أن تسهم فــى ذلــك عــن طــريق القــدرات علــى فهــم مضامين المعلومات وتنظيمها فى وسائل مترابطة ومتسقة .

مأزق الغزو الثقافي .. رؤى وأيديولوجيات :

إن تأصـيل القـيم الإيجابـية داخل المجتمع هو حماية لهذا المجتمع من قيم وأفكار وأيديولوجيات وثقافات وإفادة من كافة المجتمعات الأخرى التى يمكن أن تؤثر بالسـلب وتخلـق صـراعا بين ما هو قائم بالفعل وما هو وافد من قيم . يؤدى فى الـنهاية إلـى انقسامات أيديولوجية بين ما هو رافض لهذا الغزو ويجد فى السلفية ملاذا معبرا عن رفض يحيا على الماضى ولا يبنى للمستقبل .

وبين من يرى فى هذه القيم الوافدة منهاجا للتطور الحضارى التى قامت على أساسـه نهضـة هذه المجتمعات ساقطا من حسبانه أن لكل مجتمع ظروفه الخاصة وقيمه التى ينفرد بها عن أى مجتمع آخر ، والقادرة على بناء حضارته المميزة عن أى حضارات أخرى .

ومن بين من يرى أن هذا الغزو ليس بالأمر الذى يستحق كل هذا الجدل الذى يدور حوله طالما نحن قادرون على تحقيق التوازن ، نأخذ منه ما هو صالح ويشكل تـربة خصبة لتنمية المجتمع وننبذ ما هو غير صالح يضر بالبنية الأساسية للمجتمع وخططـه التـنموية ، وأن القـيم الإيجابية فى المجتمع أجيال المستقبل من الشباب والأطفـال الذين سيحملون أمانة رقية وازدهاره فى حاجة فى حاجة ماسة إلى أبواب المعرفة والبناء الإيجابى الذى يواكب احتياجات العصر من معلومات وإبداع وانطلاق إلـى فـتح آفـاق المواهب الابتكارية التى أودعها الله سبحانه وتعالى بين جوانبها الإنسانية لتبدع وتبنى وترقى .

وهنا نجد أن وسائل الإعلام أمام رؤى وقيم وسلوكيات ومفاهيم متباينة شديدة التباين ، عليه التعامل معها من حيث تأصيلها وتصحيح ما هو سلبى منها وغرس ما هو جديد لصالح الهدف التنموى وحماية من كل وافد ثقافى غريب .

وبالتالـى تقـع على وسائل الإعلام العبء الأكبر فى التثقيف والتنوير والبناء الإيجابـى ومعالجـة المفاهيم الخاطئة . وغرس المعرفة والارتقاء بالفرد والمجتمع

وإثـــراء الحـــياة الثقافية والاجتماعية والاقتصادية وزرع الاتجاهات الإيجابية والمثل العليا والمعانى الفاضلة فى عقول الجماهير ونفوسهم .

إن أى اســـتثمار يغفــل ويتجاهل عقله ، هو استثمار لا قيمة له ولا جدوى . فالعنصر الإنسانى هو المكون الأساسى فى بناء الأمم ، وبه تنهض وتتقدم ، وبفكره وســواعده تــتحدى الصــعاب ، وتــتغلب علـــى المشكلات وتقتحم التحديات وتبنى الحضـــارات . ومـــن هنا كان لابد من تهيئة المناخ الملائم لتشجيع الملكات الخلاقة والطاقات المبدعة وتقديم الترفيه والترويح فى أسلوب راق يسمو بالحس والذوق .

وبالتالـــى فإن السياسة الإعلامية يجب عليها الالتحام بالشارع الاجتماعى فى المجتمع ، وتعايش مشكلاته وتتناول قضاياه وتتجاوب مع رغباته وتتوالى على تلبية حاجاتـــه فى الإعلام والتعليم والتثقيف والترفيه . ومن ثم تلعب وسائل الإعلام دورا هاما فى التنمية البيئية ومواجهة الغزو الثقافى .

ولا شـــك أن الـــثورة الهائلة التى لحقت بوسائل الاتصال فى الحقبة الأخيرة . خلقـــت مناخا تنافسيا بين الدول المتطورة التى تملك الأدوات الاتصالية والقدرة على استثمارها الأمثل وبين النامية التى استطاعت أو تسعى لتملك هذه الأدوات ومحاولة استثمارها الاستثمار المواكب لاستثمار الدول المتطورة .

ومـــع ذلك رغم السعى الشديد للدول النامية للحاق بركب العصر ودخولها فى منافســـة غير متكافئة مع دول ذات إمكانيات هائلة وقدرات فائقة فى التعامل مع هذه الأدوات ، فإنهـــا وإن كانت تخطوا بخطوات مرحلية نحو تحقيق التوازن التنافسى . قـــادرة على استيعاب متطلبات التكنولوجيا الجديدة والوصول إلى مرحلة التوازن فى المدى غير البعيد .

وثمة أسئلة تطرح نفسها ..... كيف يمكن للتربية فى مجتمعات يتزايد تنوعها باطـــراد أن توفق بين هذا الحرص المزدوج على تنمية الاستقلال الفردى والمحافظة

على التضامن الاجتماعى ؟ كيف يمكنها أن تؤلف بين الاعتراف بالقيم العالمية وبين التعبيـــر عن الخصوصيات الثقافية والدفاع عنها ؟ كيف يمكن معالجة هذان المطلبان مـــن منطلق التكامل لا التناقض بينهما ؟ وكيف يمكن إبراز ما تتضمنه الخصوصيات الثقافـــية دون أن يـــؤدى ذلـــك إلى إخفاء ما قد يشوب بعض هذه الخصوصيات من جوانب لا تواكب العصر ؟

الثقافة والتخلف الآخر :

مما لا شك فيه أن المؤسسة الاجتماعية لا تعيش إلا بتحريك واحتواء العناصر البشـــرية للمجـــتمع التـــى توجد فيه هذه المؤسسة ، ولا ينمو الفرد ويندمج إلا إذا وجدت هذه المؤسسة التى تنظر إليه على أنه العنصر الأساسى التى وجدت من أجله ولا تعمل إلا من خلاله ومع غيره من العناصر البشرية فى المجتمع .

مـــن هذا المنطلق الجدلى ذى الاتجاهين ننظر إلى العلاقة الدائمة والقدرة بين الفـــرد والمجـــتمع فى إطار ديناميه احتوائية محكومة بقوانين التبعية التى تتحكم فى الحياة الاجتماعية .

إن ظاهرة التخلف فى مجتمعات العالم الثالث ، لا تقتصر على المظاهر الكمية (الماديـــة) فقط ، فهى مثل ظاهرة التقدم ــ عبارة عن نسق ، أى كل ــ يتكون من عناصـــر ذات وحدة مترابطة متكاملة ومن هذا المنطلق ، فإن تجزئة ظاهرة التخلف أو الـــتقدم (أى التركيـــز على بعض الملامح وإهمال البقية الأخرى) لا يمكن إلا أن تقود إلى فهم مشوه لكل منهما .

إن نظـــريات العلوم الاجتماعية المرتكزة على تصور تجزيئى لظاهرة التخلف فـــى العـــالم الـــثالث لا ينتظـــر مـــنها المصداقية العلمية على المستويين التنظيرى والتطبيقى ، فالمجتمع نسق اجتماعى ذو جوانب متعددة اجتماعية واقتصادية وثقافية ... تكـــون فـــى النهاية كلا متكاملا ومترابطا . فلا يكاد يخلو أى مجتمع إنسانى مما

يســمى بالمركب الثقافى The Culture Component الذى يشمل عناصر اللغة والقيم والمعرفة والتقاليد والدين ....

وهــناك اتفــاق بــيــن دارسى المجتمعات الحيوانية . والإنسانية أن ما يميز الإنســان ومجــتمعه عن الحيوان ومجتمعه هو مدى تطور الجانب الثقافى عند بنى الإنسان ومجتمعاتهم .

ولقد اعتبر عالم الاجتماع الأمريكى بارسنز PARSONS مثلا أن « تمكن حضـــارة إنســانية من اكتساب لغة مكتوبة يجعلها أكثر تطورا من تلك التى تملكها » وهذا يعنى من جهة أن نمو عناصر المركب الثقافى هو مؤشر على تطور المجتمع ، وأن تخلف العناصر الثقافية يعنى بدائية هذا المجتمع من جهة أخرى .

التخلف الآخر :

الــتخلف الثقافــى النفســى ملمــح تخلف لشخصية الإنسان النامى وللتنشئة الاجتماعــية. ويمكــن طــرح النســق الاجتماعى للمجتمع البشرى Society as a Social System من خلال المجتمع كما يلى :

١) جســداً اجتماعــياً مــتعدداً ومخــتلف التــركيبة (المركب الثقافى ، المركب الديمقراطــى ، المركب الاقتصادى .....) هذا من ناحية . ومن ناحية أخرى فــإن مــركبات المجــتمع هذه رغم اختلافها وتعددها تكون فى النهاية وحدة مجتمعــية متضامنة ومتكاملة ومن ثم جاءت شرعية إطلاق النسق System على المجتمع .

٢) أن تلــك المكــونات للمجتمع لها القدرة الذاتية على النمو والتطور والتعاضد مــثلها مثل أعضاء الجسم البيولوجى للكائنات الحية المعقدة . ومن ثم يتعطل أو يــتوقف المجتمع الإنسانى فتتدهور عمليات التنسيق والتضامن فى وحداته وفيما بينها مما يؤدى إلى تخلفه فى النهاية .

٣) أن المجتمع كنسق يتفاعل داخليا وخارجيا ، ومن ثم فتنميته أو تخلفه يتأثران مـــن جهة بطبيعة تفاعلات مكوناته الداخلية الذاتية ، ومن جهة أخرى بطبيعة احتكاكاته مع العالم الخارجى .

وبخصوص عملية التنمية فى المجتمعات النامية ، هناك اتفاق بين متخصصى التنمـــية اليوم على أن نقطة الانطلاق فى هذه العملية ينبغى أن تعتمد أولا وقبل كل شىء على التنمية الذاتية المتوازنة بين كل قطاعات المجتمع ، بحيث لا ينمو بعضها على حساب تخلف البعض الآخر .

وعلـــى سبيل المثال ، فإن التخلف الآخر (أو التخلف الثقافى النفسى) ما هو إلا ملمـــح مـــن ملامـــح التخلف الآخر الذى يتصف به إنسان معظم مجتمعات العالم الـــثالث فـــى العصـــر الحديث ، وهو تخلف يمس العناصر الذاتية للمجتمع كالثقافة واللغة والقيم والزاد المعرفى العلمى للمجتمع .

كمـــا أنـــه يمس نفسيا تركيبة شخصية الفرد والشخصية الجماعية لنفس هذا المجـــتمع ، وبطبيعـــته المزدوجة يكون مفهوم التخلف الآخر مؤهلا لكى تستفيد منه العلـــوم الاجتماعـــية والإنسانية خاصة فى بحوثها حول قضايا التنمية والتخلف وما يـــرتبط بهـــا فى المجتمعات النامية ، ويمكن تمثيل التخلف الثقافى النفسى من خلال الشكل التالى :

التخلف الثقافى النفسى

(١) نتيجة احتكاك الحضارات

(٢) طبيعة هذا الاحتكاك هى من نوع الغالب والمغلوب

(٣) مكونات التخلف الآخر الرئيسية

(ب) تخلف نفسى الشعور بالدونية والتلهف لتقليد الطرف الغالب	(أ) تخلف ثقافى المزج اللغوى ــ معرفة أكبر للثقافة الأجنبية عن الثقافة الوطنية

شكل رقم (١) يمثل التخلف الثقافى النفسى

معوقات وسائل الاتصال فى الدول العربية :

تتضح هذه المعوقات فيما يلى :

١) الافتقار إلى الموارد البشرية المدربة تدريباً فنياً متلائماً مع اتجاهات التنمية وظروف التطور السريع .

٢) المعاناة من الارتفاع فى نسبة الأمية ن ولعل الأمر الذى يزيد من خطورة هذه المشكلة أن البعض من شبه الأميين هم من العاملين فى قطاع الإنتاج ، وأمام هذه النسبة المخيفة يصبح الاتصال بجميع وسائله عقيماً .

٣) الإصرار على اتباع الأساليب التقليدية فى تناول قضايا التطور والشئون المتعلقة بالتنمية .

٤) فقدان الاهتمام – عند البعض ت بين الأجهزة المختلفة والتى تساعد على تضافر الجهود للقضاء على ازدواجية والتكرار وتمكن خطط التنمية من تحقيق أهدافها تحقيقاً أكثر جدوى وفعالية .

الخروج من المأزق :

العملية الإعلامية .. عملية اجتماعية :

إن الاتصال الجماهيرى يرتبط بنائياً ووظيفياً بالظواهر الاجتماعية والثقافية ، ويقوم بدور حيوى فى التكامل الاجتماعى والسياسى ، أى يربط الأفراد بقضايا المجتمع ويحيطهم علماً بما يدور فيه من أحداث وقضايا ، أى يخلق ما يسمى « بالوعى الاجتماعى والثقافى والفكرى والسياسى » . فالإعلام يقوم بدور هام فى المجتمع الحديث ويؤدى دوراً اجتماعيا لجميع فئاته من إعلام وتثقيف وتربية ، فهو يقوم بتقريب المفاهيم المختلفة بين أفراد المجتمع ، فيتعرف هؤلاء على كل ما يتعلق بهذا المجتمع من قضايا وإنجازات سياسية واجتماعية وثقافية :

ويمكن تحديد فعالية العملية الإعلامية كعملية اجتماعية من خلال علاقتها بالفرد والبناء الاجتماعى والثقافى . فهى ظاهرة اجتماعية تؤثر وتتأثر بالظواهر

الاجتماعية والثقافية والفكرية والسياسية والاقتصادية ، أى هى منظومة اجتماعية تتحرك من خلال الفرد ــ البناء الاجتماعى ــ الثقافة . ويتم ذلك من خلال :

١) توافر مقومات الأداة التكنولوجية وتوافر المادة أو المضمون الثقافى والفكرى والإخبارى .
٢) وضوح أيديولوجية المجتمع التى تحدد أهداف الفكر والثقافة وموقفها من إنجازات أفراد المجتمع .
٣) قدرة كل من الشكل والمضمون على تجسيد الأحداث والقضايا الاجتماعية بطريقة يتوافر فيها مقومات التأثير والإقناع .
٤) قدرة الجمهور المستقبل عل إدراك هذه المادة أو هذا المضمون .

وبالتالى فالدور الاجتماعى لعملية الإعلام والاتصال الجماهيرى تتفاوت ليس فقط مع تفاوت قدرة الوسيلة على الإقناع والتأثير أى وفقاً لخصائص الوسيلة الإعلامية شكلاً ومضموناً ، ولكن بتفاوت خصائص وقدرات الجمهور المستقبل لكل وسيلة .

فالدور الاجتماعى لعملية الإعلام والاتصال الجماهيرى يرتبط بقدرة تلك العملية على مشاركتها حياة الأفراد وتدخلها فى سلوكهم الاجتماعى . حيث ترتبط عملية الإعلام والاتصال الجماهيرى هذه بالبناء الاجتماعى والثقافى وبخصائص المجتمع وأهدافه المختلفة ، الأمنية والقومية الحاضرة منها والمستقبلة ، وبأهداف السياسية الخارجية والأمن الثقافى والاجتماعى والاقتصادى .

فنحن كمجتمع نامى ، نهدف إلى تأكيد هويتنا الثقافية والاجتماعية والسياسية من خلال وسائل الإعلام والثقافة المتعددة شكلاً ومضموناً ــ فالإعلام كما سبق القول ــ أداة تكنولوجية وصناعية ، حيث أن جانب كبير من إمكانيات تحقيق الأهداف يرتبط بمقومات التكنولوجيا والعلم ، كما يتوقف جانب كبير من نجاح العملية الإعلامية على المضمن الثقافى والفكرى والإخبارى وكيفية توجيهه فى نقل

الأحداث الإخبارية والثقافية المحلية منها والعالمية ، وفقاً لأهداف المجتمع وخصائص بنائه الاجتماعي ووفقاً للعلاقات الدولية والأيديولوجية .

هذا بالإضافة إلى المضمون الفكري الثقافي منه ، والفني ، يكون له دوراً في تحقيق التوازن الاجتماعي كلما كان يرتبط بالهوية والتراث الفكري ، وبأهداف المجتمع والفكر والثقافة . فلكل مجتمع خصائصه الاجتماعية والثقافية والسياسية وأيضاً المهارية والعلمية والتكنولوجية .

إن التنوع في المضمون الثقافي والفني أحد أشكال الديمقراطية الثقافية ، حيث أنها بجانب كونها تعبيراً عن حقيقة بنائية ومؤسسية، فهي مجموعة قيم ومشاعر واتجاهات تشجع على الممارسة الديمقراطية الفاعلة من جانب الحاكم والمحكومين . فالعبرة في النظام الديمقراطي ليست مجرد وجود الإجراءات والمؤسسات السياسية ، الدستور ، المجالس النيابية ، الأحزاب ، كما أن التعدد في المضمون الثقافي والفكري المحلي القومي ، يعكس مقدرة أي تكامل في مقومات النهضة على الأقل الثقافية والفكرية في المجتمع ، أي تكاملاً في مقومات البنية القومية .

ومن ثم تتضح أهم خصائص وسائل الإعلام الجماهيرية فيما يلي :

١) تنوع المضمون ومفهوم التنوع الداخلي والتنوع الخارجي .
٢) الإنتاج الفوري المتقارب والاستهلاك الفوري .
٣) الطبيعة الصناعية .
٤) الإعلان وتزايد أهميته في وسائل الإعلام والاتصال الجماهيري .

ويمكن أن تلبي السياسية الإعلامية حاجات المجتمع من تعليم وثقافة وترفيه من خلال :

١) غرس القيم والفضائل والسلوكيات الإيجابية ومعالجة ما هو سلبي في داخل المجتمع البيئي والأخذ بيده للحاق بتكنولوجيا العصر في استخداماته الحياتية .

٢) توظيف الطاقات الإبداعية الخلاقة داخل الأجهزة الإعلامية لتقديم تصورات مبتكرة وجذابة تتعامل مع عقول الجماهير وقادرة على النفاذ الى وجدانهم ، مع إتاحة الفرصة أمام المبدعين فى كافة المجالات للبروز على سطح المجتمع وخدمته والإسهام فى نهضته ورقيه .

٣) الاهتمام بالقوى البشرية المنتجة وتصحيح مفاهيمها الخاطئة وسلوكياتها السلبية التى تنعكس على العملية الإنتاجية .

٤) تطوير القنوات التلفزيونية الإقليمية ، بحيث تكون مغرقة فى المحلية وأكثر ارتباطاً بجماهيرها لتكون جبهة جاذبة تستقطب جماهيرها البينية فى مواجهة الغزو الثقافى القادم من القنوات الفضائية . مع الاهتمام بقضايا الشباب والعمل على تثقيفه علمياً ومعرفياً ودينيا حتى لا يقع فريسة للمفاهيم الخاطئة والتى تنعكس بدورها سلبا على المجتمع .

٥) الاهتمام بالأطفال والأخذ بيدهم نحو معرفة المظاهر الكونية والظواهر الطبيعية وما يحيط بهم من كائنات أخرى . وتعريفهم بحضارتهم وغرس القيم والمفاهيم الصحيحة فى وجدانهم . وذلك بأسلوب سهل مبسط يتسم بالتشويق حسب أعمارهم السنية .

٦) الاهتمام بالمرأة وتوجيهها الوجهة التربوية السليمة والتركيز على أهمية دورها فى تربية النشء والعناية بهم والأساليب المثلى لمعاملتهم .

الإعلام والثقافة والتجديد التربوى :

تدور معظم الكتابات حول وظيفة الإعلام ودوره فى المجتمع وتحاول أن تميز بين ثلاثة أهداف أساسية له وهى :

١) نقل وتوصيل المعلومات للآخرين .
٢) محاولة التأثير فى آراء الآخرين وتشكيلها .
٣) الترفيه والتسلية وتمضية أوقات الفراغ .

تتشــابك هذه الأهداف وتتفاعل معاً وتتكامل مع بعضها ، مما يمكن القول بأن المــادة الإعلامــية تحقــق هذه الأهداف الثلاثة معاً فى وقت واحد ، ولكن بدرجات مــتفاوتة ، ومــع ذلــك فإن السياسة الإعلامية التى ترسمها الدولة لنفسها كثيراً ما تعطــى أولــوية نســبية لأحد هذه الأهداف على حساب الهدفين الآخرين ، وتسخير وسائل الإعلام والاتصال الجماهيرى لخدمة هذا الهدف .

ولكــن ســواء أكــان محــتوى العملية الإعلامية وهدفها هو الكشف عن أهم الاتجاهــات والآراء والمواقــف الســائدة بالفعــل فى المجتمع ، أو إصدار تعليمات وتوجــيهات خاصــة تعبر عن سياسات وأيديولوجيات معينة تريد الدولة عن طريق الإعــلام نشــرها بين الناس وتغيير الآراء السائدة بينهم أو أن يكون المحتوى مادة تــرفيهية لشغل وقت الفراغ ، فإن جوهر العملية الإعلامية يقوم دائما على الاتصال أو التوصل وعلى توصيل المعلومات ونقلها ونشرها على أوسع نطاق ممكن .

ولقد مر الإعلام بأربع ثورات هى :

الثورة الأولى : والتى تمثلت بظهور المطبعة .

الثورة الثانية : والتى تمثلت بظهور وكالات الأنباء .

الثورة الثالثة : والتى بدأت مع استخدام التقنيات الحديثة فى وسائل الاتصال مــثل السينما والإذاعة والتلفزيون ، ومن علاماتها أن هذه الوسائل زاحمت الوالدين والمدرســين فــى نقل العلم والمعرفة للأفراد ، وأصبح جزءاً كبيراً من التعليم يحدث خارج الفصل الدراسى . وأصبحت الكمية الفائقة من المعلومات التى تنقلها الصحف والمجلات والأفلام والإذاعة والتلفزيون تفوق بكثير كمية المعلومات التى ينقلها معلم الفصــل وهــذا الــتحدى حطم احتكار الكتاب كمساعد أساسى فى العملية التعليمية . وأحدث شرخاً فى حائط الفصل الدراسى أدى إلى نوع من الإرباك .

وثمــة محــاور أساســية تحكم العلاقة الإعلامية بين العالم المتقدم الصناعى والعالم الثالث وهى :

١) محـــور التبعـــية الثقافـــية والإعلامية من جانب العالم الثالث للعالم الرأسمالى الصناعى المتقدم .

٢) محور الاستقلال الإعلامى الذى تجسد فى محاولات العالم الثالث على المستوى القومـــى لإنشـــاء تكـــتلات إعلامية إقليمية وقومية وأبرزها وكالات أنباء عدم الانحياز .

٣) محور الصحافة فقط ، مع عدم تجاهل وسائل الإعلام الأخرى سواء المسموعة أو المرئية وتشمل الإذاعة والتليفزيون والسينما .

وخـــلال الســـبعينيات ظهرت مؤشرات جديدة تدل على تجدد واستمرار الثورة الإعلامـــية الثالثة ، واتضح للعلماء لأن هناك جوانب من السلوك الإنسان تؤثر فيها وسائل الإعلام ولم يكن ذلك معروفاً لديهم قبل السبعينات .

كما بزغ عدد من الموضوعات الهامة التى أدت إلى اتساع مفهوم تأثير وسائل الإعلام فازداد الاهتمام بموضوعات مثل : دور النمو المعرفى عند الأطفال فى فهمهم البرامج التليفزيونية وما إذا كان المعنى الذى يستخلص من الرسالة المطبوعة يدرك بـــنفس الطـــريقة التـــى تستخلص من التلفزيون ، ثم دور وسائل الإعلام فى النمو الاجتماعـــى والاقتصـــادى وبالتالـــى أصـــبح لوسائل الإعلام دور فى تكوين الصور الذهنـــية عـــند الأفـــراد عن الدول والمواقف والأحداث بل يمكن القول أنها تؤثر فى الطـــريقة التى يدرك بها الناس الأمور والطريقة التى يفكرون بها وفى سلوكهم نحو عالمهم الذى يعيشون فيه .

وتنقسم التأثيرات التى تحدثها وسائل الإعلام الحديثة إلى نوعين :

الـــنوع الأول : التأثير المتعاصر وهو الذى يؤثر فى الأفراد الراشدين ، حيث يحـــدث للأفراد وهم فى سن البلوغ والنضج فيما بعد عبورهم مرحلة الطفولة ، وفى هذه المرحلة العمرية يتم التفاعل بين شخصية الفرد الذى يتعرض للرسالة الإعلامية والرسالة الإعلامية ذاتها .

النوع الثانى : التأثيـر النمائى : وهو الذى يؤثر فى الأطفال ويتم بدراسة أثر وســائل الإعلام فى سلوك الأطفال خلال فترة نموهم من الطفولة وحتى البلوغ وهذه الدراسات بدأت مع ظهور التلفزيون .

الــثورة الإعلامــية الــرابعة : وهى حرب جديدة تسبق « حرب النجوم » العسكرية ، ويمكــن أن نسميــها « حرب الصور » التى تخترق الستائر الإلكترونية بــين الدول وتقلب الموازين فتسقط الحواجز والموانع وتنكشف مناعات المجتمعات المغلقــة بانحسار قدرة شبكات التشويش ، وهى ثورة البث التلفزيونى الشامل عبر الأقمــار الصــناعية ، حــيث أزالــت الحدود بين الشعوب وبين الدول والقارات ولم تســتطع أن تمنعها أجهزة التشويش ، الأمر الذى يدعو إلى ضرورة تكثيف الجهود العــربية فــى مجــال التعاون الإعلامى والترويج للإنتاج الإعلامى بواسطة الأجهزة العــربية وفى صورة تبادل وإنتاج مشترك ليس فى المناسبات فقط ولا فى المنوعات فقــط ، بل فى مختلف المجالات ليس لمواجهة الواقع الراهن بل لدخول عتبة الثورة الإعلامية الرابعة .

إن الــدور المؤثــر والفعــال الذى تتمتع به وسائل الاتصال والإعلام وقدرتها الكبيرة على الإسهام الفعال فى بناء الإنسان بناءاً فعالاً صحيحاً وبخاصة فى العادات المرزولة والقيم السلبية التى تمسك بخناقه ، لاسيما أنه لا يمكن تحقيق أدن درجات الــتقدم والــنمو بدون طاقة بشرية سليمة النفس صحيحة الفكر متجاوبة مع ظروف الحياة وأوضاعها المعاصرة ، لأن الإنسان هو الهدف وهو المحور الذى تدور حوله كــل الجهود للارتقاء بالمجتمع وإقامته من عثرته ودفع عملية النشاط والحياة به . ولــن يــتم ذلــك إلا فى إطار خطة عملية متكاملة تأخذ فى اعتبارها كافة المتغيرات والعــوامل التــى تســيطر على الحياة فى المجتمع بجوانبها الاجتماعية والاقتصادية والسياسية والثقافية .

وأى خطة تنموية تغفل الإنسان وتتجاهل عقله ووجدانه سيحكم عليها بالفشل لأنهــا استثمار لا قيمة له ولا جدوى مما ورائه ، بعدما تبين أن العنصر البشرى هو

المكون الرئيسى والأساسى فى بناء الأمم . ولذلك وجب مشاركته فى عملية الاتصال من خلال المناقشة وإشباع رغبته في المعرفة والحوار البناء . فهذه تعتبر مسألة جوهرية لتكوين الفكر السليم . وحرمان الجماهير من المعلومات السليمة والحقائق التى تتناول قضاياهم وتعالج شئونهم سوف تؤدى إلى خلق جو من التوتر وعدم الثقة . كما يسهم فى إيجاد هوة التصديق بين أجهزة الإعلام والجماهير .

استراتيجيات تجديد ونماذج اعلامية :

توجد ثلاثة استراتيجيات للتجديد فى التعليم ونماذج إعلامية لنشرها فى المجال التربوى كما رصدها هنداوى حافظ وهى :

أولاً - استراتيجيات التجديد فى التعليم Strategies of Innovation . وتشمل :

أ) استراتيجية القوة القهرية . **Power Coercive**

ب) استراتيجية إعادة التعليم المعيارية . **Normative re-educative**

ج) استراتيجية البحوث التطبيقية . **Applied Research**

مع ملاحظة هامة يجب مراعاتها عند وضع الاستراتيجية المناسبة لنشر البديل التجديدى تتمثل فى أن عملية التخطيط لوضع الاستراتيجية تعتبر فى المقام الأول مسئولية مشتركة بين نظامى المستفيدين ووكالة التغيير . لذا ... لابد من توافر نظام اتصالى جيد يستطيع أن يوفر المعلومات اللازمة لحل المشكلات التى تواجه تطبيق البديل والتخطيط لتحسينه .

ثانياً - النماذج الإعلامية لنشر التجديدات التربوية :

تتمثل هذه النماذج فى نوعين أساسيين :

(١) النماذج الخاصة بالعاملين فى الحقل التعليمى :

لاشك أنه من المهم انتشار التجديد التربوى وتعميمه . لتحقيق الغرض منه . الا أن هناك بشكل عام تباطؤ ملحوظ فى انتشار تجارب التجديد التربوى . ويرجع

ذلك إلى الأفراد من ناحية والمقاومة الاجتماعية من ناحية أخرى . ويضاف إلى ذلك أن عددا كبيرا من أولئك الذين يعتمد عليهم التطبيق والتنفيذ لا تتوافر لديهم المعرفة بوجـــود طرق أفضل ونماذج أحسن وأساليب إدارية أوقع ، يمكن استخدامها لتحسين عملهم .

كمـــا أن عدم المعرفة بالأساليب الجديدة أو بالتجديد التربوى التى تحدث تعوق عملـــية انتشـــارها ، ومـــن ثـــم فإن للإعلام دور هام فى انتشار الإصلاح والتجديد التـــربوى حـــيث أن الكثير من المعلمين لا يتبنون التجديد لأنهم لا يعرفون الأساليب الجديدة والمستخدمة فى مدارس أخرى لحل مشكلات معينة أو أساليب إدارية جديدة خاصة بنظم الإدارة .

وهناك عدة نماذج تستخدم فى نشر المستحدثات التربوية ومنها :

(أ) **نموذج البحث والتطوير والنشر** :

Research Development and Diffusion Model

(ب) **نموذج التفاعل الاجتماعى** : **Social Interaction Model**

والـــذى يعـــتمد فى نشر المستحدثات التربوية داخل المؤسسات التعليمية على العلاقات الإجتماعية باعتبار أن تلك المؤسسات نظام اجتماعى .

(ج) **نموذج حل المشكلة** : **Problem-Solving Model**

يقـــوم هـــذا النموذج على أساس أن عملية التجديد تعتبر جزء من عملية حل المشكلة التى تأتى من جانب المستفيدين ويختلف نظام المستفيدين فى حجمه ودرجة تعقـــده ، فقـــد يكـــون مدرسة أو فصلا دراسيا أو قطاعا تعليميا أو إدارة تعليمية أو النظام التعليمى على المستوى القومى .

(٢) **النموذج الخاصة بالجماهير** :

يعد حق الجماهير فى الحصول على أية معلومات عن أ مستحدث فى أى مجال وخاصـــة المجـــال التربوى ، جزءا هاما من التغيير الأوسع أفقا عن حق الشعب فى

الاتصـــال ويعـــد إجراءاً تبادلياً بين الشعب وكل من القائمين على الأجهزة الإعلامية ووكـــالات الـــتجديد ، ويؤكد هذا الحق الاتفاق الذى وقع من قبل الدول الأعضاء ف اليونسكو فى الاجتماع الذى عقد فى نيروبى عام ١٩٧٦ على أنه : « لا ينبغى بحث أى مشـــكلة متعلقة بتحصيل الجمهور للمعلومات والأخبار مع إهمال مسألة مشاركته فـــى العملـــية الإعلامية ، لأن الإعلام والمشاركة مفهومان يرتبط كل منهما بالآخر بشكل وثيق حيث أن هذه العلاقة متضمنة فى صميم مبدأ الديمقراطية » .

وتعـــتمد عملية نشر المستحدثات على مصادر اتصالية مختلفة ، منها وسائل الاتصـــال الجماهيـــرية والـــوكالات الرسمية والاجتماعية غير الرسمية ، وتلعب تلك الوســـائل دوراً بارزاً فى عملية التعريف وإدراك المستحدث والإقناع بقبوله .. وثمة مجمـــوعة مـــن الإجـــراءات طرحها أيضاً هنداوى حافظ يمكن أن يسهم بها الإعلام إسهاما فعالاً فى التعليم من خلال :

١. ادخـــال علم الاتصال والإعلام التربوى وعلم التجديد التربوى ضمن برامج إعداد المعلمين .
٢. إنشـــاء مراكز للبحوث التطبيقية كعامل للتجديد التربوى بكل محافظة تكون تابعة لـــوزارة التـــربية والتعليم مع إنشاء مدارس نموذجية تجريبية لتطبيق وتجريب الـــنماذج الـــتجديدية فـــى مجـــال التعليم ، على تشرف كليات التربية على تلك المدارس .
٣. إيجـــاد اتصال فعال بين مراكز البحوث الأساسية المتمثلة فى كليات التربية وبين مراكز البحوث التطبيقية التابعة لوزارة التربية والتعليم فى إنشائها .
٤. إيجـــاد اتصال فعال بين مراكز البحوث الأساسية المتمثلة فى كليات التربية وبين لجـــنة التعلـــيم والـــبحث العلمى بمجلس الشعب لكى تسترشد الأخيرة بآراء تلك الكليات عند بحث أى قانون خاص بالتعليم .
٥. إيجـــاد اتصـــال وتـــبادل معلومات فعال بين مختلف كليات التربية لتدارس كافة أشكال التجديد التربوى على مستوى الجمهورية .

٦. أن تمــارس الصـــحافة والتلفزيون والإذاعة دورها الفعال من خلال عرض كافة وجهـــات النظر فى مختلف القضايا التعليمية بحيث لا يعد ذلك نوعا من الخلاف مع القيادة السياسية ولكنه مصدر هام للمعلومات .

٧. أن يصـــدر كل مركز بحثى من مراكز كليات التربية مجلة دورية تربوية تعرض أهم المستحدثات التربوية .

٨. أن تصـــدر مراكز البحوث التطبيقية التابعة لوزارة التربية والتعليم مجلة دورية تربوية تطرح فيها كافة المعلومات عن التجارب والمستحدثات فى مجال التعليم.

مقدمة :

إن تحلـــيل أصـــل التعـــريف الاجتماعـــى للطفـــل كموضوع ثقافى والشروط الاجتماعـــية لانتشار هذا المفهوم فى السنوات الأخيرة ــ يعتبر من الأولويات لإبراز الوظائـــف التـــى تملـــؤها الثقافة والمؤسسات الثقافية التى هى مكلفة بتبليغها سواء المقصـــودة وغير المقصودة لمختلف الطبقات الاجتماعية ــ تلك الوظائف التى يمكن الكشـــف عـــنها بواسطة تركيب نسق العلاقات التى تقيمها هذه المؤسسات وبخاصة المدرســـة بإشـــكال التبلـــيغ الثقافـــى فى كافة الطبقات ، ولعل أهم الشروط اللازمة لاكتشـــاف الطفـــل كموضـــوع ثقافـــى والتى ساعدت أو ساهمت فى إحداث التعريف الثقافى للطفل وهى :

١- انتشار التربية المدرسية .

٢- التغيرات الاجتماعية للأسرة .

٣- مركز المرأة داخل الأسرة وخارجها .

٤- نمو وانتشار المعارف السيكولوجية .

الحركية الاجتماعية والتحولات الثقافية :

إن تعـــريف الطفـــولة كموضوع ثقافى لا يمكن فصله عن إعادة تعريف الدور الثقافى للأم والتى يجد شروطها متوفرة فى الطبقات العليا والمتوسطة بصفة خاصة. والتى تخضع لثلاثة أسباب متضافرة هى :

١- دخول النموذج المهنى .
٢- تحرر المرأة من جزء من الأشغال المنزلية التقليدية .
٣- اتساع التمدرس .

ولقد أدى كل هذا فى تلك الطبقات إلى تقلص نسبى للأهمية التى تعطى للأشغال المنزلية التى أصبحت ثانوية بالنسبة للأشغال المهنية ذات الأجر من ناحية وإلى تنظيم وعقلنة نسبية للشغل المنزلى الذى أصبح يمارس وبصفة خاصة فى الطبقات المتوسطة الجديدة على نمط النشاط المهنى .

هذه التحولات بجانب المحددات الاقتصادية المرتبطة بممارسة عمل مأجور كان لها أثر كبير فى الطبقات العليا والمتوسطة خاصة ، حيث يعطى القلق المدرسى القائم على اتساع دور المدرسة فى إعادة إنتاج المركز الاجتماعى أهمية كبرى للنقل الثقافى عبر المؤسسات الثقافية وأدواتها المختلفة كالكتب وغيرها .

لذا كانت هذه بعض العوامل التى أدت إلى طلب التربية وتنشئة الأطفال وإلى وجود استعدادات لمعاملة الطفل كموضوع ثقافى ، فلا زال هناك عامل آخر ساهم إلى حد كبير فى تقديم مضمون لهذه الاستعدادات . فقد كان الطلب على التربية والاستعداد البيدانموجى أن يجدا تحديدا دقيقا للطفل الذى يجب تربيته ، أى تعريف لإمكانات الطفل وتعريفا للمضمون الذى يجب أن يلقن له .

ولذلك فإنه توجد عوامل أخرى بجانب التربية المدرسية والتغيرات التى عرفتها الأسرة وإعادة تحديد الدور التربوى للأم وهى ضرورة اكتشاف الطفل كمتعلم فكرى وإلى اختراع النشاطات الفكرية العملية التى تتمشى مع هذا السن .

فالخطاب السائد اليوم حول ثقافة الطفل العربى يتميز بكونه معاصرا لتكوين الطبقات الوسطى الجديدة المشبعة بالتربية المدرسية والثقافة المدرسية . ولها الاستعدادات الثقافية للمطالبة بثقافة للطفل كما تطالب بثقافة لها. (تارة وطنية وتارة إسلامية وثالثة عربية ، دون أن ندرك أين تنتهى الأولى وأين تبدأ الثانية . والعكس).

إن واقــع ثقافة الطفل العربى يجعل منها ثقافة خارج عالمها وخارج الشروط الفعلية لتحقيقها ومعرفة تفرضها ثقافة الكبار (التى ترجع الثقافة إلى وضع سابق لا علاقة له بالحاضر) وليس بطريقة مستقلة واعية ومدعمة بوسائل ــ مادية وبشرية ــ ومؤسسات تساعد على هذا الاستقلال ، حيث أصبحت الشروط الثقافية اليوم أكثر مــن الشــروط الاقتصــادية والاجتماعية لعيش أكثر الأطفال ، هى التى ترغم على الحصول على حقيقة الطفل والطفولة . وحين يكون الخطاب اليوم حول الثقافة ومن أجــل ثقافة الطفل ، يمكن اعتبار هذه الشروط الأولية كاختبار لصدق النوايا ولحقيقة الالتــزام وكــذلك لوعى التحاليل المقدمة عن وضعية الطفل وفهم الظواهر المرتبطة بالطفولة. بل والمساهمة فى خلق وضع جديد (قانونى ــ اجتماعى ــ ثقافى) للطفل ســوف يــتمكن هذا الأخير من تأكيد ثقافته بنفسه ومن أحداثها بأحداث نفسه . هذه الحقيقة الجديدة تتطلب منا جميعا إلى التفكير فيها والعمل بها أن نقوم بمراجعات فى عالمنا الذهنى أو نعيد النظر فى تصنيفات إدراكنا السياسى والاجتماعى .

إن انخــراط المجــتمع العربى فى عصر الحداثة التكنولوجية والتنظيمية أدخل هــذا المجــتمع فــى عصر تسارع التحولات وتراكمها ، فالحداثة لم تترك المجتمع العربــى مطمئنا إلى ذاته ومستلذا بصورته المطابقة فى وعيه بل قذفت به فى أتون التغيــر على عدة مستويات ، وأول هذه المستويات هو المستوى الديمقراطى ، حيث وفــرت الإمكانــيات الطبــية والصحية الجديدة ظروفا أحسن لارتفاع نسبة المواليد بالقــياس لنســبة الوفــيات . وتدل الإحصائيات إلى أن التزايد السكانى العربى يسير بوتيرة ٣,٥ % ، إذ يتضاعف عدد السكان فى الوطن العربى فى كل ٢٤ سنة . فقد كــان هذا العدد فى عام ١٩٧٥ يقدر ١٤٢ مليون نسمة وأصبح عام ١٩٨٩ يقارب ٢٠٠ ملــيون نســمة حسب التقديرات الإحصائية ، بل أن هذا انعكس بشكل واضح على الهرم السكانى نفسه حيث أصبح هرما شابا بمعنى الكلمة .

لقــد أدهــت مداهمــة الحداثة التكنولوجية للمجتمع العربى إلى اندثار أنشطة إنتاجــية كالصناعات التقليدية وبعض الأساليب العتيقة فى الزراعة والرى ، كما أدت

إلى حدوث تفكك فى علاقات التعاضد التقليدية العمودية والأفقية ، وإلى حدوث تفكك فى بعض البنيات الاجتماعية والقيم الملازمة له . وفى هذا السياق تم اكتشاف المرأة ككائن قادر على بذل عمل اجتماعى وككائن له نفس الحقوق المنسوبة للرجل نظريا على الأقل .

وإذا كان هذا التحديث هو العقلنة ، فإن تحديث البنيات الاجتماعية والاقتصادية هو أداة صهرها فى بوتقة واحد وإكسابها تجانسها يعطيها فعالية جديدة تخرج بها من عطالتها التقليدية .

ومن هنا فإن الأمة العربية وهى تعانى تمزقاتها الداخلية وهزائمها الخارجية مطالبة بأن تبدع مشروعها الحضارى المقاوم الذى لابد له أن يكون متناغماً ومتكاملاً فى أبعاده الوطنية والقومية والإنسانية وبالتالى فإن النظام القومى فى أفقه المستقبلى ينبغى له أن يكون مستشرقاً الأبعاد الإنسانية فى ذات الوقت الذى تؤكد فيه الذات العربية والشخصية الإسلامية أن الثقافة العربية التى تتولد اليوم فى آتون هذه الملحمة التاريخية مطالبة بإبداع علمى وحضارى يضعها فى إطار تاريخها وسياق عصرها ويكون معقوداً لها من خلال العطاء ولتضحية أن تسهم فى إغناء الثقافة العالمية وإضفاء روح التسامح والحوار والتوازن حتى يمكن خلق ظروف دولية جديدة تسمح بإقامة مجتمع العدالة والمساواة فى حقوق الإنسان .

ولعل من الشواهد الخطيرة التى تهدد الكيان العربى — هو الطعن فى اللغة العربية والثقافة العربية وباسم الديمقراطية وحقوق الإنسان ، حيث يظهر من يدعو اليوم جهاراً إلى استخدام اللغات الأجنبية واللهجات المحلية بديلاً عن اللغة العربية . هذا بالإضافة إلى الدعوة إلى الكونية والدولية وغيرها من المصطلحات التى تهدد الثقافة والهوية العربية والإسلامية .

فلا شك أن اندماج وتماثل البنيات الاجتماعية لن يكون فقط مطلباً من مطالب التحديث بل سيوفر شروطاً قاعدية للاندماج الوحدوى العربى المستقبلى ، ومن ثم

يـتم الـتحول مـن الحركية الاجتماعية إلى التحولات الاندماجية على مستوى الأمة العـربية ، فـى ظل نظام عالمى قد تسوده الأفكار والأيديولوجيات الكونية والدولية العالمية ولكن مع الحفاظ على الهوية الثقافية العربية الإسلامية فى ذات الوقت .

نحو نظام ثقافى عربى جديد :

يكاد يقتصر مفهوم الثقافة فى الدراسات العربية غير التخصصية على الفكر ، ويـتم اسـتبعاد المكونات الأخرى ودراستها داخل مجالات مختلفة ، كالشريعة وفقه المعـاملات والتراث ونظرية الأدب والفن والموسيقى ، ولعل السبب فى ذلك هو علم الإناسـة – الذى أعطى لمفهوم الثقافة أهم مضامينه – لا زال يحتل حيزاً ضيقاً فى الدراسـات العـربية ، ممـا يجعل نظرتنا إلى الثقافة نظرة فكرية أكثر منها إناسية خصوصـا إذا وضـعنا فـى عين الاعتبار أن علم الإناسة يطرح على العرب وسكان العالم الثالث عموماً مشاكل تكاد تكون مستحيلة التجاوز .

فهـناك بـلا شك وحدة ثقافية عربية يشترك فيها معطيات كثيرة كوحدة اللغة ووحـدة القضايا الثقافية ووحدة منطق القراءة ، وهذه بلا شك تصنع سوقاً مفتوحة لتداول الكتاب والوثائق والمعلومات .

إن الـثقافة العـربية الإسلامية هى تعبير حى وأصيل عن تراثنا وواقعنا وهى تعبيـر صادق عن هويتنا القومية ووحدتنا فى مواجهة الاغتراب والنزعات الطائفية والمذهبـية والحفاظ على خصوصيتنا وقيمنا الحضارية الأصيلة وفى مواجهة التبعية والتخلف بأشكاله المختلفة .

كمـا يجب أن تساهم ثقافتنا العربية الإسلامية فى بناء مجتمع مدنى ديمقراطى عصـرى جديـد تختفى فيه كل آثار الخوف والإرهاب والدكتاتورية وتسوده حقوق الإنسـان والعدل الاجتماعى وقواعد العدالة المقررة فى النظم القانونية المتمدنة التى لا يوجد فيها شخص فوق القانون .

إن وجود مستقبل عربى قوى ومتين يعتمد أولا وأخيرا على بناء الإنسان بناء حـرا وسـليما . فالمجـتمع الحـر ينشئ إنسانا حرا . فالثقافة العربية هى أرضنا المشـتركة وأن حـدود وطنـنا الذى نعترف به وننتمى إليه هى حدود انتشار اللغة العـربية . وذلـك لأن مفهوم الثقافة العربية يشير إلى تراث الأمة العربية التى تمت المحافظـة عليه وتوارث عبر الأجيال من خلال التربية . سواء تراث مكتوب أو غير مكـتوب يتضـمن معارف ونسقا للقيم ومعتقدات واضحة ومفصلة ولغة غنية تغطى جمـيع احتـياجات التخاطب الرمزى بين الأفراد . وهو تراث ينطو علاقات الفرد مع ربه ومع الأفراد القريبين منه والبعيدين عنه . كما يتضمن إمكانية التطوير والتغيير والتأثير فى الثقافات الأخرى .

فلهـذه الثقافة جذور ضاربة فى التاريخ القديم ، وهى ثقافة غنية حيث تمكنت بعـض جوانبها وخصوصا المعرفى من تقديم مساهمات هامة لتطوير ثقافة الإنسانية وبالتالـى .. لسـنا بحاجـة إلى التذكير بأهمية العامل الثقافى فى التحولات العاصفة الجاريـة الآن على المستوى العالمى بأسره وفى جميع المجالات فالانفجار المعرفى المسـتمر منذ عقود طويلة والثورة التكنولوجية فى وسائل الاتصال والتأثير ساهمت فـى بلـورة ما يسمى بالثقافة العالمية أو الثقافة الكونية . ذات القدرة الهائلة على الاختراق والتأثير فى أى رقعة من العالم .

لـذا ... فـتحديات الثورتين التكنولوجية والإعلامية من جهة وتشابك الأنظمة من جهة أخرى وقدرة الثقافة الكونية القادرة على اختراق الثقافات المحلية والقومية من جهة ثالثة ، تطرح على الثقافة العربية أسئلة محددة لا يمكن تأجيلها أو الهروب منها .

فالثقافة العربية مرغمة على مواجهة المتغيرات الدولية الراهنة والتعامل معها مـن موقـع القادر على الأخذ والعطاء لا من موقع الرفض العبثى أو الاحتماء وراء التقليد أو الاكتفاء باستيراد الثقافة الاستهلاكية واستهلاك ما ينتجه الغير من إبداعات

علمـــية وتكنولوجـــية ، ومن ثم يمكن ظهور مفهوم " نحو نظام ثقافى عربى جديد " ويتم ذلك من خلال محورين أساسين هما :

المحور الأول : تحديد طبيعة النظام الثقافى العربى الراهن ومكوناته البنيوية وآلية عمله وإمكانية التجديد فى داخله .

المحـــور الثانـــى : تحديد مفهوم العروبة المحددة لطبيعة هذا النظام الثقافى الجديد فى عالم متغير تسوده القفزات النوعية عن طريق توحيد القوميات والأعارق واللغات والثقافات والأنظمة السياسية وذلك بهدف الوصول إلى نظام كونى أو عالمى جديـد تسـعى لقيادته الولايات المتحدة الأمريكية بعد انسحاب الاتحاد السوفيتى من المنافسة على الصعيد الدولى .

إن ولادة هذا النظام يحتاج إلى دور مميز للمثقفين العرب داخل الوطن العربى بالدرجـــة الأولى لإحياء وتنظيم المجتمع العربى وإعادة الاعتبار للثقافة الإبداعية فى تنميته وتطويره وتوحيده .

الثقافة والإعلام والتربية ... الوضع الراهن :

تشـــير الإحصـــاءات الحديثة إلى أن نسبة صغار السن فى مصر ــ الذين تقل أعمـــارهم عـــن ١٥ سنة ــ تبلغ ٤٥ % من عدد السكان ، وهذا الرقم الكبير يطرح ســؤالا فـــى غاية الأهمية : كيف تكون صورة هذه النسبة الكبيرة حينما يصلون إلى ســن العطـــاء ويصـــبحون عماد الدولة فى دفع عجلة الحياة ، وفى التعامل مع كل المشاكل الاجتماعية بكل أبعادها الاقتصادية والسياسية والثقافية التى ستواجههم .

وبمـــا أن نســـبة الأمية بين النساء فى مصر تصل إلى ٧١ % وقد تصل إلى أكثر من ٩٠ % فى أقاصى الريف ، تصبح مسئولية الإذاعة والتليفزيون بما يملكان من قدرات ، مسئولية جسيمة فى نقل المعرفة إلى المرأة ، وشتان بين الطفل ترعاه وتقوم على تنشئته أم متحضرة مستنيرة وطفل آخر ينشأ فى أحضان الجهل والتخلف

.. وفـــى مجتمع ترفع فيه نسبة الأمية بين الأطفال وخاصة فى الريف نتيجة تسربهم مـــن المدارس ومن التعليم الإلزامى ، فى مجتمع كهذا يقل الاهتمام بالقراءة وتنعدم حيث توجد الأمية ... وبالتالى يبرز دور وسائل الإعلام المسموعة والمرئية فى نقل المعـــرفة والتـــربية فـــى سن ما قبل المدرسة حتى قيل أن الجيل الجديد يقوم على تنشـــنته هـــمَ ... الأم ــ الأب ــ والتليفـــزيون ، وهذا ما نعنى به هنا التربية غير الشكلية .

لـــذا ... فإن التربية غير الشكلية لها عظيم الأثر فى تربية النشء فى سنواته الأولـــى .. لهـــذا فـــإن ثبات المفاهيم التى تبثها الوسائل الإعلامية عبر الأثير وعلى الشاشـــة الصـــغيرة ضـــرورى من الناحية التربوية والتعليمية ــ فمثلا عندما تشن وســـائل الإعلام حملة ضد التدخين ونجد الأفلام السينمائية والمسلسلات التليفزيونية التـــى يعرضـــها التليفزيون مليئة بالمدخنين ، فأى الرسالتين الإعلاميتين يكون أكثر تأثيـــراً على نفسية الطفل ، وأيهما أصدق ، كما أن برامج التليفزيون تعرض العنف والقســـوة والسلوك المنحرف بدرجة خطيرة تؤكد أن المواجهة الأولى للطفل بالنسبة للعنف والسلوك الوحشى تحدث على شاشة التليفزيون .

وسائل الإعلام الثقافى والإبداع الأدبى والفنى :

يتميـــز عالم اليوم بسلطة وسائل الإعلام على نحو يجعل منها ظاهرة لم يسبق لهـــا مثـــيل فى تاريخ البشرية ، بالإضافة إلى تنوع وسائل الإعلام هذه فإن التطور التكنولوجى العلمى والاجتماعى يضيف إليها الجديد باستمرار .

ويقصد بوسائل الإعلام جملة وسائط الاتصال المقروءة والمرئية والمسموعة. وأهمـــية هـــذه الوســـائل لا تتمـــثل فـــى الدور الإخبارى والتثقيفى فحسب ، بل أن خطورتها تتجلى على الخصوص فيما تمارسه من تأثير تبعاً لذلك فى توجيه السلوك وتغييـــر الرأى والاتجاه ، مما يجعلها لا تقف عند حدود النقل والوصف ، بل تتعدى ذلـــك إلى خلق ظروف التوقع وصنع الظاهرة ، إن الصورة التى ترسبت فى الأذهان

عـن الهـنود الحمـر وعن الشعوب البدائية وعن أسطورة اليهودى المضطهد ، بل وصورة العربى الإرهابى .

إن وسـائل الإعـلام والاتصال ذات خطورة أصبحت تمثل أهم صناعة تضاهى صـناعة السلاح ، بل تفوقها باعتبارها صناعة للفكر والوجدان ، بل أنها من منظور آخر تمثل أقوى سلطة بجانب سلطة الدولة أو معها .

إن أهـم وسـائل الإعـلام ذات العلاقـة المباشرة بعالم الإبداع وقضاياه هى المتمثلة فى السينما ومشتقاتها من تليفزيون وفيديو والصحافة الثقافية بما تمثله من ملاحـق ثقافية منتظمة ومجلات . كما أن الصناعة السينمائية للإبداع تمثل الفرصة الممكـنة لوضع المواطن العربى فى تاريخه الواقعى والممكن بكيفية تلقائية وباتصال مباشر وعلى الخصوص بتجاوز المناهج الأكاديمية والمصطنعة ، فماذا نجد من هذه العلاقـة بين الإبداع الأدبى والعمل السينمائى فى المجتمع العربى ؟ وما هو المظهر العام للعمل السينمائى العربى ؟ إنه باختصار كما يلى :

١- سيادة الابتذال بدعوى النزول إلى مستوى الجمهور وتلبية رغباته .
٢- محدودية الأعمال الإبداعية المعتمدة فى الأعمال السينمائية .
٣- سيادة القطرية فى تبنى السينما للأعمال الإبداعية بالإضافة إلى عدم كفايتها .

أمـا وسائل الاتصال المقروءة وبخاصة الملاحق الثقافية والدوريات وهى التى تـبدو أقرب إلى طبيعة الإبداع الدبى وأكثر قابلية للاتصال الوثيق به فلا يمكن إنكار دورهـا فى التعريف بالإبداع الأدبى والفنى بل وفى توضيح الرؤى بما تتيحه وتفتحه من فرص التحليل والنقد والحوار الأمر الذى يدعو إلى ضرورة التنبيه بخطر التبعية الإعلامـية والثقافـية ودورها فى خلق القيم غير الإبداعية والترويج لها لترسيخها كقيادات فكرية أو مثل ونماذج .

ثقافة الطفل والوضع الراهن :

المـتأمل لما يجرى على الساحة الإعلامية حالياً يجد أن وسائل الإعلام تمجد جـوم السـينما والمسرح والراقصات والمطربات حتى قيل أن الملاهى الليلية تنتقل

يوميا إلى المنازل ويتشرب الأطفال أذواق الممثلين وأخلاق الممثلات ، فأين هذا كله من القيم الدينية والأخلاقية التى يتلقاها الطفل فى المدرسة ومن أبويه كما أن معظم وسائل الإعلام وعلى رأسها التليفزيون والسينما تظهر المرأة بصورة تتنافى مع الواقع ، وقد ثبت للعلماء أن التليفزيون والسينما يدعوان الشباب صراحة إلى الحب والغزل وشرب الخمر والتدخين إلى آخر هذه العادات الضارة التى تمتلئ بها الأفلام السينمائية والمسلسلات التليفزيونية وخاصة الأجنبية منها .

ويرى كثير من المربين وعلماء النفس أن تأثير التربية المدرسية على الأطفال آخذاً فى الانحسار يوماً بعد يوم أمام التربية الموازية التى يتلقاها الطفل عن طريق وسائل الإعلام ، والتى يزداد أثرها يوماً بعد يوم . خاصة عندما تجعل وسائل الإعلام من الثقافة والتعليم والمدارس والمدرسين مادة للضحك والاستهزاء . كما حدث فى "مدرسة المشاغبين" مثلا. أم عن الأعمال الفنية التى توجه للأطفال أنفسهم فقد ترك صناع السينما فى مصر أطفالنا نهبا لسينما الكبار التجارية بتأثيراتها السلبية بما تقدمه لهم من تشويه وتزييف للواقع الذى لم يتعرف عليه بخبراته ، وتتركه فريسة للحيرة والارتباك وعدم الثقة والشعور بالعجز والبلبلة وأحياناً الانحراف والتقليد الأعمى الذى ينتج أوخم العواقب . والملاحظ أن الأفلام التى صنعت خصيصاً لتخاطب الأطفال فشلت فى ذلك . فهى على الأصح أفلام من الأطفال وليست للأطفال ، وعلى الرغم من أن عدد هذه الأفلام قليل جدا بالقياس إلى الأفلام الروائية التى تقدم للكبار – إلا أن أكثرها لا يخاطب الأطفال بل الكبار فى طريقة العرض والتلقى ولا يعبأ بالأسلوب والمنهج الذى يحتاجه الصغار لفهم والتلقى وهى تقدم واقعا استاتيكيا لا حياة فيه ولا حركة بعيدا عن مقومات عالم الطفل التى تحقق له إشباعا للرغبات غير المسموح بها . أو تلك التى لا يقدر على إشباعها فى الواقع، كما تفتقد فى أغلبها النزعة الإحيائية التى تتمثل فى إضفاء الحياة على الكائنات مما يفقدها الحركة – فنجدها مثقلة بكم زائد من الحوار والتعليق .

ومن ناحية أخرى – يجب إلقاء الضوء على أهمية الكتاب للطفل فيجب

توفيره بسعر زهيد — فإذا راجعنا سجلات المكتبات العامة ومكتبات المدارس لودنا أن عدد من يستعملون هذه المكتبات لا يقارن عددهم بمثيلهم منذ سنوات مضت ، ومعنى هذا أن عادة القراءة فى تدهور مستمر . وحين نتحدث عن القراءة هذا لا يعنى الكتب المدرسية (المقررة) فهذه تأتى تحت بند التربية الشكلية (التعليم الرسمى) . فالتعليم أساسه مناهج موضوعة وكتب مقررة أما التعليم فهو متروك للاختيار الشخصى . ولقد كانت الدولة فى يوم ما تهتم بتنمية القراءة وكان التلاميذ يهتمون بالقراءة بين التلاميذ . فكانت تقرر كل عام كتباً كما كان يسمى بالقراءة الحرة باللغات العربية والإنجليزية والفرنسية . كانت تقام مسابقات كل عام ترصد لها جوائز مالية .

بهذه الطريقة انتشر حب القراءة الحرة قدر اهتمامهم بالدروس الرسمية ولكن ... الآن ... ماذا يحدث ؟؟؟

إن الآباء والأمهات لم يقصروا فى شراء الكتب لأبنائهم فحسب بل أن عدد كبير منهم ينهر الأبناء حين يرونهم يقرؤون كتاباً خارج منهج الدراسة . ويقولون لهم .. بدلا من تضييع الوقت فى هذا الكلام الفارغ اذهب واستذكر دروسك فهى أفضل .. .

أما عن وسائل الإعلام المرئية والمسموعة وطريقة تعاملها مع الصغار فهى الآن تقدم برامجها مصحوبة بالضوضاء " الشوشرة " مما يجعل الطفل لا يتلقى الرسالة وإذا تلقاها لا يفهمها . ولقد ظهر هذا واضحا أثناء الاحتفالات باليوم الدولى للطفل . فإن غالبية البرامج وإن لم تكن جميعها لم تستطع أن تصل إلى الطفل . مما يوجب على وسائل الإعلام غرس روح الابتكار والإحساس بالجمال فى نفوس الأطفال وتنمية النشاط الفنى لديهم .

وبالنسبة للثقافة العلمية للطفل . فإن كتب الطفل تميز صفة فريدة .. فهى على الرغم من أنها خاصة بالطفل .. إلا أنها وثيقة الارتباط بالكبار . فهى تكتب وتراجع وتباع وتشترى وتقرأ بواسطة الكبار . وأحيانا ما تكتب وفى مخيلة الكاتب أن قراءها من الكبار .

والشروط التى يجب أن تتوافر فيما يقدم من ثقافة علمية للطفل هى :

- أن تكــون مقــروءة بواســطة الطفل بعيدا عن الكتب المدرسية التقليدية فيما يسمى بالتعليم الحر .
- أن تحــتوى كتب الأطفال حتى الخيالية والأدبية والقصصية منها على قدر و.. يسير من العلم .
- أن تؤثــر فى المستوى الثقافى للطفل فتجعله متميزا بوضوح عن قرينه الذى يعتمد على الكتب المدرسية فقط .

وهــناك عــدة أســئلة تطرح نفسها فى هذا الصدد .. من يقدم الثقافة العلمية للطفل المصرى ؟ وكيف تخصص هؤلاء الكتاب فى هذا الفرع ؟ وما هو الحافز الذى دفعهم إلى ذلك ؟ وهل هناك رقابة على ما يقدم للطفل ؟

ولنشــر الثقافة العلمية بين الأطفال فى مصر يجب تخصيص نسبة ١٠ % من ..تاج دور النشــر للطفولة سواء لما يكتب لها أو يكتب عنها .. وفى المقابل يجب ..ى الدولة أن تشجع هذا الفرع بإعفاءات جمركية وضرائبية مطلقة لكل من يتناول ..يقــدم للطفــل ، ووضع ضوابط الإشراف بواسطة العلماء المتخصصين على المادة ..مقدمــة للصــغار . كمــا يجــب القيام بعمل دورات تدريبية للمعلمين خصوصاً فى ..ــرحلة الأولى من التعليم وذلك للارتقاء بالمستوى العلمى لهم . ويطالب أيضاً بأن ..ــوم الهيــئات العلمــية المتخصصة بمراجعة النصوص العلمية التى تقدم للإذاعة و..ليفزيون مراجعة دقيقة حتى لا يقدمان للأطفال مادة علمية خاطئة .

الكتاب مؤسسة تربوية :

بداية .. إن الثقافة الواسعة والقراءة الواعية تجعل القارئ ذا فكر ثاقب وعقل مميز لما يقرأ، وتأتى هذه الثقافة الواسعة الجادة فى المقام الأول عن طريق الكتاب، والفكــر الــثاقب والعقــل المميــز يكون لدى صاحبه حصنا واقيا لما يسمى بالتلوث الثقافــى الــذى يســعى الغرب وبعض المستشرقين إلى بثه فى كتبهم وتصديره إلينا وخاصة ما يمس المعتقد والفقه ، مما يشكل خطرا كبيرا على النشء واتجاهاتهم .

فمـــن هنا تظهر أهمية القراءة بعمق وكثافة ووعى وتركيز . فكل كتاب يقرأه الفــرد يضيف لحياته وخبراته حياة المؤلف وخبراته ، فبالقراءة يستطيع القارئ أن يعيش حيوات كثيرة بعدد من قرأ لهم .

ويـــتعدى دور المطالعة فتح العيون على الواقع ، إلى وعى القلوب وتعدى هذا الواقـــع بنظرة مستقبلية للتعرف على ما يدور حول الإنسان فى بيئته المحلية والبيئة الخارجـــية . لذلك كان الإنسان المثقف واع من جهة ومبدع من جهة أخرى ، واقعى فـــى تفكيره ، منسق مع ناموس الحياة والكون ، ذو نظرة نفاذة ، وينعكس ذلك على المجـــتمع ، فيـــتغلب على كل ما يتصدى من عقبات ، يتخطاها متخلصا من المشاكل سواء كانت داخلية المنشأ أو خارجية المورد ، عن طريق معالجتها بإشعاعات العقل الواعى . وذلك لأن الإطلاع ينمى العقل ليصل إلى الحقيقة .

الكتاب رمز وحدة العرب الفكرية :

الكتاب هو الأداة التى تعكس فكر الشعوب ومقدار تطورها وتقدمها كما يوضح جـــوانب حضـــارتها بالإضـــافة إلى الدور الخطير الذى يلعبه الكتاب كوعاء للثقافة ، وسجل لجوانبها المتعددة . وقد كان الكتاب وسيظل أهم وسائط حفظ التراث وتداوله بـــين الأجـــيال المتعاقـــبة . وسيبقى الكتاب هو السجل الأمين لحركة الفكر والثقافة والعلوم لكل أمة ولكل شعب .

والـــثقافة عـــنوان رقـــى الأمة ، ومرآة تتجلى فيها نهضتها وروحها وميدان تتـــبارى فـــيه الأمـــم عامـــة فـــى سبيل رفعة الإنسانية وإشاعة التفاهم بين الناس والمشاركة فى بناء الحضارة الخالدة .

فالأمـــة العـــربية الكبرى عريقة فى الحضارة وهى مهبط الأديان . ومهد من المهـــاد الأولـــى للفكـــر والثقافة ، وقد تحالفت عليها فى الحقبة الأخيرة عهود من الاحتلال والاستعمار طمست روحها وبلبلت أفكارها وشوهت معالم تاريخها ، وعملت فـــى إصرار دائب على الوقوف فى سبيل تحقيق الوحدة العربية الكبرى ، التى تهفو

إليها نفوس العرب جميعا إلا أن الحيوية لهذه الأمة النادرة المثال ظلت تضطرم إلى أن بدأت الآن تقوم قومتها المأمولة بإذن الله . فأخذت يد الإصلاح تدب في جميع مرافقها . وتجلت هذه الحيوية وأخذت هذه الأمة تتبوأ من جديد مكانتها المأمولة بحكم موقعها الجغرافي الفريد وماضيها العريق .

وهذه النهضة كغيرها من حركات الإصلاح والبناء لا يمكن أن تكتمل إلا إذا كفلت للشعب العربي على اختلاف طبقاته ومستوياته . الغذاء الروحي الذي لا يقل شأنا عن الغذاء المادي ويتطلب ذلك تخطيطا واسع النطاق يسير على نهج مدروس ويستعان فيه بجميع الكفايات العلمية والثقافية والفنية التي ترصد له الأموال اللازمة فالثقافة في العصر الحديث الذي ارتقى فيه العلم ارتقاء عجيبا . ومضى ركب الحضارة يسابق الزمن وتقدمت أسباب التكنولوجيا تقدما مذهلا كاد يقضي على حدود الزمان والمكان . هي عنوان لحياة زاخرة معقدة متشابكة متعددة الجوانب دائمة التغير .

وقد كثر الحديث عن بناء الإنسان الحديث وقامت حركة في أمريكا وهي أغنى البلاد وأقواها . ترمي إلى بناء الإنسان الأمريكي الحديث على أساس من الوعي الثقافي وما أحرانا اليوم أن نؤمن بالثقافة ذلك الإيمان الذي نجده عند الدول الراقية التي سبقتنا في ميدان الحضارة أجيالا وأجيالا .

ولا شك أن الوعاء الأكبر للثقافة هو الكتاب . والذي يلعب دورا أساسيا في تاريخ الفكر الإنساني . وعن طريقه توارثت الإنسانية مراحل التطور وكتب للإنسان أن يستطيع الخطى في مدارج النهضة والتقدم . وللكتاب الفضل في ربط الأمة العربية بالفكر والمنطق والعقيدة واللسان .

صياغة اللغة :

كتاب الله وقرآنه الكريم صاحب الفضل الأول ما التزمه الكتاب العربي في حدود أدت إلى وحدة اللغة المنطوقة والمكتوبة بل وحدة الشعور والفكر . فظل تيار

الوحدة القومية قائما لا تؤثر فيه عوامل الزمن ولا المحن . فينتهز الفرصة المواتية لينهض وينطلق .

المعوقات التى تحول دون انتشار الكتاب العربى :

١. الأمية بأنواعها سواء الهجائية أو أمية المتعلمين .

٢. عوائق مرتبطة بعملية نشر الكتاب ومنها :

(أ) عدم وجود رابطة وثيقة بين الناشرين العرب تجمعهم على خطة وهدف مشترك تتجه إليه جهودهم ويهدف إليه نشاطهم العام .

(ب) نقص الدراسات العلمية والإحصائية فى موضوع الكتاب وأنواعه واتجاهاته ومجالاته العلمية والاقتصادية وخاماته ووسائل انتاجه وتسويقه ونشره .

(ج) ضعف وسائل التعريف والإعلان عنه .

٣. صعوبات اقتصادية .

التوجيه الثقافى والوعى الإنسانى :

إن التوجيه الثقافى ضرورة من ضرورات الوعى . حتى يكون الإطلاع هادفا . يبنى ولا يهدم متناسقا مع العقيدة والمثل العليا والأخلاق الحميدة . فإن الكتب والمجلات الهابطة والهدامة فى عصرنا لها انتشار غريب . لذلك كان التوجيه الثقافى واجبا من واجبات المربين والآباء والمسئولين. خاصة فى مرحلة المراهقة . لأن كتابا واحدا قد يهدم شابا . ويبقى التوجيه ما بقى النشء فى حاجة إليه حتى إذا ما استطاعوا التمييز بين الضار والنافع . يفسح لهم المجال لقراءة ما يريدون .

فالإنسان الواعى هو من يكون مستقلا فى قراءاته ويستطيع اختيار ما يريد ويهتدى بخبرة المفكرين الذين أودعوا الكتب نتاج عقولهم وثمار تجاربهم . فتزداد خبرته وتتسع آفاقه وتكثر معارفه .

فالـنشء الـذى نما وعيه بالمطالعة لديه القدرة على الوثوب لتخطى الأخطاء والعقـبات التـى بها يتحقق التقدم . وهذا ما يجعل كل جيل يضيف جديدا إلى الجيل الذى سبقه لبناء حضارة مستقبلية متجددة .

والمطلـب الملـح هـو أن يقـدم ما يجعل للنشء الزاد الثقافى الذى يتناسب وعصر غزو الفضاء ، وزاد ثقافى يفتح الآفاق لجعل الشباب يتطلعون دائما للأمام .

أثر الذاتية الثقافية فى الوعى الثقافى :

تتسـع الثقافة اتساع الحياة البشرية فتشمل كل نشاط إنسانى وسعى اجتماعى تصـورا وآراء ، إنـتاجا وارتقاء ، وعلاقات روحية واجتماعية فى جوانب الحياة المادية والمعنوية . وقد تؤخذ فى الحدود المتعارف عليها فى الاستعمال الأدبى لتعبر عـن جانب من جوانب النشاط الفكرى فيضيق وعاؤها ويضمر دورها ، ومهما يكن مـن أمر ، فإن اللغة .. أى لغة تظل قلب مفهوم الثقافة . فالذاتية الثقافية تتمثل فى التـراث الفكرى ، وفى الروية الحضارية عبر اللغة القومية ، وفوق ذلك فإن تحقيق هـذه الذاتـية وتنميتها هو السبيل البكر إلى المشاركة الإيجابية فى الثقافة الإنسانية فـى عملـيات التبادل والتعاون مع الثقافات الأخرى ، لأنه إذا لم يكن لديك ما تعطيه فإنـك فـى عملـية التبادل تكون فى موضع المتلقى والأخذ ، وهذا يفضى فى عاقبة الأمـر إلى طمس الشخصية فوق ما يعبر عنه من موقف سلبى وعجز عن الاندماج فى التقدم العالمى .

فلـيس هناك إذن تعارض بين تنمية الذاتية الثقافية وبين التفتح على الثقافات الأخرى والتعامل معها من موقف الند القادر ، فإهمال تأكيد الذاتية الثقافية دعوة إلى الانسـلاخ الاجتماعى وإلى الاغتراب الفكرى ، وهى أمور تعانيها شعوب كانت ذات يوم مصدرا من مصادر الإشعاع الثقافى .

إن المـثل الواضـح عبـر الـتاريخ ، هو أن العمل الفكرى والثقافى لا يحمل جنسـية سياسية وإنما يحمل جنسية حضارية ، ينتسب إلى اللغة التى أنتج بها وإلى

المناخ الثقافى لتلك اللغة . ذلك أن اللغة ليست رموزا وحسب ولكنها فكر . وليست شكلا وحده ولكنها كذلك مضمون متلازم ومتكامل معه . فالإنسان يفكر بالنمط الحضارى للغة التى يتكلم بها ، وإن ما يكتب من أثر علمى أو أدبى بلغة ما يحسب فى رصيد تلك اللغة ويصبح جزءا من تراثها ، ومن هنا تتضح الصلة العضوية بين الذاتية الثقافية وبين اللغة القومية .

لماذا انصرف هذا الجيل عن الثقافة ؟

شباب هذا الجيل ابتعد عن مناهل الثقافة الصحيحة المطورة ، ينفرد من الكتاب الدسم ، ويرى عدد غير قليل من هذا الباب أنه هراء ومضيعة للوقت دون جدوى . أن يمضى فراغه أو جزءا منه فى القراءة الهادفة ، قراءاته سطحية قد لا تتعدى الصحف اليومية والمجلات المسلية . يكره القراءة الهادفة لأن أساليب التعليم فى مدارسنا وجامعاتنا نجحت فى أن تنفره من الكتاب لكثرة الاحتفاظ بالمعلومات الجامدة التى تتفاعل مع فكره وميوله . مدارسنا وجامعاتنا تقتل فى شبابنا حب القراءة والمفروض أنها تغرس فيه هذه العادة وتنميها ، وهذا الصنف إن قرأ بعد تخرجه من الجامعة فهو يقرأ فى مجال تخصصه وكثيرون لا يقرؤون حتى فى هذا المجال ، ويكتفى فى عمله بالمؤهل الذى ألحقه بهذا العمل ويتجمد عند هذا الحد . إنهم يعيشون أمية ثقافية مخجلة ..

وهناك قطاع آخر من الشباب زهد فى القراءة ، بعد أن كان يقبل عليها لأن تشغلهم الحياة المادية وتكاليف الحياة . فنجد فى بيوت هؤلاء الشباب بعد أن أصبح لهم حياة مستقلة عن والديهم — التليفزيون — الفيديو — وقد خلت من الكتب وذلك لأنهم يفضلون شغل وقتهم بما يعود عليهم لمواجهة مطالب حياتهم المادية لأن شغل الوقت بالقراءة والاطلاع لا يمد بإيجاز الشقة أو يغنى بمتطلبات الحياة . فهؤلاء الشباب يريحون رؤسهم بعد عناء العمل ويرون أن الثقافة مجرد نشاط يمضون به وقت الفراغ قبل تحمل مسئولياتهم المادية ويرون أنه من الأربح مشاهدة مباريات أو فيلما كوميديا أو مسلسلة تلفزيونية . فهذا كله أربح من قراءة كتاب .

وللأسف أنه يمكن القول أن أتعس قطاع من الشباب فى وقتنا الحالى هم هؤلاء الذين انغمسوا فى القراءة وجروا وراء ميولهم الثقافية ، إن أكثر الناس استمتاعا بالحياة الآن الذين لم يسمعوا كلمة الثقافة ولا يعرفون لها معنى ، فهناك شباب لهم ميول أدبية وفنية توقفوا عن ممارستها ، فمنهم من يقرض الشعر ويكتب القصة والبحث الأدبى وغيرها . يقرأ ويدرس كل ما يمكن من اكتساب مختلف الثقافات وطرق التفكير والحياة ويجعله يساير روح العصر . وهؤلاء أصيبوا بالإحباط وآثروا العزلة وانعزال ، لأنهم وجدوا أننا نعيش أزمة صدق وإبداع وحرية تعبير . فلم يعد لحملة الأقلام المخلصة الجرأة على نقد التقاليد البالية والأفكار الرجعية . بل أن كثيرا من حملة الأقلام ينساقون إلى تأييد ما يعرفون أنه يخالف ضمائرهم ، ابتعد الكثير عن الصدق والإخلاص والموضوعية فيما يكتبون وآثر الصادقون الانعزال طالما أنهم لا يستطيعون أن يتصدوا ضد كل ما يعوق حركتهم فى أن يقدموا جديد وأن يخلقوا فنا وفكرا يتصاعد شرارته فى واقع جامد متحجر . فانعزلت المواهب الجديدة وحرمنا الإضافات الخصبة للثقافة تحت وطأة الإرهاب الفكرى الذى عانينا منه طويلا .

فنريد أسلوبا للحياة يعطى الشباب فرصة المشاركة البناءة ويقوى ولاءه لوطنه ويظهر من القيادات المفكرة الواعية المجددة ما نحن فى أمس الحاجة إليه . ومصر تودع حاليا جيل الرواد الذى مارس العمل التقدمى والإبداعى ومارس الفكر الحر المنطلق فى كل شئون الحياة الأدبية والفكرية والفنية والقومية والاقتصادية . جيل الرواد الذى أوشك على الأفول الذى ربى جيلا واعيا متفتحا . كل حبه وولائه لمصر وعاش من أجل مصر ورقيها وتقدمها ، من علينا هذا الجيل بطه حسين ، ولطفى السيد ، والعقاد ، وعبد القادر المازنى . ومحمد حسنين هيكل . وأحمد أمين. مصطفى عبد الرازق ، وعبد العزيز فهمى . وطلعت حرب ، وتوفيق الحكيم ، وزكى نجيب محمود ، ومصطفى أمين وغيرهم ، فهؤلاء اعتمدوا أسلوب مواجهة الحقائق والتحليل العلمى ، وكان هؤلاء ولاؤهم لمصر كبير وكان أثرهم كبيرا فى إعداد

الشعب لطفرات تقدمية كبيرة وإطلاق قواه الكامنة وكل همهم بناء الإنسان المصرى بناءا كملا وراقيا . وسلكوا به طريق التطور الاجتماعى والفكرى والاقتصادى والسياسى . وكان أسلوبهم الصراحة والوضوح الفكرى . حاربوا كل الأوضاع التى تشكل الأمر الواقع المتخلف وعجلوا بكل إخلاص لنقلنا من مرحلة العجز السلبية إلى الحركة الإيجابية وأبوا على تقديم كل ما ينمى أمتهم النظرة المستقبلية والانتقال من ركود التخلف إلى حيوية النمو وإجراء التغيرات الكبيرة . بثوا فى النفوس احترام القيم السليمة التى زيف فيها . جيلهم يتطلع بإصرار لعالم جديد يعبد فيه بناءه الفكرى والاجتماعى والسياسى والاقتصادى على أسس متقدمة وعادلة . كان لهم أثرهم الكبير فى تنشئة جيل من الرجال الذين يستطيعون بناء دولة متقدمة متحضرة. جعلوا المواطن المصرى يخلع القيود الفكرية والاجتماعية ويتطلع إلى عقله وإرادته فى بناء مستقبل أفضل .

فهذه هى عظمة القيادة الفكرية التى تهتم ببناء الإنسان حتى يستقيم أى بنيان بعد ذلك . فالصفوة القادرة على الإبداع هى الموهلة للقيادة عن طريق التقدم لأن تطوير المجتمع لا يتحقق إلا من خلال تغير المفاهيم السائدة فيه والقيم المسيطرة على سلوكه والأفكار المطروحة للحوار بين أبنائه ، وتلك كلها عمليات لا ينجزها إلا نخبة ممتازة من أهل الرأى والفكر والأدب ، لأن المطلوب هو الارتقاء بالمجتمع إلى آفاق أسمى ومراتب أعلى . حتى لا تدور حركته فى فراغ ولا تتحول مسيرته إلى تراكمات لا أثر فيها للامتياز والإبداع والتفوق .

فكانوا بمثابة رواد الفكر التقدمى يوجهون الوجهة الحضارية السليمة ويبثون الأفكار التى تواكب العصر وتربى العقول وتنضج القلوب وتنمى الفكر وتسمو بالوجدان والإنسانية وتجعل النشء يقدس الطيبة التى حرم منها شباب هذا الجيل ، فجيل الرواد يفهم القيم الروحية فهما سليما مغايرا تماما لفهم هذا الجيل . ولكن يمتاز هذا الجيل عن الجيل السابق فى أمور كان الجيل السابق لا يحبها ولا يفكر فيها مثل : الهجرة فى طلب الرزق . وعدم النفور من العمل الحرفى والحر .

والانصـراف عـن الوظيفة الحكومية إذا وجد مصدر رزق أفضل . ولكن كان الجيل السـابق أكثـر تقديـرا للقيم الإنسانية وأقوى انتماء لمصر . كان جيلا يقدر الثقافة ويجد فى طلبها لأنها سبيل تجدد الحياة وتطورها . فالثقافة الجادة تدفعهم إلى البحث عـن قيم جديدة تغير المفاهيم الجامدة وتحدد الاتجاهات والنظرة للحياة . لم يتهافت علـى المـادة بقـدر سعيه على الثقافة الهادفة التى تنضج العقول وتهذب الوجدان وتدفـع إلى السمو بالأنفس وبالواقع ، ونحن هنا نرى أنه لابد من حدوث تغيير فى عقـول الشـباب واتجاهاتهم حتى لا نستيقظ ونجد أنفسنا نعيش فى حدودنا الفكرية والاجتماعية والاقتصادية الضيقة ، ولا أريد أن أقول المتخلفة .

المكتبة ودورها فى الوعى القرائى والثقافى :

لـم تعـد المكتـبة فـى العصـر الحديـث هى المبنى والأساس فحسب ، بل أصـبحت ـ المعنـى والأساس ـ الذى تنشأ المكتبة لتحقيقه . ولم تعد المكتبة هى الكـتاب الـذى يوضع على رفوف المخازن . بل هى المعلومات التى تحتويها الكتب والمـراجع والمجـلات العلمـية ، بحيث تكون هذه المعلومات حاضرة وسريعة أمام طالبـيها ، ولـم يعـد أمـين المكتبة هو أمين مخزن للكتب ، بل متخصص فى علم المكتـبات والإعـلام العلمى ، مختص فى المعلومات على درجة من التأهيل العلمى يسـمح بإرشـاد الأسـتاذ الجامعـى والمعلم والطالب والجمهور العام على اختلاف مستوياتهم التعليمية والثقافية .

ولقد أصبحت المكتبة فى مفهومها التربوى الحديث جزءاً لا يتجزأ من العملية التعليمـية ذاتهـا جـزءا مـن البـرنامج الدراسـى والمنهج التعليمى على مختلف مسـتوياته، مـن الـواجب فـى وطننا العربى أن يكون لدينا تخطيط مكتبى وتوثيق مدروس مرتبط عضويا ووظيفيا بالتخطيط الاجتماعى والتعليمى والعلمى والإعلامى. تخطيط متكامل من شأنه أن يكون الشخصية المتكاملة . لا من حيث المادة الدراسية التـى يمكـن أن تسـتوعب فحسـب بل من حيث المادة الدراسية كمنطق لمزيد من المعلومات والمعرفة .

فمن هنا نجد أن للمكتبة دوراً كبيراً فى حياتنا لما يلى :

١- إن وجـود المكتـبة فى البيت والمسجد وفى المجتمع الذى ينتمى إليه النشء مهـم جـدا ، فهـى تساعده فى الوصول إلى الحقائق وتكوين عادات القراءة والمطالعـة ، ووجود المكتبة بالمنزل وتعلق الأسرة كلها بالكتاب والمكتبة من شـأنه أن يقيم علاقة أسرية اجتماعية أفضل ومن شأنه أن يكون لدى النشء عـادة حب الكتاب والبحث والإفادة منه والتنقيب فيه ، فالقراءة ضرورة ملحة تمدنا بما نحتاجه من معلومات لتطوير مجتمعنا وحل مشكلاته .

ذلـك لأن التطوير أساسه رأس مال البشرى ، ولا يمكن أن يتم هذا التطور إلا إذا أسـهم كل منا ولو بقدر قليل من المعلومات المتطورة التى تعمل على حل مشـكلاته . كمـا أن القراءة فضلا عن ذلك تتصل بالبناء السوى للشخصية .

فالكـتب تكتسـب الكثيـر من دلالتها إذا ارتبطت بشىء فى حياتنا ، أى أنه لا ينبغـى أن يكون لدينا مكتبة لاستكمال وجاهة المنزل فحسب ، بل إن القراءة الواعية من شأنها أن تكون الجمهور الإيجابى الواعى الذى يمكنه الإسهام فى مجتمعه من النواحى الاجتماعية والسياسية والثقافية والعلمية وغيرها .

٢- المكتـبة العامـة هـى إحـدى وسائل الإعلام الجماهيرى إلى جانب الإذاعة والتليفزيون والصحافة ، وهذه الوسائل من تليفزيون وإذاعة وصحافة تحتاج إلـى مكتبات منظمة علمية غنية بالمراجع والأفلام والمجلات وغيرها ، حتى تكـون قـادرة على دعم الاتجاهات الفاضلة لدى النشء والجمهور وأن تحمل رسالتها التعليمية كذلك فضلا عن رسالتها الترويحية .

فعلـى المكتبة العامة أن تكون جزءا حيا من كيان المجتمع ، وعليها أن تجعل مـن نفسها قوة إيجابية دافعة تبرز دائما المسائل العامة التى تهم أفراد البيئة المحـيطة بها ، وذلك من خلال إقامة معارض للكتب والمعلومات وطبع قوائم مطالعـات وتـوزيعها وعقـد جلسـات بحث ومناظرة ودراسات . وعليها أن تستشـير مـيول القـراء . كمـا عليها أن تربط بين نشاطها ونشاط الهيئات

التعليمية والثقافية والاجتماعية الأخرى كالمدارس والجامعات والمتاحف والنقابات والنوادى والجمعيات العلمية ومنظمات مكافحة الأمية .

٣- إن استخدام المكتبة فى مدارسنا ومعاهدنا وكثير من جامعاتنا هو استخدام أسمى لا فعلى . وهنا نتساءل عن الأسباب التى جعلت الشباب بعيداً عن القراءة والكتاب . ونتساءل عن حال المكتبات العامة ومكتبات الجامعات ، وكيف أنها خاوية لا يدخلها النشء أو الشباب إلا إذا طلب منهم بحث .

إن قضية انصراف الشباب عن القراءة الجادة هى فى الحق قضية قومية ، ينبغى أن يساهم فيها جميع المعنيين فى دوائر التعليم والثقافة والصحافة والنشر والأسرة بالجهود والحلول العملية التى يمكن أن تؤدى دورها فى تعميق روح القراءة لدى النشء والشباب وتوجيههم التوجيه السليم . ولقد انعقد شبه إجماع على أن من أهم أسباب هذا الانصراف هى أساليب التعليم فى كافة مراحله . تلك التى ترتكز على كتب المقررات والمناهج ، ولا تكاد تعنى بالكتب والمواد التثقيفية الأخرى تفرغا لنجاح فى الامتحانات والفوز بالشهادات العامة والجامعية ثم الوظيفة (حكومية أو غير حكومية) مما أثمر كله مقترناً بالاعتراض عن القراءة الجادة فى نطاق الأسرة ذاتها والمجتمع الخارجى تقريبا – هذا الاسترخاء الفكرى الذى جعل الكتاب فى غربة شبه تامة حتى كانت هذه الظاهرة الخطيرة المؤثرة ولا شك فى حياة الجيل الحالى والأجيال القادمة من الشباب فضلا عن تأثير الأمية الفاشية ، وقد تضافرت على ذلك عوامل كثيرة لعل أبرزها ظروف حياتنا الغريبة سياسية واقتصادية واجتماعية وما صاحبها من انصراف جماعى إلى ما بعد عند السواد الأكبر اهتماما أوجب – بأساسيات الحياة وضرورات العيش ثم فتور حركة نشر الكتب الجادة وغلاء أسعار الكتب لأسباب اقتصادية وغير اقتصادية ، فضلا عن مغريات التليفزيون والإذاعة والسينما وموجة الانحلال المصرى واللامبالاة السائدة . فكان تحالف هذه العوامل جميعاً هو الذى أدى إلى نكسة فكرية خطيرة فى حياة النشء الشباب العقلية ، نريد له أن يبرأ منها .

وقد كان من الطبيعى أن يرى المعنيون بأمور الفكر والثقافة أن العلاج الأمثل هو السعى لغرس ملكة القراءة لدى النشء والشباب فى مراحل التعليم جميعا بتوثيق الـروابط الفكـرية بـين المـربين وبينهم على إمداد هذه المراحل والعناية الصحية بالمكتـبات المدرسـية والجامعـية طبقاً للأساليب الحديثة تأصيلاً لنزعة القراءة فى نفوسهم مع بذل عناية متماثلة فى دوائر الأسرة لكى يشبوا متألقين للقراءة والتزود من المعرفة بنصيب موفور .

وإذا كـان الأخـذ بهـذا العلاج سوف يستغرق جهوداً ووقتاً ينبغى ألا يضن المعنيون بشئون التعليم والثقافة بشىء فى رسم السياسة الطويلة المدى لتحقيق هذا الهـدف الكبيـر حتى ينشأ الجيل الجديد مطبوعاً على حب القراءة وحتى يخرج إلى الحياة العامة مزوداً بما يؤهله لأداء رسالته الفردية والقومية بنجاح أوثق .

ولكـن مـاذا عن الجيل الحالى . من والنشء الشباب المنصرف عن القراءة وكـيف السبيل إلى جذب اهتمامه بالقراءة والمعرفة على نحو جدى أكبر ، فإذا كان العـلاج الطـويل المدى سوف يستغرق وقته ولن تظهر آثاره البارزة أول فى الجيل الناشـئ فليس من العدل ولا من السداد ترك الجيل الحالى يمضى فى إعراضه الماثل محـروما من مجالات سريعة جادة لربطه بموكب التقدم الفكرى الثقافى . ولعل أبرز ما يعين على ذلك وسيلتان :

الأولى : تقديم الكتاب النافع فى شتى فروع المعرفة بثمن مقبول .

الثانـية : تعـاون دور النشر العامة والخاصة والمؤسسات الصحفية فى تنفيذ خطـة جماعية لنشر الكتب على النطاق الشعبى الذى يجعل المادة المقررة الصالحة فـى متـناول النشء والشباب خاصة . وسواء القارئين عامة . قياساً على ما تفعله دور النشـر العالمية من نشر أمهات الكتب فى طبعات رخيصة ولا سيما كتب عباقرة الفكـر الإنسـانى لأن فـى هـذه الكتب عباقرة يخاطبوننا ويزودوننا بأثمن أفكارهم ويصبون فى أرواحنا أرواحهم .

وإذا كـنا صادقى العزم فى سعينا لتثقيف النشء والشباب فليس من المستحيل والمتعذر عقد مؤتمر من دور النشر والمؤسسات الصحفية لدراسة خطة قومية لنشر الكـتب بكـل تفصـيلاتها التخطيطـية والتنفيذية بما يؤدى إلى نشر الكتب التثقيفية المخـتارة على نطاق دورى واسع يسد الفراغ الحالى ويقدم للقارئ الناشئ والشباب وغيرهما زاداً فكرياً فى حدود مستطاعه المادى . ولو عقد مثل هذا المؤتمر برعاية واشـتراك الهيـئات الرسـمية من معاونة مادية ومعنوية لا شك سيكون لها آثارها المنشودة فى تذليل الصعاب التى لابد منها فى مثل هذا العمل القومى الضخم ، وذلك لـتقديم الكتب فى شتى مجالات المعرفة بأيسر صورة ممكنة إلى نشء وشباب طال انقطاعـه من الانتهال من الموارد الثقافية بحكم ظروف كثيرة يكاد لا يكون له ذنب فـيها وحده ومن الحق علينا أن نعوضه عما نعوضه فاته فينبغى السرعة والمبادرة مـن جانـب المسـئولين عن النشر فى كافة الميادين والاستجابة من جانب النشء والشباب الذى هو معقد الآمال فى كل الظروف والأحوال .

ونعـود ثانـية لـدور المكتبة حيث أن العصر الحديث يتسم بالتطور والتغيير المستمر وانطلاق المعرفة والفكر البشرى انطلاقاً لم يعرف له التاريخ مثيلا من قبل. فالاكتشـافات العلمـية تـتابع بسـرعة خارقة وميادين الاختصاص تتزايد وتتداخل وتتـباعد . وفـى القـرون الأخيـرة اسـتطاع الإنسان أن يصل إلى قدر من العلوم والمعرفة يزيد على ما حصل عليه فى آلاف السنين .

إن معـدل المعـرفة البشـرية يتزايد حتى أن بعض العلماء يقدرون أن سجل المعـرفة يتضـاعف فى كل عشر سنوات أو أكثر قليلاً ، وهذا ما يطلق عليه انفجار المعـرفة والمعلـومات ، وأصـبح هـذا الانفجار فى المعلومات المتدفقة من خلال المصـادر المخـتلفة وعلى وجه الخصوص الجديدة منها . كما أصبح من المستحيل على أى باحث مشتغل بالبحث فى مجال محدود من مجالات المعرفة أن يستوعب عن طـرق القراءة والتلخيص أكثر من جزء بسيط جداً من إنتاج المعلومات فى تخصصه الدقـيق ، بـل يستحيل عليه فى أحيان كثيرة فحص عناوين مصادر المعلومات التى

تهمـــه مباشـــرة . ومن هنا ظهرت الحاجة الملحة إلى وجود الخدمات التوثيقية التى تهـــدف فـــى المقام الأول إلى تجميع وتنظيم وتحليل وتخزين واسترجاع المعلومات وخدمتها والإعلام عنها . والمكتبة لها دور فى تنمية القدرات على البحث والوصول إلى المعرفة .

أسباب عزوف النشء والشباب عن الكتاب :

١ – ارتفاع أسعار الكتب التى تقدم المادة النافعة والزاد الفكرى للنشء والشباب .

٢ – ظهـــور وســـائل الإعـــلام المتمثلة فى الراديو والتلفزيون والسينما والمسرح والفيديو وكذلك الصحف .

٣ – إيقاع الحياة السريع الذى لم يعد يسمح للقارئ بالانكباب على الكتب وقراءتها وفهمهـــا واستيعابها نظراً لقسوة الحياة ونظراً لأن ارتفاع دخل الفرد والأسرة أصبح المطلب الأساسى .

ويمكن القول : أنه لم تعد القراءة فى الوقت الحاضر حلية يتجمل بها الإنسان، ولكـــنها أصـــبحت إحـــدى المهـــارات الضرورية التى يجب أن يكتسبها كل فرد فى المجتمع وأصبحت عبارة " القراءة أوسع أبواب المعرفة " شعاراً يرفعه رجال التربية ويـــنادون به ويعملون على تأكيد مفهومه فى ميدان العمل التربوى . إذ أن المعرفة الإنسانية تعددت جوانبها وتشعبت فروعها وكثرت ميادينها وأصبح الشخص المثقف فـــى مجتمعـــنا الحاضـــر مطالبا بتحصيل هذه المعرفة ومتابعتها حتى لا ينعزل عن التيارات الفكرية والثقافية التى يطرد نموها وتقدمها ولا سبيل إلى ذلك إلا عن طريق القـــراءة ، ويضـــاعف من أهمية القراءة بالنسبة لأى شعب أن تقدم المجتمعات فى الـــوقت الحاضر يقاس بمدى قدرة أبنائها على القراءة وممارستهم لها . ولهذا تهتم المجتمعات المتقدمة بتعلم أبنائها القراءة ، وتحرص على أن يمارس كل شخص فيها القـــراءة وتهيئ لهم المادة القرائية والزاد الفكرى الذى يستنير فيهم الرغبة للقراءة مثل الكتب والصحف والمجلات والنشرات وغيرها .

وينبغـى أن تكـون أهمـية القـراءة والوعى الرائى والتثقيف واضحة أمام المدرسة والأسرة والمسئولين فى الواقع التى تقوم بالإشراف على النشء الشباب ، حـيث أن الـنمو المتكامل فى جميع جوانب الشخصية هو المطلب المنشود ، وتلعب القراءة دورا بعيدا فى تحقيق هذا الهدف ، ومن هنا تظهر العناية بإعداد مادة قرائية تتوافر فيها عناصر التشويق والتنوع وتضمين هذه المادة القرائية كثيرا من العناصر الثقافـية التـى يحـرص المجتمع على تزويد أبنائه ، وهذا يؤدى إلى فهم المقروء وكسب المعلومات وزيادة الثقافة والانتفاع بها فى مواقف الحياة .

تربية الطفل العربى .. بين الثقافة والإعلام :

رغـم كـل مـا سـبق .. إلا أنه على المستوى العربى توجد جهود ملموسة لمحاولـة الوصـول إلى مستويات طيبة من التنشئة السليمة للأطفال ورفع مستوى المؤسسات التى تتعامل مع الأطفال .

ويعد إنشاء المجلس العربى للطفولة والتنمية بأهدافه التى تسعى لتحقيقها أحد اللبـنات فى سبيل بناء هياكل مؤسسية قادرة على المساهمة فى صياغة جهد عربى مـتكامل للنهوض بالطفولة العربية . كما أن الثقافة بأجهزتها ووسائلها تعد الأساس الأول فـى تكـوين طفل عربى متفتح عقليا بما يكفى لمواكبة ثورة العلم والمعلومات لتى يشهدها العالم اليوم .

وبالنسبة للثقافة العلمية للطفل، فإن كتب تثقيف الطفل تتميز بصفة فريدة، فهى على الرغم من أنها خاصة بالطفل إلا أنها وثيقة الارتباط بالكبار . فهى تكتب وتراجع وتـباع وتشـترى وتقرأ بواسطة الكبار . بل وأحيانا ما تكتب وتراجع وتباع وتشترى وتقرأ بواسطة الكبار ، بل وأحيانا ما تكتب وفى مخيلة الكاتب أنها قراءها من الكبار .

والشروط التى يجب أن تتوافر فيما يقدم من ثقافة علمية للطفل هى :

- أن تكـون مقـروءة بواسـطة الطفل بعيداً عن الكتب المدرسية التقليدية فيما يسمى بالتعليم الحر .

- أن تحتوى على كتب الأطفال حتى الخيالية والأدبية والقصصية على قدر ولو يسير من العلم .
- أن تؤثر فى المستوى الثقافى للطفل . فتجعله متميزا بوضوح عن قرينه الذى يعتمد على الكتب المدرسية فقط .

وهناك عدة أسئلة تطرح نفسها فى هذا الصدد :

من يقدم الثقافة العلمية للطفل العربى ؟ وكيف تخصص هؤلاء الكتاب فى هذا الفرع ؟ وما هو الدافع والحافز الذى دفعهم إلى ذلك ؟ وهل هناك رقابة على ما يقدم للطفل العربى ؟

ولنشر الثقافة العلمية بين أطفال العرب يجب تخصيص نسبة ١٠ % من إنتاج دور النشر للطفولة سواء لمن يكتب لها أو يكتب عنها . وفى المقابل يجب على الدولة تشجيع هذا الفرع بإعفاءات جمركية وضرائبية لكل من يتناول ويقدم للطفل . ووضع ضوابط الإشراف بواسطة العلماء المتخصصين على المادة المقدمة للصغار . كما يجب القيام بعمل دورات تدريبية للمعلمين خصوصا ف المرحلة الأولى من التعليم وذلك للارتقاء المستوى العلمى لهم . ويطالب أيضا بأن تقوم الهيئات العلمية المتخصصة بمراجعة النصوص العلمية التى تقدم للإذاعة والتليفزيون مراجعة دقيقة حتى لا يقدمان للأطفال مادة علمية خاطئة .

وتشير الحلقة الدراسية " نحو مستقبل ثقافى أفضل للطفل العربى " إلى أنه على الرغم من الأهمية البالغة لكتب الأطفال فى إشباع حاجاتهم ونموهم عقليا ووجدانيا ، فإن كتب الأطفال تعانى عدة مشكلات فى الوطن العربى مثل : قلة عددها وعدم صلاحيتها تربويا وارتفاع أسعارها .هذا بالإضافة إلى أى مدى توجد مؤسسات متخصصة فى نشر كتب حكومية أو خاصة ومدى إصدار سلاسل كتب أطفال ونوعيات محتوى الكتب واشكالها وتوزيعها ووجود مكتبات متخصصة للأطفال ؟

وتشـــير الدراسات التى طبقت عام ١٩٨٨ فى ١٣ دولة عربية هى (مصر ـ العـــراق ــ الســـعودية ــ الإمارات ــ السودان ــ موريتانيا ــ الصومال ــ قطر ــ الأردن ــ سوريا ــ البحرين ــ اليمن الجنوبى) إلى وجود مؤسسات متخصصة في نشر كتب الأطفال في خمس دول بنسبة ٣٨ % . فى حين توجد مؤسسات تنشر كتب الأطفـــال بالإضـــافة إلـــى الأعمال الأخرى فى ١٢ دولة بنسبة ٩٢.٣ % . وتصدر سلاســـل لكـــتب الأطفـــال فـــى ٦١.٥ % من عينة الدراسة . ويتمثل محتوى هذه المنشـــورات فى الروايات والقصص والكتب الدينية والعلمية بنسبة تتراوح بين ١٣ ـــ ١٥ % ، ويأتـــى بعـــد ذلك كتب المغامرات والكتب الفنية وكتب الرحلات وكتب الأدب والفـــن الشـــعبى بنســـبة تتـــراوح بـــين ٦ ــ ٨ % . أما عن وجود مكتبات متخصصة لإطلاع الأطفال فقد تبين أن ٥٣,٨ % من الدول العربية يوجد بها مكتبات يتركـــز فيها ٧٢ % فى العاصمة . ويوجد كتاب متخصصون فى الكتابة للأطفال فى ٦٩.٢ % .

وتأتـــى أهمـــية دراسة أبواب وأركان الأطفال فى الجرائد والمجلات العامة فى أنهـــا لا تشـــكل عبئاً مادياً على الأسرة التى تشترى هذه الجرائد والمجلات . وتزايد إقبال الأطفال على هذه الأبواب ضمن المضامين الأخرى .

وقـــد أثبـــتت الدراسة وجود أبواب للأطفال فى ٩ دول بنسبة ٦٩.٢٣ % من العينة وهى (مصر ــ الإمارات العربية المتحدة ــ السعودية ــ العراق ــ الأردن ــ البحـــرين ــ سوريا ــ الصومال) فى حين لا توجد أبواب للأطفال فى ٤ دول بنسبة ٣٠.٧ % وهى : (جيبوتى ــ اليمن الجنوبى ــ موريتانيا ــ فلسطين) .

وفـــى مجـــال إصدار مجلات الأطفال ، هناك ١٠ دول تمثل نسبة ٧٦.٩ % لا تصـــدر فـــى ثلاث دول وهذه المجلات والجرائد تصدر عن مؤسسات صحفية خاصة بـــثقافة الطفـــل . ويرجع عدم صدور هذه المجلات للأطفال إلى أزمات مالية أو عدم وجـــود متخصصـــين ، وضـــعف المادة المنشورة ، وضعف التوزيع . وقطع الدعم الحكومى وعدم مساندة الجهات الرسمية .

أمـــا فـــى مجـــال السينما فقد بينت الدراسة أن ١٢ دولة واصلت دورها حتى الـــوقت النهائـــى للـــبدء فى تفريغ البيانات ، وهذه الدول هى : مصر – جيبوتى – العـــراق – سوريا – الأردن – قطر – الإمارات العربية – موريتانيا – الصومال ت البحـــرين) كمـــا أن هـــناك ٨٨,٣ % من الدول تعرض أفلاماً للأطفال ، فى حين لا تعرض فى جيبوتى وموريتانيا بنسبة ١١,٧ % .

وفى مجال المسرح حيث تكمن أهميته فى كونه وسيلة اتصال مباشرة وفورية وتتميـــز بسهولة مخاطبة الجمهور وخصوصاً عندما يكون موجهاً للطفل حيث تزداد أهمية درجة تأثيره وبعثه للحماس والتجاوب فى نفس الطفل .

وتشير الدراسات إلى وجود المسرح المدرسى فى الدول العربية بنسبة ٥٥,٦ % مـــنهم ، يعملـــون طوال العام ، ويستعان فيها بالصغار والكبار فى ٨٨,٨ % من الـــدول ، فـــى حين تعتمد على الكبار فى ١١ % منها ، ولا يوجد مسرح يعتمد على الصغار فقط .

وفـــى مجـــال الإذاعة المسموعة تشير الدراسات إلى قلة الاستماع إلى برامج الأطفـــال الإذاعـــية فى الدول العربية ، حيث لا تتعدى ١٩ % على أحسن الأحوال ، وتصل إلى ١,٧ % فى بعض الدول العربية مع قلة الوقت المخصص لبرامج الأطفال وغـــياب التنســـيق بين الخدمات الإذاعية المختلفة ووجود خلط بين ما يجب أن يقدم للصغار والناشئين وللأطفال وحشر المعلومات حشراً فى برامج الأطفال .

وتتدرج الأهداف التى تسعى برامج الأطفال الإذاعية لتحقيقها فى :

- توجيه الأطفال إلى الأنماط السلوكية المقبولة .
- تنمية ملكات الطفل العقلية وتنشيط مداركه وتنمية معلوماته .
- تنمية الروح الوطنية عند الأطفال .
- التسلية الترفيه .
- تطوير التعلم الذاتى لديهم مع تأكيد الارتباط بالعالم الخارجى .

- إشباع الحاجات النفسية وتدريب الذاكرة وقوة الانتباه عند الأطفال .
- تنمية المهارات اليدوية لديهم .

الميكروكمبيوتر يغزو البيت المصرى :

بعد التليفزيون والفيديو ... بدأ جهاز كمبيوتر صغير .. ميكروكمبيوتر Micro Computer يغزو بيوتنا المصرية وهو رغم دقة حجمه فإنه يمكن لأى فرد استخدامه وعمل البرامج المناسبة لحياته دون الحاجة إلى معاونة من خبراء متخصصين .

وإقبال الشباب على شراء الميكروكمبيوتر والاستغناء به عن الألعاب التليفزيونية والتى تعرف باسم " الأتارى " فإن الكمبيوتر يمتاز عنها بإمكانية إدخال إضافات وبرامج من تأليف الشباب أنفسهم ... من برامج مسلية بسيطة مثل رسم طائرة أو ضفدع ، ويستطيع مع الممارسة ومع اكتساب بعض الخبرات والمهارات أن يجعل هذه الرسومات تتحرك وتطلق أصواتاً . كما يمكنه رسم بعض الأشكال الزخرفية وتلوينها بألوان مختلفة . ويقضى وقتاً ممتعاً فى إعادة التلوين ومزج الألوان ، وذلك بالإضافة إلى إشباع هواية الموسيقى ، فيمكن أن يؤلف مقطوعة موسيقية بواسطة برنامج بسيط يؤلفه بنفسه ، وعن طريق أسلوب المحاولة والخطأ يمكنه أن يعدل ف البرنامج كما يشاء ، ويعيد سماعه حتى يحصل على النغمات الصحيحة التى تروق له .

ألعاب الخيال العلمى :

من بين الألعاب المسلية التى يقبل عليها الشباب الآن فى مصر ويستخدمها فى الميكروكمبيوتر هى ألعاب الخيال العلمى مثل المغامرات داخل منجم أو فى أعماق البحار أو الفضاء ، ومواجهة الصعاب والأخطار المتنوعة ويتعرف اللاعب فى كل حالة لينقذ نفسه وليحصل فى النهاية على درجات التعزيز ومنها أيضاً ألعاب التوعية غير المباشرة مثل قيادة السيارات ، ومواجهة مشاكل نفاذ الوقود وأخطار السرعة

والانضباط المروري ، أو قيادة طائرة ومتابعة ظروف الملاحة من خلال أجهزة متنوعة تظهر على الشاشة .

الكمبيوتر والمدرس الخصوصي :

وعن طريق جذب التلميذ من خلال ممارسة الألعاب المسلية يمكن أن نستخدم الميكروكبيوتر في البرامج التعليمية للتدريب وتنمية المهارات والاستذكار والحفظ . وهو هنا لا يكون بديلا عن المدرس الخصوصي ، ولكنه يعتبر وسيلة مشجعة على الاستذكار ومعلم اللغات .

المراجع العربية والأجنبية

أولاً - المراجع العربية :

ـــــــــــ : الإعلام والاتصال بالجماهير ، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ١٩٦٩ .

ـــــــــــ : وسائل الإعلام ومستقبل الطفل العربى ، مجلة الفيصل ، العدد ٨ ، يناير ١٩٧٨ .

إبـــراهيم إمـــام : الإعـــلام الإذاعـــى والتليفزيونى ، دار الفكر العربى ، القاهرة ، ١٩٧٩ .

إبـــراهيم الزهيـــرى ، هنداوى حافظ : نظم تعليم المتفوقين / الموهوبين فى ضوء مفهـــوم إدارة الجودة الشاملة فى الولايات المتحدة الأمريكية وإمكانـــية الاســـتفادة مـــنها فى مصر ، مجلة كلية التربية بينها ، جامعة الزقازيق ، المجلد السابع ، العدد ٢٤ ، يوليه ١٩٩٦ .

إبـــراهيم زكى خورشيد : قضية الكتاب العربى ، مجلة الفيصل ، العدد ٢٤ ، مايو ١٩٧٩ .

أحلام رجب عبد الغفار : تحليل مفهوم الإعلام التربوى ، القاهرة ، مجلة التربية والتنمية ، السنة (٣) ، العدد (٨) ، فبراير ١٩٩٥ .

أحمـــد عابـــد عاصم الطنطاوى : إشكالية العلاقة بين التعليم والتنمية الاقتصادية ، القاهرة ، مجلة التربية والتنمية ، السنة (٣) ، العدد (٨) ، فبراير ١٩٩٥ .

جـــان الكســـان : الإعـــلام ووسائل الاتصال الحديثة ، المغرب ، مجلة الوحدة ، المجلـــس القومـــى لثقافة العربية ، السنة (٨) العدد (٩٠) مارس ١٩٩٢ .

حامـد ربـيع : دور وسـائل الإعـلام فى التثقيف السياسى ، مركز النيل للإعلام والتعليم والتدريب ، يناير ١٩٨٠ .

حامـد عمـار : العلم هدف ووسيلة للتغيير : المؤتمر السنوى الثالث للجمعية المصـرية للتربية المقارنة والإدارة التعليمية بالاشتراك مع كلية التربية جامعة عين شمس بعنوان " إرادة التغيير فى التـربية وإدارتـه فى الوطن العربى " المنعقد فى الفترة بين ٢١ ــ ٢٢ يناير ١٩٩٥ ، ج ١ .

حسـنى شـحادة : دور المطالعـة فى تنمية الوعى ، مجلة التربية ، العدد ٤٨ ، سبتمبر ١٩٨١ .

صلاح الدين جوهر : نحو بيئة تربوية أنقى للإنسان العربى ، جامعة قطر ، حولية كلية التربية ، السنة الثانية ، العدد ٢ ، ١٩٨٢ .

عبد العزيز شرف : تكنولوجيا الإعلام والمجتمع الحديث ، مجلة الفيصل، العدد ٨، يناير ١٩٧٨ .

عـبد العزيز شرف : وسائل الإعلام والتنمية الريفية ، مجلة التربية ، العدد ٦٢ ، فبراير ١٩٨٤ .

عبد الغنى داود : سينما الطفل ــ بحث مقدم إلى مؤتمر ثقافة الطفل ، جامعة عين شمس ، يناير ١٩٨٥ .

عبد المنعم ثابت : دور وسائل الإعلام فى التنمية البيئية ومواجهة الغزو الثقافى . مجلـة دراسـات إعلامية ، العدد (٨١) ، أكتوبر/ ديسمبر ١٩٩٥ .

عفـاف طـبالة : الاتصال الجماهيرى والرأى العام / مركز النيل للإعلام والتعليم والتدريب ، يونيه ١٩٨٠ .

علـى عـبد الرازق جلبى : المجتمع والثقافة والشخصية ، دار النهضة العربية ، بيروت : ١٩٨٤ .

عمـــر الحامـــدى : الـــثقافة العـــربية والنظام العالمى الجديد (الأبعاد الحضارية للمتغيـــرات الدولية) مجلة الوحدة ، المجلس القومى للثقافة العربية . السنة التاسعة ، العدد ٩٩ ، سبتمبر ١٩٩٢ .

فـــؤاد البكـــرى : التنمية الثقافية والثقافة الجماهيرية ، القاهرة ، الهيئة العامة لقصور الثقافة . مكتبة الشباب ، العدد (١٦) ، ١٩٩٢ .

فـــوزية فهيم : التكامل بين الإعلام والتعليم ، بحث مقدم إلى مؤتمر ثقافة الطفل ، جامعة عين شمس ، يناير ١٩٨٥ .

لويس عوض : ثقافتنا فى مفترق الطرق ، دار الآداب ، بيروت ، ط ١ ، ١٩٧٤.

مـــبارك ربـــيع : وســـائل الإعلام الثقافى والإبداع الأدبى والفنى ، مجلة الوحدة ، المجلس القومى للثقافة العربية . السنة الخامسة ، العدد ٥٨ / ٥٩ ، يوليه / أغسطس ، المغرب ، ١٩٨٩ .

مـــبدر الـــويس : المـــثقفون العرب والمستقبل العربى ، مجلة الوحدة ، المجلس القومـــى للـــثقافة العـــربية ، السنة التاسعة ، العدد ١٠١ / ١٠٢ . فبراير ــ مارس ١٩٩٣ .

محمـــد أنـــيس ، الســـيد رجـــب حراز : ثورة ٢٣ يوليو وأصولها التاريخية ، القاهرة ، دار النهضة العربية ، ١٩٦٩ .

محمـــد الـــزواوى : بعـــض الجـــوانب لمفهوم التخلف الآخر فى الوطن العربى ، المغرب ، مجلة الوحدة ، المجلس القومى للثقافة العربية ، السنة (٥) ، العدد (٥٠) ، نوفمبر ١٩٨٨ .

محمـــد الســـماك : الإعـــلام الدينى فى الشرق الوسط ، القاهرة ، مجلة دراسات إعلامية ، العدد (٦٦) ، يناير / مارس ١٩٩٢ .

محمد سيد محمد : الإعلام والتنمية ، القاهرة ، دار الفكر العربى ، ١٩٨٥ .

محمد شرف : الثقافة العلمية للطفل ، جامعة عين شمس ، يناير ١٩٨٥ .

محمــد شــقرون : الحــركة الاجتماعية والتحولات الثقافية ، شروط إنتاج الطفل كمشــروع ثقافــى فــى المغــرب ، مجلة الوحدة ، المجلس القومى للثقافة العربية، السنة الخامسة ، العدد ٥٧ ، يونيو، المغرب ، ١٩٩٠ .

محمد صابر سليم : التربية والتوعية بقضايا البيئية ، القاهرة ، معهد الدراسات والبحوث العربية، ١٩٩١ .

محمــد عثمان : الطفل العربى بين الإعلام والثقافة ، مجلة الدراسات الإعلامية ، العدد ٦١ ، أكتوبر / ديسمبر ، القاهرة ١٩٩٠ .

محمــود أحمــد إســماعيل : دور المثقفــين العرب فى التنمية ، المغرب ، مجلة الــوحدة ، المجلــس القومى للثقافة العربية ، السنة (٤) ، العدد (٤٥) ، يونيه ١٩٨٨ .

محمود محمد سفر : الإعلام موقف ، سلسلة الكتاب العربى السعودى ، رقم ٦٣ ، تهامة للنشر ، جدة ، ١٩٨٢ .

محــى الــدين صابر : دور التعليم العالى فى تنمية الذاتية الثقافية ، مجلة التربية القطرية ، العدد ٥٠ ، يناير ١٩٨٢ .

محى الدين عبد الحليم: وسائل الاتصال وبناء الإنسان فى القرية المصرية، القاهرة، مجلة دراسات إعلامية، العدد (٥٧)، أكتوبر/سبتمبر ١٩٨٩.

المخــتار بنعبد لاوى : الثقافة العربية ومعطيات الواقع الراهن والأفاق المنظورة ، مجلــة الــوحدة ، المجلــس القومى للثقافة العربية ، السنة التاسعة ، العدد ١٠١ / ١٠٢ ، فبراير ــ مارس ١٩٩٣ .

مسعود ضاهر : ملاحظات نقدية حول شعار " نحو نظام ثقافى عربى جديد " مجلة الــوحدة ، المجلس القومى للثقافة العربية ، السنة الثامنة ، العدد ٩٢ ، مايو ١٩٩٢ .

مصـــطفى أحمـــد التركى : وسائل الإعلام وأثرها فى الشخصية ، الكويت ، عالم الفكر ، ملـــف الإعلام والرأى العام ، وزارة الإعلام ، المجلد (١٤) ، العدد، (٤) ، يناير / فبراير / مارس ، ١٩٨٤ .

مصـــطفى عمـــر التير : الثقافة العربية والتحديث ، خواطر حول الدور الاجتماعى للـــثقافة ، مجلة الوحدة ، المجلس القومى للثقافة العربية ، س ٩ ، ع ١٠١ / ١٠٢ ، فبرايـــر ـــ مـــارس ، المغرب ، ١٩٩٣ .

المنتدى الدولى بشأن التربية من أجل الديمقراطية (ورقة عمل) اليونسكو .

موســـى ســـعد الدين : توفير الكتاب للطفل ، بحث مقدم إلى مؤتمر ثقافة الطفل ، جامعة عين شمس ، يناير ١٩٨٥ .

نســـمة أحمـــد البطـــريق : الإعـــلام ومناهج البحث الاجتماعى ، القاهرة ، مجلة دراسات إعلامية، العدد (٧٠) ، يناير / مارس ، ١٩٩٣ .

هشـــام شـــرابى : مقـــدمات لدراسة المجتمع العربى ، الأهلية للنشر والتوزيع ، بيروت ، ١٩٧٧ .

هـــنداوى محمـــد حـــافظ : الإعـــلام والتجديد التربوى ، دراسة مقارنة بين مصر وبعـــض الـــدول الأجنبـــية ، المؤتمر العلمى الرابع عشر لـــرابطة التربية الحديثة بالاشتراك مع كلية التربية جامعة عين شمس ، المنعقد فى الفترة ١١ ـــ ١٣ يوليه ١٩٩٤ .

ثانياً - مراجع أجنبية :

Blaug, Mark: The Rate of return on investment in education, Penguin Books, 1971.

Brighues, T.R.P., Problem and Pressuses or Today Management and Administration, Vol. Educational 1 jun 1993.

Coombs, Ph. And Halla J. : Cost Analysis in education, John Hopkins University Press, New York, 1987.

Dennis McQUAIL: Mass Communication Theory, Second edition, London, sage Publication Ltd., 1987.

Edding F.: International Development of educational expenditure, Unesco, Paris.

Eichanan, Cohen: The economics of education, Lexing Books D. C. Heath and Co., 1972.

French, Wendell and Bell, Cecil: Organization Development, Behavioral Science Intervention for organization improvement, Englewood, Prentice Hall Inc., 1973.

Gobbons, Mousice, : Walk about ten years Latter: Searching for Raenewed Visionof education, Phi Delta Kappan, V. 6.

Gouldmer. A, W,: The Future of Entellectual and The Bisc of The new class The Seabury Press N.Y. 1970.

Maxweel E. Mc Combs. And Lee. Beker: Using Mass Communication Theory, Prentice Hall INC. Englewood, New Jersey, 1979.

Minoli, D.: Distance learning, technology and application, Artech House, London, 1996.

Parsons, T.: Societies, Eevaluationary and Comparative Perspectives, Englewood Cliffs. N. J. Prentice Hall, 1960.

Pigros P. et al. : Reading in Personnel Administration, McGrow Hill Book Co., 1959.

Shernan, Howard: Mecro-Dynamics, Economics Growth, Employment and prices, New York, Country Craft, 1964.

Thomson, SCOHD. America Rediscover its Schools, NASSP. Bulletin n.470, may 1984.

U. S. Department of Labour: Manpower and Employment Development for Economic Growth and Social Justice, Agency for nternational Development, Aprill 1975.

Unesco: Statistical year Book, Paris, 1999.

Vaizy, John: The economics of education, Faber and Faber Publisher, London.

محتويات الكتاب